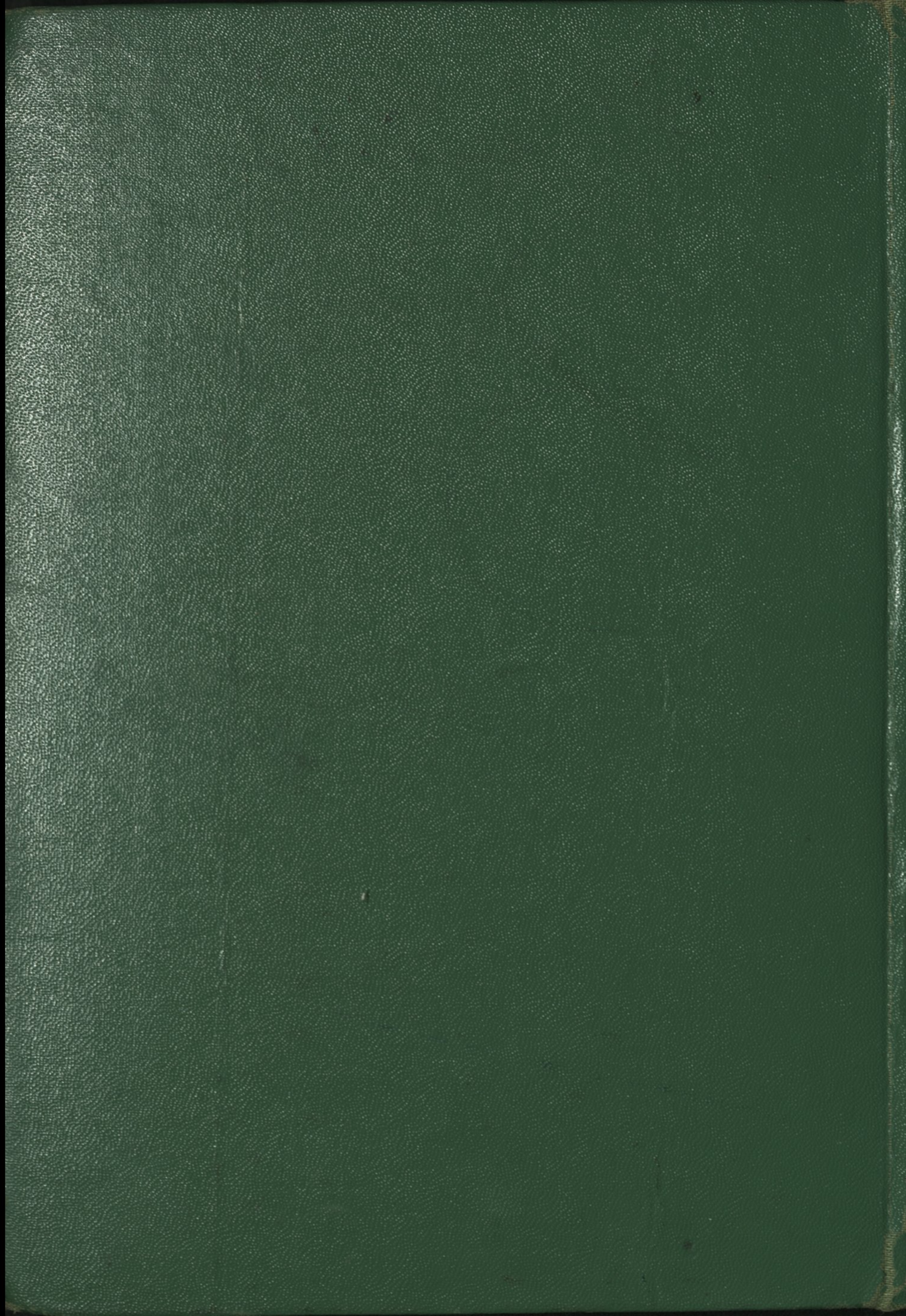


* ملاحظة من قارئ :

الصفحات من ٢٩٧ إلى ٣٠٤ غير موجودة

الصفحات من ٢٨٩ إلى ٢٩٦ مكررة ،

3

ساعدت وزارة المعارف العراقيـــة على نشره

طبع بموافقة رئاسة أركان الجيش - كتاب مدير التدريب العسكري
المرقم ٦٨٨٦٨ والمؤرخ ١٧-١٢-١٩٥٣

القائد الخالد

خالد بن الوليد

تأليف
عبد الحميد حسين السامرائي
المقدم

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

مطبعة دار المعرفة - بغداد



الإهداء

الى :—

القائد الذي سيقود الجند العربي في ميادين الشرف الى النصر فيكون « فيصلها » الحاسم .

المؤلف

الكلمة القيمة التي تفضل بها سعادة
رئيس اركان الجيش

يتبين لمن يستعرض تأريخ البشرية الطويل سير عباقرة معدودين يحتلون مواقع الصدارة في كفاحها الطويل المتنوع النواحي ويضرب العباقرة العسكريون مثلا يحتذي به من يتخذ الجندية مهنة. حيث يدرس ماقام به هؤلاء القادة العظام الذين سلبوا اعجاب اعدائهم، وتفنن المؤرخون في سرد نواحي العظمة في سيرهم ومقومات شخصياتهم الفذة .

وفي دراسة سيرة سيف الله خالد بن لواليد المخزومي ، رضي الله عنه ، معين لا ينضب للباحث المنقب ، فهي خير مثال للبطل العسكري القومي الذي جمع الباري في شخصيته كل مقومات الشجاعة الخارقة والايمان الصحيح والخلق النبيل والدراية والحنكة . ففيه شهامة العربي وثبات المسلم وتضحيته . ويكفيه فخراً ماقاله فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : (سيف من سيوف الله سله الله على المشركين) .

وقد تبين لي من تصفح كتاب (خالد بن الوليد) الذي قام بتأليفه المقدم عبدالحميد حسين السامرائي انه أحد المراجع القيمة

للبحث في سيرة بطلنا العسكري القومي، فارحب به واحث جميع الضباط على اقتنائه ودراسته وجعل سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه مثلا يحتذون به، وقبساً ينير لهم طريقهم. وأشكر بالوقت نفسه جهود المؤلف فى تعزيز المكتبة العسكرية واحث باقي الضباط على الاقتداء به فى انتاج ما يفيد اخوانهم الآخرين.

رفيق عارف

امير اللواء الركن

رئيس اركان الجيش

المقدمة

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري عميد كلية الآداب والعلوم

للأمة العربية دور ابداع وخصب ، يشمل فترة صدر الاسلام ، فيه انجبت كوكبة من الشخصيات الفذة التي تستوقف الباحث وتتطلب منه جهداً وعمقاً لفهمها وأدراك اثرها . ولن تفهم هذه الشخصيات دون الاحاطة بظروف نشأتها وبأمكانيات مجتمعها .

ومع اننا نقدر مبدئياً ان تاريخ العرب هو تاريخ امة بالدرجة الأولى . الا اننا نرى ان لبعض شخصياته اثراً ملموساً ودوراً واضحاً . ومن هذه الشخصيات اللامعة فى صدر الأسلام شخصية جندي كان لعبقريته العسكرية ولقيادته الفذة اهمية بينة في تثبيت راية الأسلام ورفعها . ويمكن ان نشير الى دوره فى مؤتة . والردة والعراق . والشام . لنرى ذلك .

نشأ خالد في مكة التجارية ، التي حافظت على الأصول القبلية في التنظيم الأجتماعي ، وحورتها في التنظيم السياسي الى فكرة الملأ ، والتي لم تبعد عن تقاليد الفروسية العربية . وكانت مكة قد ورثت شيئاً من الأرث الحضاري لعرب الجزيرة واتصلت بالحضارات المجاورة عن طريق التجارة . فكونت بيئة خصبة بأمكانياتها وظروفها .

وخالد من بني مخزوم الذي كان لهم مركز مرموق في مكة حتى صاروا يفكرون بالزعامة وابوه سيد بني مخزوم ويبدو انه نشأ نشأة عسكرية واليه

انتهت المكانة العسكرية الأولى في قريش . ويظهر ان نشأة خالد ونسبه الرفيع مع قابلياته العسكرية كونت عنده استقلالا في الرأي . كما ان طبيعة الحمـــلات العسكرية آنئذ جعلته يراعي ظروفه المحيطة ويبت في خططه دون مراجعة .

ويغلب على مواقف خالد العسكرية طابع الأبتكار مع المرونة في الخطط الحربية ، والسرعة في الحركة والبعد عن التردد او المداراة . كما ان الصراحـــة صفته الواضحة في تصرفاته .

ويحيط سيرة خالد شيء من الأضطراب في الروايات وربما كان للمنافسة بين مخزوم وامية في الجاهلية ثم في بداية العصر الأموي اثر في ذلك . كما ان للشعوبية دورها في ذلك خاصـــة اذا عورضت مصادر الروايات المتعلقة بتنحيته عن قيادة الجبهة الشامية . ولا نريد هنا مناقشة هذه النقطة . ويكفي ان نبين ان مقارنة الروايات التي جاء بها البلاذري وابن سعد ، وابن اسحق ، وابن قتيبـــة ، وابو عبيد القاسم بن سلام ، وسيف بن عمر تدل على انه لم ينح عند مجيء عمر بن الخطاب للخلافة بل نحي بعد اليرموك حين تحقق انتصار المسلمين في جبهة الشام . وهذا يؤثر على تفسير هذا الحدث الهام .

ويظهر لي ان خالداً كان قوي الشخصية شديد التأثير على جنده ، وانه كان موفقاً كقائد عسكري ولكنه لم يكن دبلوماسياً او ادارياً . وان كان خالد صالحاً للحرب والفتح . الا انه لم يكن افضل من يتولى الامارة التي تنظم و تزيل آثار الفتح وتسلك سبيل الروية . وانه لم يكن لينسجم مع اتجاهات الخليفة في ضمان اشراف المركز على الأمصار المفتوحة . واني ارى في هذا تفسير مسلك الخليفة تجاهه .

هذه ملاحظات عامة وللقارىء ان يجد في الكتاب الذي اقدمه تفاصيل سيرة خالد . ومواقفه الهامة ودوره العظيم . ولقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في

تتبع مصادره ومراجعه العربية . وعانى مشقة يقـــدر عليها في رسم مخططات غزواته ومعاركه كما يفرضه البحث العلمي . ولعل اميز ما يتصف به الكتاب هو النظرة العسكرية الفنية التي يتميز بها الكاتب نتيجة دراسته وثقافته .

ومع ان المؤرخين عنو بسيرة خالد . الا اننا لا زلنا نفتقر الى الدراســـة الفنية لعبقرية خالد العسكرية .

وليس لي ان اثني على ما بذله المؤلف من جهد وما اثبته من آراء . وخير لي ان ادع ذلك للقارىء وان اكتفي بالأشارة بالروح الطيبة التي حملت المؤلف على الكتابة العلمية ابتغاء خدمة الحقيقة والتراث العربي .

عبد العزيز الدوري

كلمة المؤلف

إن التفت الامة إلى ماضيها ودرست سيرة رجالها ، فما ذلك إلا لتأخذ منه العبرة لتدفع بأبنائها إلى بناء مجد أكمل وعز أمثل .

وتاريخ أمتنا العربية مليء بصفحات كانت مشرقة للانسانية أجمع ، في العفة والنزاهة ، وحسن الاحدوثة في البطولة الرائعة لنصرة الحق . لا فخراً للعرب فحسب - فحق لابناء هذه الامة - التي إمتازت من بين الامم بمحافظتها على حريتها - أن يدرسوا سيرة الماضين من رجالها ليستمدوا منهم الايحاء اللازم لتوجيه تيارات أفكار أبناء الجيل الحاضر في الاتجاه الذي يضمن سعادتهم ، ويعيد اليهم الامثل من مجدهم فقد برز في ماضي هذه الأمة عباقرة بزوا غيرهم من أبناء الامم ، فقادوا أبناء جيلهم الى العزة والهناء ، وجعلوهم قدوة الامم في عصورهم ، أولئك العباقرة الذين يصح أن نعتبرهم مثلا صالحة للاقتداء بهم، سواء بعزتهم وقوميتهم ، أم بتضحيتهم وتفانيهم ، ام بعفتهم ونزاهتهم ، وعدلهم ، أو بحسن قيادتهم وبطولتهم ، وفي هذا ما يغنينا عن التمثل برجال الغرب الذين أخذ بعض أبناء الجيل الحاضر بالتمثل بهم لبعدهم عن هذا التاريخ المشرف ، ذلك الابتعاد الذي جعلهم يشعرون بالضعف تجاه غيرهم من أبناء الامم ، وفي هذا بلاء الامة الاكبر ونكبتها العظمى لفقدهم ثقتهم بأنفسهم وهذا ما يريده العدو ، إذ الثقة بالنفس أولى دعامات النجاح .

وقد درست سيرة بعض رجال الامة العربية وقادتها في ماضي تاريخها ، وسايرت حياة خالد بن الوليد البطل المخزومي ، القائد العربي الذي لم يغلب، توأم

النصر الذي فتن الجند في صدر الاسلام بحسن قيادته ، فترك لنا أسساً في الحرب والسوق لا زالت باقية يتبعها القادة في عصر الذرة في القرن العشرين ولم يبدلوا منها . وترك لنا درساً في التضحية ونكران الذات في سبيل عز أمته ، إذ بينما هو في اوج عزه يعزله الخليفة عمر بن الخطاب ويحاكمه على ملء من مسامع جنده فيطيع إطاعة عمياء ، غير ملتفت الى ما يصيبه من خسارة أو أذى .

ولم أكن لاكتفي فيما درست بما في الكتب التي تنقلت بين صفحاتها مقلباً الآراء على وجوهها المختلفة لاستمد منها الرأي الصائب ، انما زرت المواقع التي هيأت لي الظروف زيارتها فحصلت لي فكرة عن تنقل خالد بن الوليد بجيشه من موقع الى آخر في الفرات الاوسط والشام ، فأبديت الرأي فيما رأيت أنه الحق ، وقد أكون مصيباً بالنسبة لما إجتمع لدي من المعلومات ، أو أنني لم أوفي البحث حقه بالنسبة لما لم أطلع عليه من المواقع والمصادر لضيق في ذات اليد ، غير أن ما ورد في كتابي القائد الخالد هذا ، فيه الحق والانصاف ، فلم أكن متسامحاً او متجنياً .

ولعلي أكون قد قدمت الى أبناء الجيل العربي ما يذكرهم بماضي أمتهم وتضحية رجالها فيكون عوناً لاستعادة الروح الوثاب نحو المجد .

ولا يسعني وأنا أقدم هذا السفر إلا ان أبدي جزيل شكري الى الاخوان وأساتذة التاريخ الاسلامي الذين كان لحسن توجيههم ومساعدتهم أثر كبير في إظهاره ، فجزاهم الله عني خير الجزاء وهو ولي التوفيق .

عبد الحميد

الفصل الأول

خالد * نسبه * علاقته بالرسول * منزلة ابيه في قريش * بنو مخزوم

منزلته في قريش قبل الاسلام * شبهه بعمر بن الخطاب

الخلاف بين تفكير عمر وخالد * البيئة والمحيط * اخلاقه

عداؤه للمسلمين * معركة أحد * معركة الخندق

الحديبية * اسلامه

خالد بن الوليد

امير من امراء قريش المبرزين قبل الاسلام وبطل من ابطالها وقائد قواتها حتى أسلم فاصبح عدواً لها يقود المسلمين من نصر الى نصر حتى وحد الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول (صلعم) ثم قاد الجند العربي لتحرير العراق والشام من الفرس والروم البيزنطيين

نسبه من ابيه

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي وهو الجد السابع لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبه يلتقي نسب الصديق ابو بكر بن قحافة مع النبي «صلعم» وان اجتمعوا في نسبهم فقد اجتمعوا في كفاحهم لاعلاء كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) واخراج العرب من جزيرتهم ليعمروا الارض ، ويسوسوا العالم ، وينشروا العدل بين الناس ان أبى

لؤي هو غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر ، وهو الجد الذي يلتقي به نسب ابيه الوليد مع نسب امه لبابة الصغرى بنت بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن مرعا بن صعصعة بن معاد بن بكر بن هوزان بن منصور بن عساكر بن خصافة بن قيس بن عيلان بن مضر «١» ، فكانت امه من لباب العرب . فانجبت خالداً . فكان من لباب سيادتهم . ودعامة من دعامات ارتكازهم في حروبهم . وقد تزوج رسول الله (صلعم) اخت لبابة الصغرى ميمونة ام المؤمنين . فهى خالة خالد كما ان جدة الرسول من ابيه هي فاطمة بنت عمروا بن عائذ المخزومية ام عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول الاكرم . وتزوج العباس بن عبد المطلب لبابة الكبرى بنت الحارث . ومن هذا يظهر لنا ان المكانة العائلية لاسرة خالد بن الوليد كانت محترمة قبل الاسلام . وقد كانت قريش تدعوا الوليد بن المغيرة ريحانة قريش . وهو سيد من ساداتها . ارخت قريش بوفاته (٢) وهو وحيدها (٣) الذي نزل فيه (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً (٤) فقد كان من اعلامها الاجواد ذوي الشرف الرفيع . واحد الثلاثة

نسبه من امه

علاقته بالرسول

منزلة ابيه في قريش

---

(١) راجع طبقات بن سعد . الطبري . تاريخ بن خلدون . سيرة بن هشام . انساب الاشراف وغيرها .

(٢) الاغاني ج ١٥

(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٧

(٤) سورة المدثر (قرآن كريم) . بن كثير . الطبري

الذين ادعوا الرياسة بعد عبد المطلب (١) وهو القائل اينزل على على محمدواترك . وانا كبير قريش وسيدها . ويترك ابو مسعود وعمرو بن عمير الثقفي وهما سيدا ثقيف ؟ فنحن عظماء القريتين . وفيها نزلت الآية (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٢) . والوليد هو الذي اتبعت قريش رأيه لتقول لوفود العرب (ما محمد الا ساحر وان قوله سحر يفرق بين المرء وابيه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته) فنزل فيه (فكر وقد). فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هـــذا الاسحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (٣)) ادرك الاسلام ، فاخذته العزة . فلم يسلم . ولو آمن لآمنت معه قريش . ولما قال عن القرآن « ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة . وان اعلاه لمثمر . وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه (٤) » خاف رجال قريش ان يسلم وقالوا « صبأ والله ؟ الوليد لتصبأن قريش كلها(٥) » . ولا غرو فهو عدلها الذي يكسو الكعبة عاماً . وتكسوهاقريش باجمعها عاماً اخر (٦) وقول الرسول الاعظم « كاد بنو مخزوم ان يؤلهوا الوليد » خير دليل على هذه المكانة . ومن اجله نزل عبس وتولى ان جاءه الاعمى وفي بيت هذا العظيم

---

(١) اليعقوبي جـ ٢ ص ١٠
(٢) سورة الزخرف
(٣) سورة المدثر (القرآن تفسير الطبري وابن كثير
(٤) سيرة بن هشام جـ ١ ص ٩٧٣
(٥) نفس المصدر
(٦) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٤٧ وانساب الاشراف جـ ١ ص ٦٠

في قريش تربى خالد . فورث شرف النسب . والمنزلة الرفيعة . فشب عزيز النفس . وانتهى اليه شرف النصر في المعارك . فكان خير حافظ لهما .

بنو مخزوم

خالد بن الوليد من بني مخزوم ، وهم بطن من عشرة ابطن من قريش ، انتهى اليها الشرف قبيل الاسلام . قسمت الواجبات والاعمال فيما بينها لاكرام وفادة الحجاج « زوار بيت الله الحرام » فكان رؤساؤهم يجتمعون في دار الندوة للمداولة في امورهم وكانت رئاسة الدار الى قصي بن كلاب رئيس قريش ، وله حجابة الكعبة ، والسقاية ، والرفادة ، واوكلت اليه قريش القيادة في الحرب ، ومن بعد وفاته صارت لابنه عبد الدار ، غير ان قريش اختلفت بعد وفاة عبد الدار ، وتنازعت البطون على الرئاسة ، وكادت الحرب تقع بينها (١) ، فاتفقت قريش على اقتسام الواجبات بين بطونها العشرة وهم بنو هاشم ، وامية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وتيم ، واسد ، ومخزوم ، وعدى ، وجمح ، وسهم ، وبنو مخزوم ، وكانت لهم القبة والاعنة (٢) . وهكذا نشأ خالد من هذا البطن الذي كان ينازع البطون الاخرى على الرئاسة ، وقول ابي جهل (فلما اطعمنا الطعام واطعمتم ، وازدحمت الركب واستبقنا المجد ، فكنا كفرسي رهان قلتم منا نبي) (٣) يدل على هذا التنازع بين

(١) الطبرى جـ ٢ ص ١٨٣ سيرة بن هشام جـ ١ ص ١٤٣

(٢) المغازي للواقدي ص ٣٢ وانساب الاشراف جـ ١ ص ١٣٦

(٣) المغازي . ص ٢٣

منزلة خالد في قريش قبيل الاسلام

البطون، وقد انتخبت قريش رجالا يقومون بالواجبات الخاصة للبطون من بين رجالها، فكان العباس بن عبد المطلب من بطن هاشم يسقى الحجيج في الجاهلية، وبقي له ذلك في الاسلام، وابو سفيان بن حرب من بطن امية، وكانت عنده (العقاب) راية قريش يخرجها عندما يحمى وطيس الحرب، وهو صاحبها إن لم تتفق قريش على غيره. اما بنو نوفل فكانت لهم الرفادة (١) ومنهم الحارث بن عامر، وكان لبني عبد الدار اللواء. والحجابة يتولاها منهم عثمان بن طلحة. اما الاشناق (وهي الديات والمغارم) فكانت لبني تيم. وكانت المشورة ليزيد بن زمعة من بني اسد. ومن بني جمح صفوان بن امية. فكانت له الازلام. والايسار. ومن بني سهم الحارث بن قيس. واليه الأموال المحجوزة للآلهة ومن بني مخزوم خالد بن الوليد. وكانت اليه القبة واعنة الخيل. ومن بني عدى عمر بن الخطاب. وكانت اليه السفارة والمنافرة. ومن هذا نرى ان خالد بن الوليد كان علماً من اعلام قريش قبل الاسلام. وبطلها الذي تعتمد عليه في قيادة فرسانها. فهو بمثابة قائد قواتها. ولم تكن قريش لتسلم ذلك لغير قائد يزيل بقيادته الكربة. صابر في الحرب ورحى الحرب ثقالها الصبر. مخادع ورحى الحرب قطبها المكر. مجد ومدار الحرب الاجتهاد متبصر ورحى الحرب ثقافها الاناة. حذر وزمام الحرب الحذر وان كانت قريش قد اوكلت الى الرجال هذه الواجبات فما ذلك الا لمقدرتهم على القيام بما يطلب اليهم على احسن وجه. فاعطت لكل منهم العمل الذي يتفق

الخلاف بين تفكير عمر وخالد

---

١) الرفادة · الاموال التي تخرجها قريش لترفد بها المنقطع من الحاج

وميوله وطباعه الخاصة به ومقدرته . ولذلك كان عمر بن الخطاب بماله من قابلية فى المحاكمة . والمنطق . والهدوء النفسي بالنسبة الى نفسية خالد بن الوليد . قد اوكلت اليه قريش المنافرة والسفارة . فهو بمثابة وزير خارجيتها في عصرنا . يسعى لحل الاختلافات بالمفاوضات والسياسة . حتى طلب الى ابى بكر الصديق ان يسعى لحل الاختلاف بينهم وبين المرتدين بالمفاوضات . وهؤلاء كانوا على مرحلة يوم واحد من المدينة المنورة ليهاجموها . وما طلبه هذا الا نتيجة سفارته قبل الاسلام . غيران الخليفة ابا بكر الصديق لم يتفق رايه مع راى عمر بن الخطاب . فخرج لقتالهم . ومن ثم اسند قيادة قواته الى خالد بن الوليد في اخطر قسم من الجزيرة . فقام بواجبه خيرقيام . وكان خيرسيف يسله ابو بكر الصديق للتأديب . وخالد كان يحاسب اعداءه ولا يقبل منهم الا ان يتركوا السلاح . ويعلنوا الخضوع لارادته . وينفذوا اوامره . ولئن قال عمر بن الخطاب (ان في سيف خالد لرهقا) فلانه كان يميل الى الاكتفاء بما يشير الى الخضوع . اما خالد فلا يكتفي بغير الخضوع الصريح .

وهذا هو الفرق بين تفكيري هذين العظيمين . وراس الخلاف بينهما . وما الحوادث التي تذكر في التاريخ الا مضاعفات لهذا الخلاف وامور ذكرت لايجاد السبب الذي حمل عمر بن الخطاب الى عزل خالد بن الوليد . مستندين في ذلك الى اعمالهم واقوالهم . يدرسونها مبتدئين فيهما منذ دخولهما الاسلام . تاركين ايام حياتها قبل الاسلام تلك الايام التي نضج بها تفكيرهم . قبل ان يستنير بنور الهداية الاسلامية وكان فيه خالد جندي مطبوع وعمر مرشد ومثقف

نشأ خالد في قريش يوم كانت تسكن تهامة والحجا. حول مكة **البيئة والمحيط** المكرمة في واد غير ذى زرع في جزيرة معدومة الانهار. ذات مناخ قاسي. وهواء جاف. وسماء اديمها صاف. ونور شمسها ساطع حيث يتفتق الذهن ويستيقظ التصور ويخف العمل. احاط بهم البحر من غربهم. وصحراء نجد من شرقهم. فلم يكونوا قادرين على الزرع لشح في الماء. ولا على الصناعة لعدم رغبتهم فيها. ترفعا عن ان يكونوا بين سائس قرد ودابغ جلد. فلم يبق لهم مصدر يكسبون منه غير التجارة. فكانوا ينقلون البضائع في رحلتي الشتاء والصيف الى اليمن والشام، ولذا اصبحت التجارة مصدر ثروتهم ومورد رزقهم. وعاملا قوياً في عدم بقائهم قابعين في جزيرتهم. فاتصلوا بالروم في الشام. وبالفرس في العراق واليمن. فاخذوا عنهم بعض النظم. وعرفوا فيهم مواطن ضعفهم، واسس عزهم. وقد ساعدهم في هذا وقوع بلدهم الحجاز في محل مركزي. يسهل الوصول اليه من باقي اقطار الجزيرة العربية. ومرور طرق القوافل فيه بين الشمال والجنوب. كما ساعدهم تردد القبائل البدوية على الحجاز سواء للتجارة أم لزيارة بيت الله الحرام في الاشهر الحرم الثلاث أم فى شهر رجب الحرام للبيع والشراء (١) ومع ان العرب كانت تترك القتال الا ان القبائل كانت تتبارى بفصاحة شعرائها الذين كانو لسانها الذي ينطق بفضائلها. ويدون في شعرهم تاريخها. وفعالها وسيرتها ويبرز ما عندهم من فرسان لاظهار براعتهم في

---

(١) الاشهر الحرم. محرم. ذى القعدة. ذى الحجة خصصها العرب للامور الدينية وشهر رجب للبيع والشراء.

الفروسية وهم الذين تحتمى القبيلة بسيوفهم ورماحهم . فكان لزاما على ابناء القبائل . ان يشبوا على الفروسية والقتال . وقد بلغ بالفرسان منهم ان يطعموا ما عندهم لخيولهم . ويبيتوا على الطوى . ان لم يجدوا غيره اما الموسرين من الفرسان . فلا يهمهم طعامهم بقدر اهتمامهم بخيولهم التي هي من اهم عوامل فروسيتهم .

وقريش التى اتصلت بهذه القبائل . شب رجالها على ما طبعت عليه القبائل من الفروسية حتى انهم كانوا يرسلون ابناءهم الى القبائل في حداثتهم . لينشأوا على ما ينشأ عليه فرسان القبائل . ومن فعالهم التي يفخرون بها ايواء المنقطع . واكرام الضيف . وايقاد النار ليهتدي بها المتطرقون (١) . وما ذلك الا لتقديرهم تأثير الحرمان في الناس بسبب شح بلادهم . فتباروا في تخفيف مصيبة الحرمان عن الآخرين . تلك الخصلة الطيبة في اخلاقهم التي ايدها الاسلام . فاصبح في اموال الناس حق معلوم للسائل والمحروم و من فعالهم حماية الضعيف . فكان في مكة قبيل ظهور الاسلام حلف الفظوف لنصرة المظلوم . واخذ حقه من الظالمين . وحماية الجار . والصدق . والوفاء وغيرها من قضائل الاخلاق .

وبعد انقضاء الاسواق والاشهر الحرم . تتفرق القبائل فى الصحراء تطلب المرعى لابلها بعد ان يتزودوا بما يحتاجون . ويبيعوا مازاد

---

(١) قال حاتم الطائي لغلامه : اوقد فان الليل ليل قر والريح ياغلام ريح صر
لعل ان بقصدها المعتر ان جلبت ضيفا فانت حر

وهكذا جعل حاتم جائزة عبده ان جلبت ناره ضيفاً الحرية التي يقدسها ابناء العرب اكثر من الحياة .

عن حاجتهم . ينتقلون من محل لآخر . وصابرين على ضراوة الصحراء وشدائدها . طبعهم كفاحهم من اجل العيش والتنقل الدائم على الاستقلال الفطري وعدم الانقياد لاحد . غير انهم راعو مصلحة قبائلهم .

وقريش التي اتصلت بالروم والفرس في اليمن والشام وشاهدت الحضارات في هذه البلاد . لم تكن لتنعزل عن اخلاق رجال القبائل العربية الذين حفظوا انسابهم وعفت نساؤهم وغلظت اكبادهم « لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر لا ينثنون لذعر . ولا يتنكرون لدهر (١) » بلغوا الذروة في الكرم والاباء وعفة النفس والوفاء .

وكان رجال قريش يرسلون ابناءهم الى القبائل ليشبوا فيها على كرام الخصال العربية ولابد ان يكون الوليد قد ارسل ولده خالداً وهو صاحب المال الممدود الى القبائل لينشأ كما ينشأ غيره من رجال قريش . على ان محيط مكة المكرمة هو وحده كاف لينشأ شباب قريش على كرام الخصال والفروسية .

ولابد ان يؤثر هذا المحيط في خالد كما اثر في غيره . وبما انه لم يكن **اهلاً لخالد** بحاجة ليكدح من اجل العيش ، فلا بد وانه كان يقضي وقته في التمرن على الفروسية . فشب كغيره من رجال العرب الكثيرين . فارساً مغواراً . صبوراً في الباس ، جوال الفكر ، ذو عقل راجح ،

---

(١) العقد الفريدة ج ١

قبل ان يستنير بنور الهداية الاسلامية فكان خير جندي في صبره وعزمه وخير قائد في قيادته التي بلغ بها اعلى حدود التصور. فاسندت اليه قريش قيادة خيلها في الحرب. وضربت له القبة قبل الاسلام. وكان كريم النفس، صادقاً مخلصاً في عمله قادراً على ضبط اعصابه وان الشرف والاخلاص والشجاعة والعدالة وضبط النفس هي الفضائل التى تتكون منها السجية التى هي اول مميزات القائد، وبها ينجح الرجال اكثر من نجاحهم بدرايتهم، ولم يكن الرسول الاعظم (صلعم) يجهل ذلك فيه، فاسند اليه بعد اسلامه قيادة الخيل، ومن بعدها اسند اليه قيادة القواة في معارك كثيرة، نجح في جميعها لان جنده قد اطمأن الى حسن قيادته، والى اخلاصه، فنجح بهم وفازوا بقيادته.

شبهه الخلقي بعمر بن الخطاب

جاء في المراجع التاريخية انه خرج عمر سحرا، فلقيه شيخ فقال له: مرحباً بك ياابا سليمان، فنظر عمر فاذا هو علقمة بن علاثة، وكان ضعيف البصر. فرد عليه السلام فقال له عزلك عمر بن الخطاب، فقال عمر نعم.

فقال: مايشبع لاأشبع الله بطنه.

فقال عمر: ماعندك ؟

قال: ماعندى الا السمع والطاعه.

فلما اصبحا دعا بخالد، وحضر علقمة بن علاثة، فاقبل على خالد فقال له: ماذا قال لك علقمه ؟

قال: ماقال لي شيئاً.

فقال: اصدقني! فحلف بالله خالد مالقيه ولا قال له شيئا.

فقال علقمة: حلا ابا سليمان .

فتبسم عمر فعلم خالد ان عقلمة قد غلط فنظر اليه ، وفطن علقمه فقال : قد كان ذلك ياامير المؤمنين ، فاعف عني عفى الله عنك . فضحك عمر فاخبره الخبر سقنا هذه الرواية لنعرف صفاة خالد لشبهه بعمر بن الخطاب . وقد كان عمر رجلا آدم مشربا بحمرة ، طويلا أصلع ، له حفافان ، حسن الخدين والانف والعينين ، غليظ القدمين والكفين ، مجدول اللحم ، حسن الخلق ، ضخم الكراديس ، اعسر ايسر ، اذا مشى كانه راكب . وخالد كان يشبه عمر بن الخطاب وفي وجهه اثر جدري ، ومن كانت هذه صفاته الجسمية ، فهو رجل له قابلية بدنية كبيرة تساعده على تحمل المشاق ، وضخامة الكراديس تتأتى من الرياضة والفروسية ، وقد كان الخالدان (عمر وخالد) كلاهما فارساً مغواراً

عداءه للمسلمين

اشتدت قريش في معاداة الرسول ، ووقف رجالها يؤذونه والمسلمين ، ولم تذكر لنا كتب التاريخ شيئا من مواقف خالد ضد الاسلام غير مواقفه في المعارك ضد المسلمين ، والجندى لايعرف الكلام الا باللسان العامل الصامت (السيف) . وخالد باعتباره قائد خيل قريش ، فليس عليه الا أن يخوض المعركة عندما تفشل المفاوضات بين قريش والمسلمين ، ويظهر من اعماله في المعارك انه كان شديد الحنق والوطأة على هؤلاء الذين جاءوا ليبدلوا عقيدة بعقيدة ، ودينا بدين ، وقد كان خالد على خيل المشركين في معركة بدر ، ويظهر ان الفرصة لم تواتيه لاظهار براعتة تجاه المسلمين فى هذه المعركة .

معركة احد

ويظهر عداء خالد للمسلمين فى المواقف المختلفة التي وقفها ضدهم حتى اعلانه دخوله الاسلام ، وأول معركة برز فيها خالد بن الوليد ضد المسلمين ، هي معركة احد التي كانت نتيجة لمعركة بدر الفاشلة بالنسبة الى قريش .

سبب معركة احد

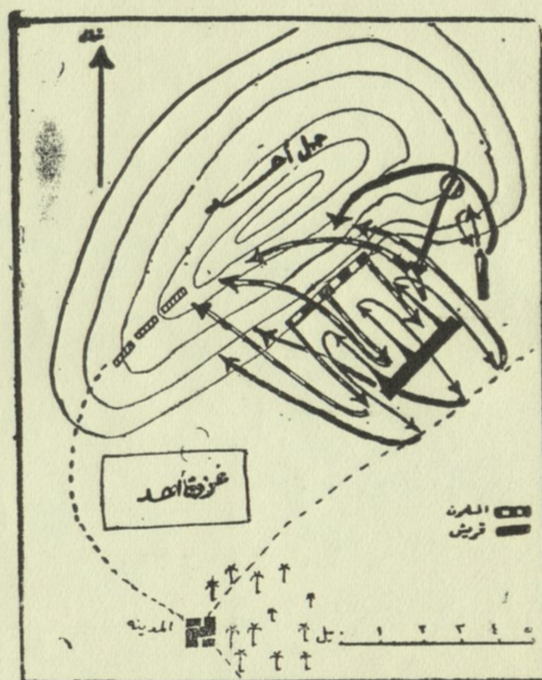
حدثت المعركة فى يوم السبت فى النصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة ، وقد اهاجها مانال قريش فى غزوة بدر ، فاخذ قادة قريش وعلى رأسهم ابو سفيان ، يهيجونها للاخذ بثارهم من المسلمين ، فتمكنوا من اقناع القريشيين ان يعينوهم بالمال قائلين لهم (يامعشر قريش ان محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فاعينونا بهذا المال (المال الذي كان مع القافلة ، والذي من اجله حدثت معركة بدر الكبرى) على حربه لعلنا ان نصيب منه ثارا بمن اصيب منا ، ففعلوا فتهيأ القريشيون ، وخرجوا للقتال ، ومعهم كنانة ، واهل تهامة حلفاء لهم ضد المسلمين .

قوات الطرفين

بلغت قوة قريش فى هذه المعركة ثلاثة الآف مقاتل منهم سبعمائة دراع ومائتي فارس ، وعلى رأس الفرسان خالد بن الوليد فى الميمنة ، ومعهم الضعن ، وفيه خمسة عشرة امرأة .

اما قوات المسلمين فقد خرج رسول الله (صلعم) من المدينة المنورة بقوة الف مقاتل ، غير ان عبد الله بن سلول انسل بجماعته من جيش المسلمين ، وكانت عدتهم ثلثماءة مقاتل فبقي مع الرسول سبعماءة مقاتل منهم ماءة دارع (١)

(١) الطبري جـ ٣ ص ٣



(غزوة) معركة أحد



مقارنة القوتين

قوة قريش ٢٠٠ فارس ٧٠٠ دارع ٢١٠٠ راجل ٣٠٠٠ المجموع
قوة المسلمين ـــ ١٠٠ دارع ٦٠٠ راجل ٧٠٠ المجموع

ومن مقارنة القوتين نجد ان التفوق فى جانب قريش بنسبة اكثر من اربعة الى واحد ، كما يظهر لنا ان قريش تتفوق بالدرع فالمحاربين القريشيين فيهم سبعمائة دارع ، يهيئون قوة كبيرة جداً للهجوم على المسلمين ، وهذا العدد وحده يقابل قوات المسلمين باجمعها . كما تتفوق قوات قريش فى قابلية الحركة تفوقا مطلقاً ، ولها قابلية على المناورة ، بينما يفقد ذلك المسلمون ، ولهذا فالمبادأة للقريشيين فى هذه المعركة .

ساحة المعركة

خرج رسول الله (صلعم) وقت السحر ليلة السبت ، ونزل في الشعب من جبل احد فى عدوة الوادي الى الجبل ، فجعل ظهره الى جبل احد ، وهو جبل احمر اعلاه دكدك (١) لبس بذي شناخيب بينه وبين المدينة ميل وافسح قليلا في شمال المدينة ، وقد منع الرسول القتال الا بأمره ، وكانت قريش قد سرحت الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين ، فيها زروع لبني قيلة ، فتحمس المسلمون للقتال ، ولم يسمح لهم بذلك رسول الله (صلعم) فقال احدهم (اترعى زروع بني قيلة ولما نضارب) (٢) على ان تسريح قريش لمواشيها في المنطقة يدل على ان المنطقة مزروعة سهلة ، وصالحة للقتال ، واسعة المطرد ، وتسهل حركات الخيالة للمناورة فيها .

اسلوب القتال

كان اسلوب الكر والفر هو الاسلوب الشائع للقتال عند العرب في

---

(١) الدكدك ـ ارض فيها غلظ

(٢) الطبري ج ٣ ص ١٣

ذلك الوقت غير ان رسول الله وقريش اتخذا اسلوب الصف في المعركة .

فالمسلمون يقاتلون بهذا النظام ، لان تعدادهم قليلا ، وانهم يصممون على الثبات فى مواقفهم ، ولا ينسحبون ، ومن يول منهم ظهر للعدو فهو متحيز .

اما قريش فان تفوقها بالعدد مما يساعدها على اتخاذ هذا النظام ، حيث يكون بامكانها مجابهة المسلمين بقوات متفوقة ، والقيام بحركات الالتفاف على اجنحتهم ، وبهذا يتمكنون من القضاء على قوات عدوهم .

خطة الرسول اسند رسول الله (صلعم) ظهر قواته الى جبل احد ، ووضع مفرزة من الرماة على جناحهم الايسر فى الجبل (١) بقيادة عبدالله بن جبير قوتها خمسين من الرماة ، وقال له (انضح عنا الخيل بالنبل ، لايأ ونا من خلفنا ، ان كانت لنا اوعلينا ، فاثبت مكانك ، لانؤتين من قبلك) ثم بعث ناساً من الناس فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله (صلعم) كونوا هنا فردوا وجه من فر منا ، وكونوا حرساً لنا من قبل ظهورنا (٢) .

ومن هذا يظهر لنا ان الرسول جعل المسلمين في خطين امامي وخلفي كما اختار موضعاً احتياطياً لاستعماله عند الحاجة . راجع المخطط (١) .

---

(١) الطبري ج٣ ص ١٣ وص ١٤

(٢) نفس المصدر والصفحة .

خطة قريش

وكانت خطة الرسول خطة دفاعية بسبب قلة قواته اما قريش فقد اتخذت الخطة الهجومية ، وكانت خطتهم الهجوم من الجبهة بالقوات الرئيسية ، والقيام بحركات الالتفاف على جناح المسلمين الايسر بخيل خالد بن الوليد .

المعركة

صف الرسول المسلمين للقتال ، وهجمت قريش برتلين .

الرتل الاول - وهو الرتل الرئيسي ، ليهاجم جبهة المسلمين بقيادة ابو سفيان بن حرب .

الرتل الثاني - وهو رتل الاحاطة بقيادة خالد بن الوليد ، ومعاونة عكرمة بن ابي جهل ، ليحيط بجناح المسلمين الايسر ، غير ان مفرزة الرماة بأمرة عبد الله بن جبير عاجلته برمي النشاب ، فتوقف من الهجوم وانسحب الى الخلف منتظراً الفرصة ، فطلب اليه جماعته الهجوم ، فقال لهم هل تروا لذلك وجهاً ؟ وهذا يدل على ان خالد بن الوليد ، لا يهجم مالم يدرس الموقف ، ويرى هل ينجح بهجومه ام لا ، وهذا هو القائد القدير عليه ان يدرس موقفه قبل ان يقوم باي عمل من اعماله ، ان اراد ان يضمن النجاح .

اما الرتل الرئيسي لقريش فقد تقدم في الجبهة ، تشجعهم النساء قائلات :

نحن بنات طارق ان تقبلوا نعانق
ونبسط النمارق او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

غير ان المسلمين صمدوا لقريش ، واذا بكثرتها لا تفيد امام صلابة الايمان ، فقام المسلمون بالهجوم المقابل بعد ان كسروا حدة هجوم

قريش وانسحب مقاتلوها حتى ان النساء انهزمن واخذن يركضن نحو الجبل حتى بانت خلاخيلهن (١) واخذ المسلمون يطاردونهم .

انتهاز الفرصة اما خالد بن الوليد فقد بقي في مكانه ينتظر ويترقب سير المعركة وهنا حدث ما كان يترقبه خالد فقد طمع جماعة عبد الله بن جبير بالغنائم ولم يطيعوه فترك معظمهم مكانه طمعاً في الغنائم (٢) فاستغل خالد بن الوليد الفرصة السانحة ، وهاجم المسلمين من خلفهم بعد ان انام الجماعة الباقية من رماة المسلمين . وبينما كانت قريش منسحبة واذا بصوت يدوي واذا هو خالد بن الوليد على رأس خيلهم يقاتل المسلمين من خلفهم (٣) فكانت مباغتة للمسلمين ، افقدتهم توازنهم واربكتهم ، وعند ذلك كرت قريش على المسلمين وانتصرت ، ولم تتمكن قريش من مطاردة المسلمين اذ نهنههم القتال سوى خالد بن الوليد الذي رده المسلمون .

فرجعت قريش الى مكة منتصرة ، وكان نصرها من صنع قائد فرسانها خالد بن الوليد الذي ترك لنا درساً بليغاً في انتهاز الفرصة التي تمر مر السحاب .

---

(١) راجع الطبري ج٣ ص ٤ وص ٥

(٢) تلك نفسية الجند الذين لم يثقفوا جيدا ، فان الجندي غير المثقف لا يقدر قيمة الواجب الذي القي على عاتقه ، فيترك واجبه كما تركه الرماة في هذه المعركة وكانت معركة احد في ابتداء الدعوى الاسلامية ، ولم يكن تثقيف المسلمين قد بلغ درجة عالية مما سبب هذه النكبة بينما نرام في مواقف بعدها يثبتون ثبات الراسيات .

(٣) راجع الطبرى ج٢ ص ١٤

معركة الخندق

سبب المعركة

وسبب معركة الخندق هو ان رسول الله (صلعم) اجلى بني النظير من ديارهم ، فذهب نفر من اليهود من بني النظير ، ونفر من وائل وقدموا قريشاً بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله (صلعم) وشهدوا الى قريش بان دينهم خير من دين محمد ، فنزل فيهم (ألم ترالى اللذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت . ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من اللذين آمنوا سبيلا .... الى قوله وكفى بجهنم سعيرا) (١) .فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ما قالوا ، ونشطوا لما دعوهم اليه . (٢)

وقد تمكن هؤلاء اليهود من تحريض غطفان لحرب المسلمين . فاتفقوا جميعاً على غزو المدينة ، فكانت قيادة قريش لابي سفيان ، وقيادة فزارة الى عينة بن حصن (٣) وفي بني مرة الحارث بن عوف ومسعود بن دخيلة فيمن تابعه من قومه .

قوات الطرفين

بلغت قوة قريش وحلفائها في هذه المعركة عشرة آلاف محارب نزلت في مجتمع الاسيال من دومه بين الجرف والغابة على بعد ثلاثة اميال شمال المدينة اما غطفان ومن تابعها فنزلوا نقمى الى جانب احد .

---

(١) راجع الطبري جـ٢ ص ٤٤

(٢) هذا شان اليهود مع المسلمين منذ القدم والقرآن الكريم قد اوضح لنا ذلك ومن يقرأ تعاليم دينهم يجد انها مبنية على معاداة كل من كان غير يهودي .

(٣) عينه بن حصن من المؤلفة قلوبهم . ومن زعماء المرتدين .

اما المسلمين فقد بلغت قوتهم ثلاثة آلاف مقاتل ومن هـذا يظهر لنا تفوق اعداء المسلمين في هذه الحملة ايضاً ويدل على قوة معنوياتهم تحفزهم لهذه الحملة بعد معركة احد التي انتصروا فيها ولم يكن للمسلمين من القوة ما يقاومون بها الاحزاب (١) فاستشارهم الرسول فيما يفعله فقال سلمان الفارسى (كنا في فارس اذا حوصرنا حوصرنا خندقنا علينا) (٢) ولم يكن العرب قد استخدموا الخنادق فى القتال فقبلت مشورة سلمان الفارسى فحفروا الخندق فى مشامر المدينة من الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وجعلوا جبل سلع وراء ظهورهم وجعلوا النسـاء والذراري فى الآطام (٣) وكان هذا الخندق مباغتة غير متوقعة لقريش واذا صح ان الرسول طلب الى كل عشرة من الرجال حفر اربعين ذراعاً من الخندق فيكون طول الخندق اثنى عشر الف ذراع .

حفر الخندق

وفي حالة الدفاع وراء الخندق يجب وضع القوة بموضع مركزي تتمكن من انجاد اي جزء من اجزاء الخندق عندما يتمكن المهاجم من عبوره فى نقطة من نقاطه مع وضع دوريات مستمرة تقوم بالمراقبة فكانت الدوريات من قبل المسلمين تقوم بالمراقبة وباقي القوة متهيء في محل متوسط اما المهاجم فعليه ان يقوم بمراقبة المحاصرين بصورة مستمرة واستطلاع الخندق ومعرفة نقاط الضعف فيه والسعي لاغفال العدو المدافع وراءه لعبوره او اجراء عبوره ليلا.

---

(١) الاحزاب هي قريش وحلفائها

(٢) الطبري جـ٣ ص ٤٤

(٣) الطبري جـ ٢ ص ٤٦

المناوشات جاءت قريش واذا بها امام الخندق فلما رأوه (قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها)(١) واقتحم قسم من فرسانهم الخندق من مكان ضيق غير ان الامام علي بن ابي طالب ونفر معه ردوهم كما تمكن المسلمون من رد خالد بن الوليد برشقهم بالنبل .

وكان خالد بن الوليد بطائفة من المشركين يطلب غرة من المسلمين (٢) وصار المشركون يتناوبون باجراء المراقبة على الخندق فيغدوا ابو سفيان فى اصحابه يوماً ويغدوا خالد بن الوليد يوماً ويغدو عمرو بن العاص يوماً (٣) وهكذا كانت المراقبة مستمرة من جانب قريش كما كانت مستمرة من جانب المسلمين .

موقف المسلمين داخل المدينة لم يكن العدو خارج الخندق فقط بل حتى اليهود الذين كانوا في المدينة مع المسلمين اذ واتتهم الفرصة فنقضوا العهد مع الرسول (صلعم) منتصرين لحلفاء قريش فاشتدت خطورة الموقف على المسلمين، ومما يدل على خطورة الموقف وشدة خوف المسلمين ما نزل على الرسول (... واذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون) (٤) وقد بلغ من حراجة الموقف ان الرسول (صلعم) اراد ان ينزل عن ثلث ثمار المدينة الى اعدائه ليفكوا الحصار لولا معارضة بعض المسلمين (٥)

---

(١) طبرى ج ٣ ص ٤٨
(٢) طبقات بن سعد ج ٢ص ٤٩
(٣) السيرة الحلبيه ج ٢ ص ٤٠٨ وبن سعد ج ٢ ص ٤٨
(٤) سيرة بن هشام ج ٢ ص ١٩٠
(٥) الطبري ج * ص ٤٨

وفي هذا الموقف قال بعض المنافقين (كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر ، واحدنا لا يقدران يذهب الى الغائط)(١) وامثال هؤلاء كثيرون في كل جيل وامة ، وعند مجابهة كل معضلة فانهم لا يثبتون على إيمانهم ، وما اسرع ظهور عنصر الفساد فيهم فيجب القضاء عليهم ، قبل أن يستفحل امرهم فيكونوا كداء السرطان في الجسم ، يخشى من فتكهم في جسم الأمة .

الخدعة وانسحاب قريش

جاء نعيم بن مسعود الى الرسول (صلعم) وكان قد اسلم ، فقام بعمل فرق فيه بين اليهود في داخل المدينة وبين اعداء الاسلام في خارجها (٢) فرفض اليهود التعاون مع قريش كما ان قريشاً لم تأمنهم .

وبعد حصار دام نيفا وعشرين يوما هبت ريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفا قدورهم وتطرح ابنيتهم وعند ذلك اضطرت قريش وحلفاؤها للانسحاب الى مكة ، وخاصة انها فقدت قسماً من قادتها (٣) ورأت ثبات المسلمين وصلابتهم .

---

(١) في ذلك نزل (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) .

(٢) اقنع نعيم بن مسعود يهود المدينة بني قريضة على ان ياخذوا رهائن من قريش قبل القيام باى عمل وافهم قريشاً ان بني قريضة يريدون اخذ رهائن منهم ليسلموها الى المسلمين راجع الطبرى جـ ٣ ص ٥٠ .

(٣) حيث تمكن علي بن ابي طالب من قتل بطل قريش عمرو بن عبدود في هذه الوقعة

وعند ما انسحبت قريش ، تركت قوة المؤخرة مؤلفة من مائة فارس بقيادة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص لحماية انسحابها[١] ولا بد ان يكون خالد هو الذي يحمي قوة قريش فهو قائد خيلها وبطلها الذي اعتمدت عليه في جميع الاوقات

خالد وعمرو بن العاص في مؤخرة قريش

ولأن فشلت قريش في حربها في اجتياز الخندق فقد نبه هذا الخندق خالد بن الوليد الى ما غفل عنه من انواع القتال وهو التفكير بمعالجة هذه الخنادق [٢] .

الحديبية

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة خرج النبي (صلعم) معتمراً لا يريد حرباً هو ومن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من العرب وساق معه الهدى واحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلموا انه جاء زائراً لهذا البيت معظماً له[٣] .

وكان تعداد المسلمين يزيد على الفوار بعمائة رجل[٤] وكان الرسول (صلعم) قد اخرج امامه مفرزة استطلاع بقوة عشرين فارسا فاتاه الخبر ان قريشاً لبست جلود النمور وقد نزلوا بذي طوي يحلفون بالله لا تدخلها عليهم ابدا وهذا خالد بن الوليد في

عدد المسلمين

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ ٢ ٤٢٢

(٢) سنرى في فتح العراق كيف تمكن خالد من معالجة الخنادق

(٣) الطبري جـ ٣ ص ٧١

(٤) نفس المصدر ص ٧٢

خيلهم وكانت عدة الخيل مائتي فارس (١) وهكذا فقد استخدم كلا الطرفين الخيالة للامام وهو استخدام صحيح سواء للاستطلاع ام للقتال وتقدم خالد بن الوليد نحو المسلمين فوجدهم في صلاتهم ولم يهاجمهم ويظهر انه اراد ان يطلع على احوال المسلمين واوضاعهم او انه وصلهم ولم يكن متهيئاً للمعركة ويذهب راينا الى الفكرة الاولى وهو انه اراد ان يطلع على احوالهم ـ وقد ورد انه انتظر صلاة اخرى يصليها المسلمون ليهجم عليهم غير انهم صلوا صلاة الخائف واتخذوا تدابير الحماية فلم تسنح له الفرصة للهجوم بعد ان فاتت عليه الفرصة الاولى مع العلم انه كان يتحرق لمقاتلة المسلمين وخالد كما سنراه لا يشترك في معركة غير مضمونة نتيجتها وان النصر يكون بجانبه فيها وهي الخطة المثلى لكل قائد.

موقف خالد

خالد فى عمرة القضية

زار المسلمون مكة المكرمة بعد صلح الحديبية وكان خالد بن الوليد من المتغيبين عنها وله عذر فى ذلك فهو الجندي المطبوع يقاتل المسلمين ويحوز النصر لقريش واذا برجال قريش يفاوضون المسلمين ويسمحون لهم بدخول الى مكة بارغم عليه وهو الذي يتحرق لقتالهم فلا بعد له ان يترك مكة عند ما يدخلها المسلمون ولو كانوا زائرين لانه يعد ذلك غلبا وانتصاراً للمسلمين على قريش ولا يكون هو

ـ١ـ في رواية أن خالداً كان مع رسول الله ـ صلعم ـ مسلما . وما اثبتناه هو الصحيح .

مرتاحاً نفسياً من ذلك ولهذا لا يسعه ان يبقى في مكة ويرى المسلمين فيها وهو يتحرق وعلى هذا فعذره واضح في ترك مكة مدة بقاء المسلمين فيها .

اسلام خالد

نفسية خالد وتفكيره

لم يكن خالد بن الوليد الا احد مفكرى قريش ، فهو قائد خيلها . ذو عقل راجح فلا بد أنه كان يفكر في الدين الجديد في نفسه ليتدبره ، فما الذي يدعوا إلية الاسلام ؟ وماهي المبادىء التي يدعو إليها رسول الله (صلعهم) ؟

ان محمد يقر العادات الطيبة ، ويحث على الفضيلة ، وترك الرذيلة ونصرة المظلوم ، والضرب على ايدي الظالم ، وهذه هى الخلق المفضل لدى العرب ، ولا بد أنه رأى وعلم عن عمل قريش قبل دعوة الرسول (صلعم) الى تدعيم الفضائل الحسنة ، فلماذا لا يعلن اسلامه وينظم الى المسلمين ؟ هل انه لم يكن يعرف حال المسلمين جيداً ؟ ام ان الزعامة كانت لغيره في قريش وهم يوجهونها كيف شاؤا ؟ ثم انه اذا اعلن اسلامه فما هو موقفه من المسلمين وما هو وموقف المسلمين منه ؟

فقد يكون انه لا يعرف حال المسلمين جيدا ولكنه قد راهم في الحديبية في الصلاة وكيف انهم يطيعون الرسول ولا بد انه سمع عنهم كثيراً بعد انزاروا مكة وعرف الكثيرعن مايدعون اليه فلا بد له‌ان يعلن اسلامه .

وقد يكون لعامل الزعامة اثر كبير فى ذلك فان شباب العرب

يحترمون شيوخهم ويتبعون آراءهم لما لهم من احلام توازي الجبال فلا بد ان يلوذ بهم شباب قريش غير ان هذا العامل ضعف كثيرا بعد دخول المسلمين الى مكة المكرمة فقد فكرت قريش شيباً وشباناً في الامر الجديد فاصبح لخالد كما أصبح لغيره الحرية في اعلان معتقده وبالاخص إن المسلمين يعظمون البيت الذي تعظمه قريش ويدعوهم الرسول الى كل حسن والاسلام آخذ في الانتشار والناس يدخلون فيه فالى اين يولي شطره ان لم يعلن اسلامه ؟ هل يهجر مكة الى مكان آخر والى اين ؟ الى النجاشي فالنجاشي قد منع المسلمين وحماهم ؟ ام الى الروم فيخرج من دين لدين ؟ ام يبقى على دينه الذي وجد عليه اباه الوليد وهذا آخذ في الزوال ؟ فلا بد اذن ان يعطى القرار في هذا ويعلن اسلامه ولكن ما هو موقفه من المسلمين اذا اعلن اسلامه وما هي قيمته لدى الرسول (صلعم)؟

تلك النفسية البشرية لا بد وان تدفعه للتفكير في هذا قبل ان يعلن اسلامه وهو الذي وقف المواقف كلها ضد المسلمين وهو صاحب خيل قريش ولولاه لما احرزت قريش النصر على المسلمين.

كتاب أخيه الوليد

وبينما هو في افكاره هذه اذ جاءته رسالة اخيه الوليد بعد دخول المسلمين مكة فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد . فاني لم ار اعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام لا يجهله احد ؟ فقد سألني عنك رسول الله (صلعم) فقال : اين خالد ؟ فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو جعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدمناه على غيره . فاستدرك

ياأخي ما فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة (١) وبوصول هذه الرسالة الى خالد نشط خالد في الخروج الى المدينة المنورة لاعلان اسلامه فقد زال ما كان ينكر فيه فهذا اخوه الوليد يكتب اليه (فقدم سألني عنك رسول الله) وهذا يدل على ان الرسول الاعظم لم ينس خالداً فهو فيه منزلة رفيعة لديه فقد قال لاخيه (لقد مناه على غيره) وكتاب اخيه وكلام الرسول حادث مهم له فلم يبق لديه شك في منزلته ، ولذلك نراه يقول (فلما جاءني كتابه «يقصد كتاب اخيه» نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرني مقالة رسول الله «صلعم») وهذا يثبت ان خالداً كان بمعركة نفسية قبل ورود كتاب اخيه . وبعد هذا ارسل الى رسول الله هدية افراساً ثم عزم على الهجرة الى المدينة المنورة ولما صمم خالد على الخروج الى المدينة لقي صفوان بن امية وقال له : ياابا وهب ! اما ترى ان محمداً ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا .

هجرة خالد

قال : لو لم يبق غيري ما اتبعته ابدا . ثم لقي عكرمة بن ابي جهل فقال له فاجابه عكرمة بمثل ما قال صفوان ثم وجد عثمان بن طلحة فتواعد محلا خارج مكة فلما اجتمعا سارا حتى وصلا الهدة (٢) فوجدوا عمرو بن العاص فاعلم كل طرف منها - صاحبه بنية دخوله الاسلام فاصطحبوا جميعا حتى دخلوا المدينة واناخوا بالحرة فاخبر بهم رسول الله (صلعم) فقال الرسول (رمتكم مكة بافلاذ كبدها) وكان

---

(١) راجع الطبرى ج ٣ والسيرة الحلبية ج ٣ والاصابة فى تمييز الصحابة ج ٦ والمغازي للواقدي وسيرة بن هشام ج ٢ وغيرها .

(٢) الهدة محل في خارج مكة

يقصد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص هذا قائد محنك وذاك داهية وسياسي عظيم وخالد يقول: ثم عمدت الى رسول الله (صلعم) فلقيني اخي فقال اسرع فان رسول الله قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المش فاطلعت عليه، فما زال (صلعم) يبتسم لي حتى وقفت عليه وسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت (اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله).

قال: الحمد لله الذي هداك قد كنت ارى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير.

تلك شهادة من المنقذ الاعظم بحق خالد وتفكيره وعقله اعظم بها من شهادة فيه وهذا يدل على ان منزلة خالد كانت بدرجة عالية لدى رسول الله (صلعم) وهذا ما كان يريد خالد ان يفهمه قبل اعلان اسلامه.

اثر نفسية خالد في اعلانه الاسلام

تقدم عمرو بن العاص وبايع رسول الله على ان يغفر له ما تقدم من ذنبه فقال رسول الله (صلعم): ياعمرو! بايع فان الاسلام يجب ما قبله وان الهجرة تجب ما قبلها، فبايع وانصرف.

وهكذا نجد السياسيين، يكتفون من امورهم بما يشير الى مقصدهم اما خالد بن الوليد وهو العسكرى بطبعه، فانه لم يكتف بالذي اكتفى به عمرو بن العاص لذلك نراه يقول للرسول:

يارسول الله: ادع الله لي ان يغفر لي تلك المواطن التي كنت اشهدها عليك.

فقال الرسول: الاسلام يجب ماقبله...

فقال خالد: يارسول الله! على ذلك.

فقال الرسول اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلما اوضع فيه من صد عن سبيلك .

وهذا يوضح لنا ان خالدا كان بمعركة نفسية في هذه الحالة ، واراد ان ينهيها كما ينهي اي معركة من معاركه ، وهذا شأن الجندي المطبوع على الجندية ، يريد ان تكون معاركة فاصلة ، وتجلى ذلك في حواره مع الرسول (صلعم) . فلما دعاله بالغفران استقرت نفسيته ، وبهذا تهيأ لما هو اعظم من الاعمال ، وليس بخاف ماللتأثير الهدوء النفسي على سيرة الرجال وعلى نتائج اعمالهم .

« لما اراد الله عزوجل ماارد بي من الخير قذف في قلبي حب الاسلام وحضرلي رشدي » .

(خالد)

الفصل الثاني

في ركاب الاسلام * غزوة مؤته * فتح مكة * معاملة الرسول لقريش * بنو جذيمة * غزوة حنين * حصار الطائف بني المصطلق * غزوة تبوك * الدار الباقية



في ركاب الاسلام

الآن وقد استقام المنسم لخالد ، وآمن بمحمد انه رسول الله ، وان الدين عند الله هو الاسلام بعد ان وقف تلك المواقف كلها ضده فلا بد له ان يثبت اخلاصه للاسلام والمسلمين ، وان يكون شديداً على قريش كما كان شديداً على المسلمين ، وخاصة انه اسلم بالرغم من قريش وهو قائد خيلها (١) فموقفه صريح منهم ، وهو ان لا يرحم احداً منهم ويكون شديداً عليهم .

غير ان الرسول الاعظم لم تكن فكرته الشدة ، وانما كان يريد ان يحارب قريش بهوادة لا يقضي بها على قريش ، فهو يريد ان

---

١ ـ جاء ان ابا سفيان وسأل خالدا عندما بلغه عن عزمه بدخول الاسلام أحقاً ما بلغني عنك ؟ فاجابه خالد : انه حق فقال له ابو سفيان واللات والعزى لو اعلم ان الذي تقول حق لبدأت بك قبل محمد فاجابه خالد : فوالله انه لحق على رغم من رغم الطبري جـ ٣

يبقيهم ليؤدوا رسالتهم الى العالم، ويظهروا الدين للناس : ولذلك اختلف عن الرسل الآخرين الذين طلبوا هلاك قومهم، مع انه لم يكن (صلعم) مسالماً لدرجة الخضوع وإنما كان يركن الى السلاح عندما يرى ان لا فائدة ترتجى الا به فيضرب رؤوس الفتنة ايا كانوا فيسهل عليه افهام الناس دعوته فلا بد لخالد ان يساير رغبة الرسول هذه تجاه قريش والعرب . وبما انه حديث عهد بالاسلام ، وكثيرون قبله قد سبقوه، فهم احق بالتقدم في القيادة عليه ، فــلا بد له اذا ان ينتظر، ويصرف قسما من وقته ليثقف عقله بالدين الجديد ويتفهم حقائقه . ولذا لم يؤمره الرسول (صلعم) على سرية مؤتة ولم يذكر اسمه ضمن المقدمين على الرغم من انه قال لاخيه الوليد (لقدمناه على غيره) وهو يعرف مقدرته ، غير ان الله كتب له الا ان يكون اميراً فاستشهد الامراء الثلاثة في معركة مؤتة فأمره الجند عليهم فكان سيفهم القاطع الذي تمكنوا به من الافلات من قوات متفوقة عليهم، فزادت قيمته لدى المسلمين والرسول لم يعدل به منذ اسلم احد من اصحابه فيما حزبه .

غزوة مؤتة (١)

كان رسول الله (صلعم) قد بعث الى ملوك الامم المجاورة ، يدعوها للاسلام (٢) ولما عاد مبعوثه الى صاحب بصري قتل

---

(١) مؤتة بالضم ثم واو مهموزة ساكنة وتاء مثناة من فوقها قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . معجم البلدان جـ ٨ ص ١٩٠

(٢) الطبري جـ ٩ ص ٨٨ - ٩٠

بطريق عودته الى المدينة المنورة فارسل الرسول (صلعم) في شهر جمادي الاول لسنة ثمان من الهجرة الموافقة لسنة ٦٣٠ ميلادية سرية الامراء بقوة ثلاثة الاف مقاتل باتجاه سورية (١) وامر عليها زيد بن حارثة فان قتل فالامير جعفر بن ابى طالب فان قتل فالامير عبد الله بن رواحه الذي سار مع السرية وهو يقول :

لـكنني اسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
اوطعنة بيدي حوران مجهزة ... بحربة تقذف الاحشاء والـكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... ارشدك الله من غاز وقد رشدا

وكان خالد بن الوليد قد ارسل في هـذه السرية ، ولم يذكر اسمه مع القادة الذين سيتولون القيادة ولما بلغوا الشام نزلت السرية في معان ، فجاء الخبر ان جموع هرقل قد نزلت مآب من ارض البلقاء بقوة تقدر بمائة الف من الروم ، وقد انظم الى الروم قبائل من لخم وجذام ،فاقاموا في معان ليلتين يتشاورون في امرهم وفكروا في مكاتبة الرسول بموقفهم غيران عبدالله بن رواحه قال لهم (ياقوم والله ! ان الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة) فقال الناس صدق والله بن رواحه (٢) .

وهذا اسلوب من الخطب لرفع معنويات المقاتلين في كل حين

---

(١) يقولون حتى ان هذا سبب ظاهري والسبب الحقيقي هو الحصول على السيوف المشر فيه

(٢) الطبري جـ ص ١٠٥

فان الجندي اذا تثقف جيداً وفهم الواجب الذي يقاتل من اجله وسمو الغاية التي يصبو اليها في قتاله فذكر الموت يرفع معنوياته ويزيده ثباتاً في المعركة فاما ظهور واما شهادة .

إذا أويتني وحملت رحلي مسيرة اربع بعد العشاء
فشأنك انعم وخلاك ذم ولا ارجع الى اهلي ورأني

وقد تقدم المسلمون ، ولقيهم الروم في مشارف (١) فانحاز المسلمون الى مؤته ، وتقع هذه على بضعة اميال من مدينة كراك الحديثة .

المعركة

كانت المناوشات تجري فردية ، ولم تذكر لنا تفاصيل وافيه عن المعركة غير قتال الامراء الثلاثة واستشهادهم ، فقتل زيد بن حارثة واخذ الراية جعفر بن ابي طالب فعقر فرسه (٢) ثم استشهد فاخذ الراية عبدالله بن رواحة وهو ينشد :

يا نفس الا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت ان تفعلي فعلهما هديت

وبقتله اصبح المسلمون بلا قائديقودهم فتقدم ثابت بن ارقم فاخذ الراية فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا له انت . فقال، ما انا بفاعل ثم اصطلحوا على خالد بن الوليد يولونه قيادتهم (٣) .

---

(١) قرية من اعمال الشام
(٢) ٣ ـ وهو اول من عقر فرسه في الاسلام الطبري ج ٣ ص ١٠٩
(٣) راجع معظم مراجع التاريخ العربية

الموقف عند استلام خالد القيادة

كان الروم منتصرين وقواتهم متفوقة على قوات المسلمين تفوقاً لا نسبة فيه . مما حدى بالرواة والمؤرخين العرب ان يذكروا ارقاماً كبيرة ، فالمقل يذكر قوات الروم مائة وخمسين الفا وربما حملهم على ذكر هذه الارقام هو الخيبة في هذه الغزوة (١) وانها لم تنل ما هدفت اليه وهى اول سرية ترسل الى خارج الجزيرة العربية ، اما المسلمون فلا تزيد قوتهم على ثلاثة آلاف من المقاتلين قتل امراؤهم الثلاث ومعنوياتهم متزعزعة او كادوا يفقدونها ولم يسبق لهم ان اشتركوا بقتال عدو خارج بلادهم بينما كان عدوهم قد انتصر منذ امد قريب على قوات الفرس واحرق معبدهم واعاد الصليب الى القدس وملكهم في زيارة بها وقواته لا زالت في سوريا ، وانهم استخبروا عن حركة سرية الامراء ، فاتخذوا الحيطة تجاهها مبكرا.

الخدعة:

فلما تولى خالد القيادة قاتل فى يومه قتالا شديداً ، ولما غدا غير نظام الجيش اذ انه عمد الى الخدعة ، ليوهن من عزم عدوه بعض الوهن ، ولذلك غير الساقه بالمقدمة ، وجعل الميمنة والميسرة كل منهما مكان الاخرى (٢) ولا بد ان يكون هذا التغيير قد جرى ليلا ، لكي لا يشعر العدو بما ينويه خالد وهذا ما جعل الروم يفكرون بوصول نجدات الى المسلمين ولابد لهم ان ينتظروا ، لينكشف لهم الموقف وهذا التدبير يدل على عظم تفكير خالد ومهارته في القيادة .

-١- سميت غزوة تساهلا حيث لم يخرج بها رسول الله - صلعم -

-٢- سيرة بن هشام جـ ٤ ص ٩٦

في المعركة

وخالد كما هي عادته يتقدم جنده في القتال فهو لا يكون بمأمن عنهم في المعركة وانما يكون معهم ، وبهذا يحافظ على معنوياتهم ويرفعها وهذا شان القادة فانهم لا يتركون قطعاتهم ، بل يشاركونها عملها وشعورها وهذا نابليون لما راى ان نيران مدفعية النمساويين اخذت تحصد جنوده واجبرتهم على التراجع ، حمل بيده علما وصاح (اتبعوا قائدكم (١) متقدما امامهم ، فتبعوه وانتصروا في المعركة وهذا العمل هو من طباع خالد بن الوليد قبل نابليون بالف ومائتي عام ، فقال خالد (لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف فما ثبت في يدي الا صفيحة يمانية (٢)) وبهذا تمكن خالد من رفع معنويات جنده فكان قدوة لهم فآسوا نفوسهم به .

على انني آسيت نفسي بخالد الا خالد في القوم ليس له مثل (٣)

الانسحاب

وقد تمكن خالد بن الوليد من قطع التماس بعدوه المتفوق حيث انه دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه وانصرف بالناس وقد ساعده على ذلك تفاني الجند معه في القتال ، ومهارته في القيادة فلم يعقبه الروم .

مطاردة الروم

لم يطارد الروم المسلمين في انسحابهم هذا وانما اكتفوا برجوعهم الى الحجاز ولم ينالوا شيئا ونعتقد ان السبب في ذلك ، هو ان العرب ينسحبون الى البادية ، فيتحصنوا بها ، فلا تتمكن القطعات الرومانية من مطاردتهم فيها لعدم تعودهم على ضرواتها كما ان كثرة اثقال

-١- في معركة نهر ادا بين الفرنسيين والنمساويين .
-٢- طبقات بن سعد ج ٤ ص ٢
-٣- لقيس بن المحسر اليعربي

الجيش الروماني تسبب بطاءة حركته بالنسبة الى حركة القوات العربية ولذا نرى العرب يقاتلون على ادنى حجر لهم من البادية لانها تحميهم وتقي ظهورهم (١) وعامل آخر ساعد على هذا الانسحاب وهو ان العربي ينجح حيث ينجح الجمل الذى لم ينجح الرومان في استخدامه كما استخدمه العرب فكان من عوامل انتصار العرب في كثير من المعارك

والقتال في الصحراء يتطلب النجاح فيه من هو قادر على تحمل ضراوتها والتكيف حسب ظروفها وليس اقدر من البدوى الذي تكون جسمه من حزمة من الاعصاب والعضلات والعظام على تحمل مناخ الصحراء القاسي وجدب ارضها ، على ان لدى الروم خيالة لخم وجذام وكان بوسعهم استخدامها للقضاء على هذه السرية غير ان خدعة خالد ، وعدم رغبتهم فى المجازفة بالقوات ، منعتهم من هذه المطاردة التي شجعت العرب فى ما بعد على انتزاع سورية من ايديهم .

سيف الله

وقد اخبر رسول الله (صلعم) المسلمين باستشهاد الامراء الثلاثة ، واستغفر لهم ،وشهد بشهادتهم في القتال ، وبعدها اخبر المسلمين بان اللواء اخذه خالد بن الوليد ، ولم يكن من الامراء فأمر نفسه فقال الرسول (اللهم انه سيف من سيوفك فانت تنصره) فمنذ يومئذ سمى خالد (سيف الله) (٢)

---

(١) تلك هي خطة السوق البدوي ، وعليها استندت وصية المثنى الى سعد بن ابى وقاص في قتال الفرس .

(٢) الطبري ج ٣ ص ١٠٩ !

الـكرار انسحب خالدبن الوليدالى المدينة المنورة بعد ان فقد ثلاثةعشر شهيداً ، فلما وصلها استقبلهم اهلها بوجه عبوس وقال الناس لهم (بافرار في سبيل الله) فرد عليهم رسول الله (صلعم) - (ليسوا بالفرار ولـكنهم الـكرار انشاء الله) (١) وفي هذا وجه رسول الله فكرة المسلمين الى غزو سورية بعدئذ .

فتح مكة

سبب المعركة كان الرسول (صلعم) قدعادن قريشاً بعدالحديبية ، غير ان قريشاً فدت بني بكر بالسلاح ، وهم حلفاء ضد خزاعة التي كانت محالفة للمسلمين ، وحازوها الى الحرم ، ونالوا منها ، فخرج عمروبن سالم الخزاعي احد بني كعب ، وقدم على الرسول (صلعم) في المدينة واخبره الخبر وأنشد .

لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا
وجعلوا لي في كداء رصدا وزعموا ان لست ادعو احدا
وهم اذل واقل عـــددا هم بيتونا بالوتير (٢) هجـــدا
فقتلونا ركعاً وسجدا

فقال الرسول (صلعم) قد نصرت ياعمرو بن سالم (٣) .

وامر الرسول الناس بالجهاد وبالجد وبالتهيؤ ، وامر اهله ان يجهزوه ، ويظهر ان الرسول (صلعم) كتم الاتجاه الذي ينوي

---

(١) الطبري ج ٣ ص ١١٠
(٣) الوتير ماء لبني خزاعة راجع الطبري ج ٣ ص١١٢
(٣) الطبري ج ٣ ص ١١٢ وص ١١٣

المسير به ، حتى ان الصديق ابو بكر رض الله عنه لم يكن يعلم عن ذلك شيئاً . حيث دخل على ابنته عائشة ام المؤمنين ، ورآها تهيء جهاز الرسول فقال : اي بنيه أأمركم رسول الله ان تجهزوه ؟ قالت نعم فتجهز .

قال فاين ترينه يريد ؟

قالت والله ما ادرى .

ولا بد من هذا الكتمان ، والرسول هو القائل استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، وبعد ان تجهز الناس ، اخبرهم بالاتجاه ، وكان حاطب بن ابى بلتعة قد كتب كتاباً الى قريش يخبرها بتهيؤ الرسول وارسله مع امراة لايصاله الى قريش ففشل بذلك حيث تمكن علي بن أبي طالب والزبير بن العوام من اللحاق بها في الحليفة (١) وجاء بالرسالة الى الرسول ، وسال حاطباً عنها ، فاعترف واعتذر وكان من اهل بدر فنزل فيه (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ... الخ) .

المسير سار رسول الله (صلعم) بالمسلمين عصر يوم الاربعاء لعشر ليالي مضين من شهر رمضان (٢) بجيش عظيم ، بلغت عدته عشرة آلاف مقاتل ، وكان منهم سبعمائة من المهاجرين ، وثلثمائة فرس ومنهم اربعة آلاف من الانصار ، ومعهم خمسمائة فرس ، فلم يتخلف من من المهاجرين والانصار احد (٣) وكان باقي الجيش من اسلم ، وغفار ،

---

(١) الحليفة موضع في طريق مكة من المدينة راجع الطبري ج ٣ ص ١١٤

(٢) طبقات بن سعد ج ٢ ص ٩٩

(٣) الطبري ج ٣ ص ١١٤

ومزينة ، وجهينة (١) ولم تكن قريش تعلم وجهة جيش المسلمين حتى نزل بمر الظهران .

خطة دخول مكة

وبعد ان تقدم المسلمون ووصلوا ذي طوي (٢) فرق الرسول جيشه فجعل في الميمنه قبائل اسلم ، وسليم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة وقبائل من قبائل العرب (٣) واميرهم خالد بن الوليد ، وامره ان يدخل من اسفل مكة من الليط (٤) وكان مجموع القوة التي تحت امرة خالد قرابة ثلث الجيش وهذا يدل على اعتماد الرسول (صلعم) على خالد بن الوليد في القيادة وتقديره له ومما يدل على هذا الاعتماد ان كثيراً من الصحابة الكرام الذين سبقوا خالدا في الاسلام كانوا في هذا الجيش وخاصة المهاجرين والانصار الذين لم يتخلف منهم احد

وامر الزبير أن يدخل من كدى (٥) وهو على المسيرة ، وامر سعد بن عبادة ان يدخل مكة من كداء فقال هذا (اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل المحرمة) فسمعها رجل من المهاجرين فاخبر الرسول بها وقال (وما نأمن ان تكون له في قريش صوله) (٦) فابدل الرسول (صلعم) قيادته بقيادة علي بن أبي طالب واقبل ابو

---

(١) الطبري ج ٣ ص ١١٤

(٢) موضع قرب مكة معجم البلدان ج ٦ ص ٦٤

(٣) الطبري ج ٣ ص ١١١ بن هشام ج ٢ ص ٢٧١

(٤) موضع اسفل مكة معجم البلدان ج ٧ ص ٣٤٦

(٥) كدى بضم الكاف وتنوين الدال باسفل مكة عند ذي طوي عند شعب الشافعيين وكداء الممدودة باعلى مكة معجم البلدان ج ٧ ص ٣٢١

(٦) الطبري ج ٣ ص ١١٨

عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله (صلعم) فدخل الرسول من اذاخر ، حتى نزل باعلى مكة وضربت هناك قبته (١) .

وبهذه الخطة يكون الرسول قد طوق مكة من اطرافها ، فتقدم المسلمون من جميع الاتجاهات بوقت واحد ، وهذه من خير الخطط لاحتلال المدن حيث اذا توقف رتل فى اتجاه ، فلا بد ان تنجح الارتال الاخرى .

الاوامر

اصدر النبي (صلعم) اوامره الى جميع القادة ورجاله (ان لا يقتلوا احداً الا من قاتله الا انه امر بنفر أن يقتلوا وسماهم باسمائهم ا كما انه اخبر اباسفيان بعد ان اعلن اسلامه في مر الظهران أن من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

وعلى هذا لابد وان اصدر الرسول اوامره بعدم التعرض لهؤلاء .

ابو سفيان بن حرب

لم تعلم قريش وجهة جيش المسلمين ، فلما نزل المسلمون مر الظهران خرج ابو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله (صلعم) فجاء به العباس عم النبي الى المعسكر ، فطلب عمر بن الخطاب من الرسول السماح بضرب عنقه ، ولكن خطة الرسول كانت أن يدعو العرب للاسلام فقال (صلعم) (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله) فاسلم ابو سفيان واوعده الرسول ان من دخل داره فهو آمن ،

---

(١) الطبري ج ٣ ص ١١٨

ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .

ابو سفيان في المسجد

وقال الرسول (صلعم) الى العباس : انصرف ياعباس فاحبسه عند خطم الوادي فمرت القبائل فشاهدها ابو سفيان وكان يسأل عنها . ثم انطلق بعدها الى مكة فوقف فى المسجد ، وقال لقريش ان لاقبل لهم بقوات المسلمين ، وأبلغهم الامان الذي اعطاها الرسول لهم (١) .

رجال مكة

اما اهالي قريش فانهم لم يقبلوا النصيحة كلهم ، ولم يعملوا بنصيحة العباس حين قال لهم ; اتيتم . اتيتم واستبطنتم باشهب بازل ، هذا خالد باسفل مكة والزبير باعلى مكة ، وهذا رسول الله في المهاجرين والانصار وخزاعة ، فقال قسم من قريش وما خزاعة ، المجدعة الانوف (٢) وقدمت قريش أو باشها واتباعها لقتال المسلمين وفي رواية ان الرسول اشار بيديه ان اقتلوهم عندما رآهم (٣) .

ولبيان نفسية رجال قريش في مكة وتصميمهم على القتال نذكر الابيات التالية لحماسى بن قيس بن خالد اخو بني بكر عندما كان يعد سلاحه .

إن تقبلوا اليوم فمالي عله　　هـذا سلاح كامل وإله

وذو غرارين سريع السلة (٤)

خالد يدخل مكة بقتال

تقدم المسلمون وما كانوا يريدون القتال وقد سبق ان اشرنا الى الامان الذي امنهم به رسول الله (صلعم) غير ان سهيل بن عمرو وعكرمه بن ابي جهل وصفوان بن امية جمعوا اناساً بالخندمة

(١) الطبري ج ص ١٢٧

(٣) فتوح البلدان البلاذري ص ٥١

(٣) نفس المصدر ص ٥٢

(٤) الطبري ج ٣ ص ٧٢٨

ومعهم الاحابيش وبنو بكر وبنو الحارث ليقاتلوا (١) فاعترضوا خالدا وقاتلوه بالخندمه وكان خالد اول من يدخل مكة حسب اوامر الرسول فقاتلهم خالد وقتل منهم وانهزم من لم يتمكن على البقاء ومقابلته فى الميدان فقال حماس لامرأته - وكان من المنهزمين - ! (اغلقي علي بابي) (٢) فقالت له اما كنت تقول ؟ فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمه اذ فر صفوان وفر عكرمة (٣)
وحيث زيد قائم كالمأتمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه لم تنطق في اللوم ادنى كلمه (٣)

وهذه الابيات تبين شدة وقعة خالد في هؤلاء الذين اخذتهم العزة بالاثم فلاقوا من خالد بن الوليد جزاءهم عاجلا وقد قتل من جماعة خالد كرز بن جابر الفهري وخنيس بن خالد لأنهما شذا عن المسلمين وسلكا طريقا غير طريقهم فقتلا (٤) وقتل اربعة وعشرون رجل من قريش واربعة نفر من هذيل ويقال قتل ثلاثة وعشرون رجل من قريش وانهزم الباقون واعتصموا برؤوس الجبال (٥) .

وقد رأى رسول الله امراة مقتولة فقال لحنظلة الكاتب من قتلها ؟ فقال خالد بن الوليد فقال له ادرك خالداً فقل له ان رسول الله ينهاك ان تقتل امرأة او وليداً او عسيفاً فسأله النبي بعد ذلك

---

(١) الطبري جـ٣ ص ١١٨
(٢) نفس المصدر ص ١٩ وكان صفوان قد ترك مكة نهائياً لولم يدركه من اقنعه بالرجوع
(٣) وفي رواية انهما كانا في خيل الزبير
(٤) البلاذري ص ٥٢

ما حملك على القتال فقال خالد يا رسول الله اتاني رسولك يأمرني بذلك .

فقال للرسول ما حملك على ذلك ؟

فقال : رسول الله ! ارايت ان كنت امرتني آمره ان لا يقتل احداً فذهب وهمي الى ان اقول له اقتل من لقيت لشيء اراده الله فكف عنه رسول الله (صلعم) .

وليس لنا ان نلوم خالداً على قتاله فان جماعة صفوان وعكرمة كانوا مصممين على القتال .

معاملة الرسول لقريش

ذلك السؤال الذي يخطر لاحد فلماذا لم يقسو الرسول مع قريش فامر امراءقواته بعدم القتال وامن قريشاً بالامان الذي ذكرناه فقال بعض الانصار لبعضهم (اما الرجل فادركته رغبة في قرابته ورافة بعشيرته) فجاء الوحي .

فقال لهم : يا معشر الانصار قلتم كذا وكذا . قالوا قد كان ذلك يا رسول الله ! قال : كلا . اني عبدالله ورسوله . هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محيا كم . والممات مماتكم (١) . . . الخ فهل لان مكة محرمة ولا يريد ان قاتل فيها ولكن القريشيين صمم قسم منهم على القتال .

ونرى ان رسول الله (صلعم)قال لقريش وقد انتصر عليها وهم اعداءه الاشداء : ما تظنون اني فاعل بكم ؟

---

(١) البلاذري ص ٥

قالوا نظن خيراً اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت .
قال سأقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم الا كل دين ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي الا سدانة البيت وسقاية الحاج (١) ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فقالوا وصلتك الرحم .

فلماذا اطلقهم وهم فيء له ؟ وليس هناك من باعث يحمل النبي الكريم (ص) على المن عليهم بالاطلاق الا باعث واحد هو ان الرسالة جاءت في العرب وعليهم ان يقوموا بايصالها الى العالم فهي ليست خاصة بهم وان رسول الله ارسله الله رحمة للعالمين وبشيرا ونذيراً للناس كافة وعلى امته التي اختارها الله لهذا الواجب ان تقوم باداء الرسالة .

فالرسول لم يكن ليبيدهم عندما يحاربهم ولهذا نجده يؤمن على اعدائه الاشدون الذين فروا من مكة بعد دخوله لها دخول الفاتحين «٢» . فهو يعدهم لما هو اعظم من الواجبات ليبشروا الناس كافة وينشروا لواء الاسلام ويكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا ولا يمكن ان يقوموا بهذا الواجب الذي اختصهم به الله (جل جلاله) مالم يثقفوا عقولهم بالدين ويتفهموا مافيه من حكمة بالغة ولهذا لم يعمل كما عمل غيره من الرسل من المعجزات التي يذهب اثرها بذهابهم انما جاء محمد (صلعم) بالمعجزة الخالدة « القرآن » المجيد معلما لهم كي يستخدموا عقولهم وان امهال صفوان

---

(١) البلاذري ص ٥٥
(٢) آمن الرسول صفوان بن أمية وكان هارباً الطبري جـ ٣ ص ١١٨

بن اميه وجعله بالخيار في امره لمدة اربعة اشهر . بينما طلب هذا الامهال لمدة شهرين ما هو الا تأييد لما ذكرناه .

بين عمر وخالد

ذلك الاسلوب الذي تفهمه عمر بن الخطاب واراد أن يسير خلفاء الرسول على منهاجه فكان مثقفاً في عهد الخليفة ابى بكر الصديق بينما تابع خالد بن الوليد فكرة الجهاد في سبيل الله فحدث الخلاف بين عمر وخالد في اسلوب اجتلاب العرب ، وجمعهم تحت راية الاسلام ، واعلاء كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

لماذا اختار الرسول خالد للقيادة

ذكرنا فكرة الرسول هذه ، ولكن لماذا اختار الرسول خالداً لقيادة قوات الميمنة فى جيشه ؟ وخالد كما ذكرنا - معروف بشدته في القتال ، وانه لايقبل من اعدائه الا ان يتركوا السلاح ، ويعلنوا الخضوع صريحاً وينفذوا اوامره تلك الشدة التي كان الرسول يلطف من حدتها دائماً .

فالعرب جميعاً يقرون بالزعامة لمن يسيطر على البيت الحرام ، ويستلم مفاتيحه ، وهم يقرون لقريش بهذه الزعامة لتوليها امر البيت الحرام ، وهذا ماجعل الرسول الاعظم ، ان يجعل كل دين ، ومال ، ومأثرة في الجاهلية تحت قدمه الا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، فهذه رمز الزعامة ، ولا بد ان تقر العرب للاسلام بالزعامة باستلامها ، فيسهل على المسلمين جمعهم تحت رايته ، كما ان قريشاً لا يهون عليها فقد ان هذه الرئاسة ، واخراجها من يدها الى ايدي المسلمين فلا بد أن يصمم رجالها على القتال كما حدث فعلا عند دخول المسلمين مكة وان ماذكرناه عن فكرة الرسول (صلعم) من تعليم العرب وتثقيفهم ، لا يعنى عدم اتخاذ الحيطة اللازمة والتهيوء للقتال والقضاء

على من تسول له نفسه الوقوف بوجه المسلمين بالقوة . وخاصة في هذا اليوم الذي تتقرر فيه زعامة العرب ، وهو يوم حاسم في تاريخ الاسلام والمسلمين ، بل لابد من اليقظة ، واعداد العدة الحرب للحرب وتسليم قيادة القوات الى رجال امناء في اداء واجباتهم ، وتسليم قيادة الرتل الضارب من قوات المسلمين الى رجل يمتاز بالقيادة ، وقادر على ادارة القطعات ، وعارف بواطن ، وشديد لا يتهاون في حق الله ، ليؤمن المسلمون نصرهم في هذا اليوم الحاسم .

ولم يكن خالد بن الوليد بغريب على الرسول ، فهو يعرف مقدرته جيداً ، وقال لاخيه لقد مناه على غيره ، فلا بد أن يسلمه القيادة في هذا اليوم الحاسم ، وإن لم يسلمه القيادة قبلها[١] ، فأناط به قيادة (٤٢٠٠) مقاتل من القبائل [٢] وهي بني سليم وأسلم ومزينة وغفار وجهينة .

هدم العزى العزى صنم لبني شيبان بطن من سليم حلفاء بنى هاشم وبنو اسد

---

(١) ان تأمير خالد على القوات عند فتح مكة كان لاول مرة منذ دخوله الاسلام

(٢) هنالك روايتان في توزيع قوة خالد بن الوليد بين القبائل التي كانت بامرته كما يلي :

	في روايه المقل	في رواية المكثر
قوة بنى سليم	٧٠٠ مقاتل	١٠٠٠ مقاتل
قوة بني اسلم	٤٠٠ مقاتل	٤٠٠ مقاتل
قوة بنى مزينة	١٠٠٣ مقاتل	١٠٠٣ مقاتل
قوة بنى غفار	٤٠٠ مقاتل	٤٠٠ مقاتل
قوة بني جهينة	٨٠٠ مقاتل	١٤٠٠ مقاتل
مجموع القوات	٣٣٠٢	٤٢٠٣

بن عبد العزى ببطن نخلة وهم يعظمونه كثيراً فارسل رسول الله (صلعم) خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً فهدمه خالد بعد فتح مكة بخمسة ايام لخمس ليال بقين من رمضان (١) وقال :

ياعز كفرانك لا سبحانك   اني رأيت الله قد اهانك

بنو جذيمة

خالد فى بنى جذيمة

لم يركن رسول الله (صلعم) الى الهدوء بعد فتح مكة بل استثمر فوزه هذا وباشر بتطهير المناطق المجاورة لمكة من اعداء الاسلام ونشر الدين الاسلامي فى ربوعها ، وبذلك يتمكن من القضاء على كل مكي عنيد فتتوحد عقيدة قريش والقبائل في الحجاز ، وخاصة ان سكان الجزيرة العربية ينتظرون نتيجة هذا الصراع ، فاذا ما اسلمت الحجاز ، واتبعت الرسول ، فمستقبل الاسلام اضمن واقوى ، فارسل خالداً في ثلثمائة وخمسين رجلا الى بني جذيمة (٢) التي كان رجالها يدعون (لعقة الدم) لشدتهم ، فسار خالد حتى نزل الغميصاء ، وهو ماء لهم ، فقاتلهم وقتل منهم ، ولما سمع رسول الله (صلعم) رفع يديه الى السماء ، وقال اللهم ! اني ابرأ اليك من صنع خالد بن الوليد ، وبعث الامام علي بن أبي طالب وقال ياعلي ! اخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى امرهم ، واجعل امر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج ومعه مال قد بعثه رسول الله (صلعم) به فودى لهم الدماء ، وما اصيب من الأموال ، وقد اختلفت الروايات في امر بني جذيمة ،

---

(١) المغازي للواقدي ص ٧ والطبري جـ ٣ص ١٢٣

(٢) يروي الواقدي ان عدد المقاتلين مع خالد كان سبعمائة مقاتل . المغازى ص ٤١٥

الروايات فى الحادث

ففى رواية الطبري (١) ان خالداً قال لبني جذيمة ضعوا السلاح ، فان الناس قد اسلموا ، فقال لهم جحدم (ويلكم يا بنى جذيمة انه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح الا الاسار ، وما بعد الاسار الا ضرب الاعناق ، والله ! لا اضع سلاحي ابداً ، فما زال به قومه حتى وضع سلاحه ، فلما وضع قومه السلاح جاءه عبدالله بن حذافه السهمي وقال (ان رسول الله قد امرك بقتلهم لامتناعهم عن الاسلام) ثم عرضهم على السيف(٢) .

فى رواية الواقدي (٢) ان خالداً مضى الى حي من كنانة بالابرق ، يقال له بنو جذيمة ، فوجدهم يصلون فقال ما انتم ؟ قالوا نحن مسلمون ، نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

قال فمتى اسلمتم ان كنتم صادقين ؟ قالوا الليلة حين بلغنا ان رسول الله (صلعم) كف يده عمن القى السلاح ، وقال لااله الا الله فقلنا ها وصلينا .

ويتفق بن هشام في سيرته ، مع رواية الطبري فى ان الرسول لم يبعث خالداً الى بني جذيمة مقاتلا ، (٣) وامره ان لا يقاتل احدا ان رأى مسجداً ، او سمع اذانا (٤) .

ويروى بن عبد البر (٥) ان خالدا قتل منهم ناساً لم يكن قتله

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ١٢٤
(٢) المغازي للواقدى ص ٤١٥
(٣) الطبري جـ ٣ ص ١٢٤ وسيرة بن هشام جـ ٢ ص ٢٨٤
(٤) الاغاني جـ ٧ ص
(٥) الاستيعاب ص ١٥٧

صوابا ، فوداهم الرسول ، ويذكر اليعقوبي (١) ان خالدا قال لهم ضعوا السلاح ،فقالوا انا لا ناخذ السلاح على الله ، ولا على رسوله، ونحن مسلمون ،فانظر مابعثك رسول الله له ؛ فان كان بعثك مصدقاً فهذه ابلنا وغنمنا ، فاعد عليها .

وقد اورد بن سعد (٢) ان بني سليم قتلوا من كان بايديهم ، اما المهاجرون والانصار ، فارسلوا اساراهم وروى البخاري ان النبي (صلعم) بعثه الى بني جذيمة ، فدعاهم الى الاسلام ، فلم يحسنوا ان يقولوا اسلمنا ، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر .

هذه نبذ فيما يخص بني جذيمة اما خالد بن الوليد ، فانه قال فى حديث له امام رسول الله (صلعم) لقيناهم بالغميصاء عند وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب ، فمنحنا الله اكتافهم فتبعناهم نطلبهم ، فاذا بغلام له ذوائب على فرس ذنوب في اخربات القوم ،فبوات له الرمح ، فوضعته بين كتفيه فقال : لااله . .فقبضت عنه الرمح ، فقال ... الا اللات احسنت ام اسات .

فهمسته همسة اذ ريته وقيذاً ، ثم اخذته اسيراً ، فشددته وثاقاً ، ثم كلمته فلم يكلمني ،واستخبرته فلم يخبرني ، فلما كان ببعض الطريق رأى نسوة من بني جذيمة فقال : ايا خالد .

قلت ما تشاء ؟ قال هل انت واقفي على هؤلاء النسوة ، فاثبت على اصحابي . ففعلت ، وفيهن جارية تدعى حبيشة ؛ فقال لها ناوليني

---

(١) اليعقوبي جـ ٢ ص ٦٣

(٢) طبقات بن سعد جـ ٢ ص ١٠٧

يدك فناولته يدها من ثوبها ، فقال : اسلمي حبيش على نفــد العيش ، قالت وانت فحييت عشرا ، وسبعا وتراً وثمانية تترا .

ولما لم يسلم فقد قتله خالد ، ولم ينكر عليه احد هذا الحديث امام الرسول (صلعم) .

الرأى

ليس لنا ان نلوم خالداً او نعذره فيما حدث ، مالم نعرف الموقف الذى كان به خالد ، والذي يلوح لنا انه لا بد من اختلاف افكار الناس وتبلبها بعــد فتح مكة ، وتلك حالات تكون فى كل فترة انتقال من سلطان الى سلطان ، فكيف بهم وهم في فترة ليس الانتقال فيها من سلطان الى سلطان فحسب ، وانما هو انتقال من عقيدة لعقيدة ومن عبادة وجدوا آباءهم عليها عاكفون الى اخرى جديدة ، ولذا لا يمكن ان يحكم الناس جميعاً عقولهم ، ويتبعوا الرأي السديد ، ولا بد من وجود اناس تأخذهم العصبية لعبادتهم التي توارثوها ، ولعصبيتهم القبلية ، فيميلون الى استخدام السلاح ، وهذا هو اقرب الى الواقع ، وان خالداً ذكر امام الرسول انه قاتل بني جذيمة ، حتى كاد قرن الشمس ان يغيب ولم ينكره عليه احد وهذا يدل على ان بني جذيمة قاتلوه فقاتلهم .

ومن جهة اخرى ان خالداً قبض الرمح عن شخص قال (لااله) فلما قال (الا اللات احسنت ام اسات) همسة بالرمح ..

فاذا خالد امسك الرمح عن شخص اعتقد انه مسلم عندما قال لااله . . . فلا بد وان يمسك السيف عن اناس يعتقد هو او يعتقد غيره باسلامهم ويعلم بهم .

والذى يلوح لنا من الروايات التي ذكرناها آنفاً ، ان بنى سليم

كانوا مع خالد ، وهؤلاء لهم ثارات مع بنى جذيمة ، فقتلوا من قتلوا سواء يكون ذلك عمدا ام خطأ ، ولهذا فتكون سرية خالد قد قتلت قسما من بني جذيمة خطا وهم مسلمون .

هذا هو راينا في هذه القضية ، فان خالدا لا يقتل من يعلن اسلامه صراحة ، ولكن من يقدر على التفريق بين المسلمين وغير المسلمين من رجال قبيلة تحمل السلاح وبعضها يقاتل المسلمين من الصبح ، حتى يكاد قرن الشمس ان يغيب ، فلا خالد بن الوليد ولا غيره يقدر على التفريق في مواقف مثل هذه ، وخاصة في وقت تبلبلت فيه الافكار ، وبمنطقة كانت القبائل فيها بين موالية ومعادية سكن الموالون منهم للاسلام مع المعادين ، وهؤلاء الاخيرون اشهروا السلاح بوجه خالد الذي كان لزاما عليه ان يقاتلهم ، فاصاب الشر المسلمين الذين ساكنوا اهل الحرب .

ويحدث الخطا في المعارك ، وهذه معارك العصر الحديث ، قد حدث فيها كثير من الحوادث من هذا القبيل ، والمتتبع الحرب العالمية الاخيرة ، يرى ان طائرات الحلفاء القت قنابلها على جنود الحلفاء ، فكبدتهم خسائر ، وهذا لا يعنى ان القاء القنابل كان عمدا ، ولكن هى مواقف الحرب يحدث فيها الخطا على الرغم من التوقيت الدقيق ودقة الآلات .

ولا ارى ان نلوم خالداً وليس من يلوم على حق في لومه وخاصة في موقفه هذا وفي تلك الظروف والاوضاع التي يصعب علينا ان نتصورها جيداً مهما اجهدنا انفسنا في ذلك .

على ان رسول الله (صلعم) لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يتغاضى عن عمل يضر المسلمين ، فلو ان خالداً كان مقصرا لما توانى

رسول الله (صلعم) في انزال العقاب به .

ولم يكن هذا الحادث من الجسامة ليؤثر على المسلمين ويسبب مشاكل لهـم ولو كان كذلك لكان عذر المؤرخين في الاطناب به .

ولكن الذي نراه ان هنالك أناساً في نفوسهم غايات مقصودة تجاه الاسلام وخالد فاصبحوا يركضون وراء الهفوات ليجسموها ويظهروها للملا .

ويحسن ان نذكر ان الخطاء لا بد من حصوله في الحرب ولهذا يرافق الرجال الاداريون والسياسيون قادة الحرب فيعدلوا أخطاء القادة ويضعوا البلسم للجروح وهذا ما حدث فعلا فان الرسول أرسل الامام علي بن أبي طالب فوداهم وطيب النفوس .

فلا بد لنا ان ندرس تاريخنا ونحلل ما فيه وندققه لئلا نقع في الفخ الذي نصب لنا منذ صدر الاسلام .

غزوة حنين (هوازن)

سببها

سبب هذه المعركة : ان هوازن خرجت بحدها وحديدها ، تروم مقاتلة المسلمين لاعتقادهم ان رسول الله (صلعم) كان يريد مقاتلتهم عندما تقدم نحو مكة لفتحها وقد ذكرنا ان الرسول (صلعم) كتم الاتجاه الذي ينوى المسير به على الناس لكي يؤمن مباغتة قريش فنجح فى ذلك ولكن بعد فتح مكة لم تنثن هوازن وثقيف عن عزمها على مقاتلة المسلمين لعلمها ان المسلمين بعد فتح مكة لا بد وانهم سائرون اليها وليس هدف للمسلمين غير الطائف لأن اخضاع منطقة الطائف وفيها هوازن وثقيف وهي من اشد القبائل يؤدي

الى اخضاع الحجاز باجمعها للمسلمين .

قوة الطرفين

خرج المسلمون بقوتهم التي جاءوا بها من المدينة الى مكة مع الفين من مقاتلي قريش وهؤلاء خرجوا تعصباً او طلباً للغنيمة ومنهم صفوان بن أمية الذى امهله الرسول اربعة اشهر واعار الى المسلمين مائة درع (١) .

أما قوة هوازن وثقيف فقد بلغت اربعة آلات مقاتل جاء بها رئيسها مالك بن غوث مع النساء والاطفال ليكونوا خلفهم فيضطروهم على الصمود في القتال .

منطقة المعركة

تقدم المسلمون وكان خالد بن الوليد في مائة فارس «٢» على المقدمة حتى وصلوا الجعرانه(٣) وكان خروجهم من مكة لست ليالي خلون من شوال سنة ثمانية هجرية الى هوازن ووصل المسلمون وادى حنين بوم الثلاثاء لعشر ليالي خلون من شوال (٤) وبذلك تكون المراحل التي قطعها المسلمون اربعة مراحل .

ويقول بن اسحاق في روايته(٥) : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا انحداراً في واد من اودية تهامة اجوف ذي خطوط وكان فى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابة واحنائه ومضايقه وقد اجمعوا وتهيؤا واعدوا فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر

---

١ ـ الطبرى جـ ٣ ص ١٢٧

٢ ـ السيرة الحلبية جـ ٣ ص١٦٣

٣ ـ الجعرانه ماء بنين طائف ومكة اقرب الى مكة معجم البلدان جـ ٣ ص١٠١

٤ ـ الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ١٠٨

٥ ـ الطبري جـ ٣ ص ١٢٨

الناس لا يلوى احد على احد وانحاز رسول الله ذات اليمين، ثم قال اين ايها الناس ؟ انا رسول الله (١) ، ومن هذا تكون هوازن قد اختارت هذه المنطقة للقتال لأنها خير مجال للخيل لاحزن ضرس ولا سهل دهس .

ولما كانت المنطقة ذات خطوط وشعاب ساعدت هوازن وثقيف على الاختفاء بين طياتها وتموجاتها فتمكنوا من مباغتة المسلمين

المعركة

والرواية شدت شدة رجل واحد على المسلمين فتراجع المسلمون تظهر انهم تركوا المقدمة (وكانت بقيادة خالد) تمر من دون ان يعترضوا لها ولذلك تمكنوا من مباغتة الرتل باجمعه وقد كانت ابل المسلمين تنهزم ولا يقدر الرجل على ايقافها فلما نادى رسول الله اين ايها الناس انا رسول الله اخذ الناس يسعون لايقاف ابلهم فلا تقف فيتركها المقاتل ويؤم الصوت حتى اجتمع جماعة حول الرسول يدافعون عنه وبعد مدة تمكنوا من السيطرة على الموقف وانتصروا على هوازن والقبائل تستهدف الضربة الأولى فان تمكن عدوها من الثبات في المعركة فانه يزيل تأثير هذه الصدمة بثباته ومن ثم ينتصر عليها فهى تسعى للاستفادة من عامل المباغتة في قتالها ويظهر ان المسلمين في هذه المعركة كانوا يسيرون وهم مطمئنين او ان جماعة من الذين التحقوا مع المسلمين من مكة لم يحافظوا على الكتمان ونرى ان هوازن كان لها عيون مع قوة المسلمين استخبرت عن حركتهم من هؤلاء .

وقد كان خالد يدافع عن الرسول (صلعم) وجرح في المعركة ،

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٣

ولم يكن من الجماعة الاول الذين التفوا حول الرسول ، وما ذلك الا لأنه كان على المقدمة على مسافة من الرسول حتما .

حصار الطائف

الطائف
محاصرة

بعد انتهاء معركة حنين وخذلان هوازن وثقيف، تقدم رسول الله (صلعم) بالمسلمين نحو الطائف ، وكان خالد بن الوليد على المقدمة ايضاً في مائة فارس من بني سليم ، وحاصروا الطائف لمدة ثمانية عشر يوماً ، كان خالد في اثنائها ، ينادى هل من مبارز ؟ ولا احد يبارزه ثم ناداه عبد ياليل عظيم ثقيف قائلا (لا ينزل اليك منا احد ولكن نقيم في حصننا ، فان فيه من الطعام ما يكفينا لسنين .) (١)

ولما رأى رسول الله ان الحصار سيطول امده اذن (صلعم) بالرحيل الى الجعران ،لأن السبايا من هوازن لا تزال هناك ، فكان رحيله عن الطائف يدل عير مهارة في القيادة لأن انشغال المسلمين بالطائف لمدة طويلة وترك المناطق الاخرى ، وكان فتح مكة لا زال حديثاً ، والوضع فيه الشيء الكثير من عدم الاستقرار قد يولد لهم مشاكل ، هم في غنى عنها ، وان انخذال هوازن وثقيف في المعركة فى حنين ، قد رفع اسم المسلمين في الجزيرة .

رد السبايا
من هوازن

فلما وصل الرسول بالمسلمين الى الجعران ، وقسم الغنائم التي اخذها المسلمون من هوازن على المقاتلين جاءه وفد هوازن يطلب عطف الرسول بان يرد عليهم الغنائم فخيرهم رسول الله (ص) بين ان يختاروا اسراهم او أموالهم فاختاروا الاسرى فارجع المسلمون السبي (٢)

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٥

(٢) وهذا يثبت ان الرسول كان يريد تثقيف العرب بالاسلام ولا يريد اذلالهم

الى هوازن حسب امر الرسول سوى الاقرع بن حابس وعيينه بن حصن وهم من الزعماء الخارجين على الاسلام بعد الرسول (من المرتدين) وهؤلاء لم يكونوا يقاتلون عن عقيدة الاسلام انما طمعا في المال والجاه وقد وافقهم عباس بن مرداس فانه اراد عدم ارجاع الاسرى الذين لدى بني سليم غير انهم (بنو سليم) خالفوه وردوهم ويدل ذلك على ان بعض القبائل تخالف رؤساءها فى عقيدتها ولكن رسول الله (صلعم) امر ان ترد النساء والابناء الى هوازن وهذا دليل على ان الرسول كان يريد تثقيف العرب بالدين وانه لا يريد ان يذلهم وهم اداة نشره في العالم بعد ان يجمعهم على عقيدة واحدة تلك الفكرة التي تفهمها عمر بن الخطاب وطبقها عند توليه الخلافة .

خالد فى بنى المصطلق (١)

ارسل رسول الله (صلعم) عقبة بن ابي معيط في السنة التاسعة الى بني المصطلق (٢) بعد اسلامهم بعامين معلماً لهم ، فخرج الرجال لاستقباله ، فظن ان القوم قد ارتدوا عن الاسلام ، فارسل رسول الله (صلعم) خالد بن الوليد اليهم ، وأمره ان لا يتعجل بامرهم ، وان يرقبهم وقت الصلاة ، فاتاهم خالد ليلا ، وارسل من يكشف له حقيقة القوم ، فلما رجع اليه اخبره ببقائهم على الاسلام فاصبحهم خالد ، فوجد ما يرضيه ، وكتب الى الرسول بذلك

(١) بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٦٤
(٢) الاغاني ج ٢ ص ١٤١

وموقف مثل هذا الموقف يتطلب رجلا قوياً في ايمانه ، لاتأخذه في الحق لومة لائم شديداً على الخارجين على الاسلام حليما متبصراً مقداما واسع الحيلة ماهراً في القتال لكي يتمكن من معالجة الموقف بنجاح وخالد خير من يرسل لمعالجة مثل هذا الموقف فانزل الله تعالى في قضية بني المصطلق (ياايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [١]

غزوة تبوك

كان النبي (صلعم) يعد الناس انهم سيملكون بلاد فارس و بلاد الروم ولابد من تطهير شمال الجزيرة من كل من يتصل بهؤلاء ، ولما كانت تبوك في شمال الحجاز على طريق الروم فلا بد من تطهيرها من نفوذهم .

وفي رجب من السنة التاسعة للهجرة امر الرسول بالتهيؤ لغزوا الروم ولم يحدث قتال يذكر في تبوك سوى مقاتلة الاكيدر اذ ارسل الرسول خالداً الى دومة الجندل [٢] في اربعمائة وعشرين فارساً [٤] فلما وصل خالد فاوجد اكيدرا خارج الحصن فاسره خالد وجاء به الى رسول الله (صلعم) وان يبدوا هذا هين فان الاستيلاء على دومة الجندل وتأسير الاكيدر وهو في حصنه في دومة الجندل صعب على غير خالد .

خالد في دومة الجندل [٣]

---

(١) تفسير البغوي وابن كثير

(٢) الطبري ج ٣ ص ١٤٣ وقد قال المنافقون لاتنفروا في الحر فنزل فيهم (وقالوا لاتنفروا في الحر قال نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون الخ)

(٣) الجوف حالياً وتقع على سبعة مراسل من دمشق معجم البلدان ج ٤

(٤) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٧

وفى سنة عشر في جمادي الاولى ارسل النبي خالد الى بني الحارث يدعوهم للاسلام فاجابوا الدعوة وكتب الى رسول الله (صلعم) بذلك فكتب الية ان يقدم مع وفدهم بعد ان اقام فيهم يعلمهم الدين (١)

الدار الباقية

في السنة العاشرة من الهجرة حج الرسول الحجة التي سميت بحجة الوداع ، وتمكن قبيل وفاته من نشر الدين الاسلامي في معظم الجزيرة العربية ، سوى المتنبئين مثل مسيلمة الكذاب ولذلك اخذ يجهز جيشاً لانفاذه الى الشمال لقتال الروم في سوريا ، فاعطى قيادة الجيش الذي جهزه الى أسامة بن زيد ، وبينما الجيش في ظاهر المدينة معسكراً للسفر ، قبض رسول الله (صلعم) تاركاً الدار الفانية ، مختاراً ملاقات وجه ربه الكريم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا . . . الآية) هذاما حدث فعلا ، وبعد ان تمكن الخليفة الاول من تجهيز الرسول ، وانتهاء قضية البيعة ، انفذ جيش اسامة الى الشمال ، واخذ يقوم باعباء الحكم ، وقد عمت الاضطرابات في الجزيرة العربية ، فارتد بعض القبائل عن الاسلام ، وامتنع قسم منهم من اخراج الزكاة ، واتبع البعض انبياء كذابين ، فاصبح حال المسلمين كحال الغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، فحدثت حروب ومعارك بين هؤلاء وبين المسلمين لبسط سيطرة الاسلام على الجزيرة ، دعيت بحروب الردة ، ونعتقد

(١) راجع الطبري ج ٣ ص ١٥٦

ان لو دعوناها بحروب التوحيد ، لكان ذلك مناسبا .

الخلاف بين عمر وخالد

كان الرسول (صلعم) قد جمع السلطتين الزمنية والدينية في شخصه ، فكان هو القائد والمثقف ، وهو مصدر الامر ، وبعد وفاته لم يكن احد من الصحابة الكرام قادراً على ان يقوم بهذه الواجبات ، فيكون القائد والمثقف بوقت واحد ، ينجز الاعمال المطلوبة كما كان ينجزها الرسول (صلعم) وخاصة بعد ان انقطع الوحي والتوجيه الاعلى .

ومن بعده انقسم الصحابة الكرام الى قسمين ، فقسم منهم اتجه الى فكرة التعليم والتثقيف ، وهذه تتجلى بعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب وابي عبيدة الجراح ، فاخذ هؤلاء الكرام واجب تثقيف الامة وتعليمها ، لتقوم باداء رسالتها فى العالم ، فكانوا رضي الله عنهم كالمعلم الذي يدخل الصف على تلاميذه يروم تعليمهم وتثقيفهم ، ولكن العصا بيده لا لضربهم ، بل لترهيب من لم يفد معه التنبيه والارشاد .

ومنهم من اتجه الى فكرة التأديب فهو كالجندي الذي يسل سيفه على كل من لم يفد معه النصح والتنبيه ، وبيساره كتاباً يضطرد لقراءته وبذلك يسترجع تفكيره الصحيح ، وهذا يتجلى بابي بكر الصديق وخالد بن الوليد ، وكان كلا العملين ضروري لقيام الدولة ، فسار كل جماعة منهم حسب ما تفهمه عن الرسول الاعظم ، ولهذا اختلف اسلوب خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب حيث قام كل منها بعمل من الاعمال التي كان الرسول (صلعم) قد جمعها بشخصه فاصبح هذا مثقف وبيده درته . وذلك جندي وبيده سيفه ، وكلا العملين ضروري لقيام الدولة الاسلامية .

الفَصْل الثّالث

الحروب الداخلية

او

حروب الردة (حروب التوحيد)

اسبابها * مناطق القبائل المعاديه وقوتها * القبائل المؤيدة للاسلام

وقوتها * ساحة الحركات * العوامل المؤثرة في قتال الصحراء

اسلوب القتال * الحركات الاولية في حروب الردة *

خالد يقاتل طليحة الاسدي * القتال فى البطاح

القتال مع مسيلمة الكذاب * عوامل

الانتصار فى حروب الردة * حروب

الامراء فى الجزيرة

الحروب الداخلية (حرب الردة)

حرب الردة او (حرب التوحيد)

كان الرسول الاعظم (صلعم) قد ارسل الى القبائل من يعلمها دينها ويجبي الزكاة منها ، ولم يتدخل هؤلاء المعلمون بشؤون القبائل ، فترك لكل قبيلة استقلالها .

وما كاد خبر وفاة الرسول ينتشر في الجزيرة ، حتى اعلنت القبائل إنفصالها عن المدينة المنورة (مركز الحكومة الاسلامية) وعمت الفوضى وظهرت جميع الاحقاد السياسية بين القبائل واجزاء الجزيرة تلك التي تمكن الرسول من دفنها طيلة حياته .

وكان لزاما على خليفة رسول الله ان يقضي على القبائل الخارجة على النظام ويوطد السلام في الجزيرة فحدثت عدة معارك في مختلف انحائها دعيت بحروب الردة وذلك لارتداد قسم من القبائل عن الاسلام بعد وفاة الرسول محمد (صلعم) وقـد سميت بالحروب الداخلية في بعض آراء الكتاب لانها كانت ضمن الجزيرة العربية ونسميها نحن (حروب توحيد الجزيرة) استهدف المسلمون من بعد الرسول بعملهم أن لا يجتمع دينان فى الجزيرة العربية .

لا بد ان نذكر اسباب هذه الحروب قبل ان نبدأ بشرحها وذلك لكي نتمكن من تعيين الهدف الذي تصبوا اليه الخلافة الاسلامية من هذه الحروب ويمكننا ان نجمل هذه الاسباب بما يلي : —

اسبابها

١ - عدم تمكن الايمان بالدين الاسلامي في قلوب ابناء بعض القبائل التى ارتدت عن الاسلام على ان قسما منها لم يعلن اسلامه فيها الا رؤساؤهم اما طمعا فى مال او جاه امثال عيينه بن حصن ، او رهبة من رسول الله فلما قبض الرسول انتقضت على الاسلام وهؤلاء هم المؤلفة قلوبهم الذين لم يخلصوا للاسلام في سريرتهم . امثال عيينه بن حصن الذي جيء به الى المدينة المنورة اسيرا ويداه مجموعتان الى عنقه فاخذ غلمان المدينة ينخسونه قائلين (اي عدو الله . اكفرت بعد ايمانك ؟) فيجيب (والله ما كنت آمنت بالله طرفة عين (١)

٢ - اعتبرت القبائل المرتدة ان علاقتها بالاسلام كانت بشخص النبي (صلعم) ولما مات لم يبق لهذه العلاقة موجب (في رايها) ويظهر ذلك من الابيات التالية :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لابي بكر
ايورثنا بكر اذا مات بعده ؟ وتلك لعمرالله قاسمة الظهر (٢)

٣ - العصبية القبيلية تكره العرب الخضوع لاحد فكل قبيلة تريد ان تحافظ على استقلالها وتنفر من المداخلة بشؤونها ولا يروق لرؤساء القبائل الخضوع لغيرهم وكان الخليفة الاول من قريش والقبائل تكره الخضوع لقريش على رغم من اعترافها بزعامتها الدينية قبل الاسلام . ويظهر ذلك جليا في خطبة عيينه بن حصن فى قبيلة غطفان صاحبة بساء (٣) وهو البيت الذي بنته غطفان مضاهاة للكعبة

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٢٣٢
(٢) الطبري جـ ٣ ص ٢٣٣
(٣) معجم البلدان جـ ٣

فقد قال عيينه :

ما اعرف حدود غطفان منذ انقطع الحلف بيننا وبين اسد واني لمجدد الحلف الذى كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ، والله ! لأن نتبع نبياً من الحليفين احب الينا من أن نتبع نبيا من قريش وقد مات محمد وبقي طليحه . [2]

٤ - الانبياء الكذابون : - امثال طليحة الاسدى في بنى اسد والاسود العنسى فى اليمن ، مسيلمة الكذاب فى اليمامة الذي ادعى النبوة في زمن الرسول فتابعهم قومهم على امل ان تكون لهم المنزلة التى وصلت اليها قريش بسبب قيام الدين الاسلامي فيها .

٥ - نفور العرب من الزكاة لأن القبائل اعتبرتها اتاوة تدفعها الى الاسلام فلما مات رسول الله نكلت عنها فقال قرة بن هبيرة الى عمرو بن العاص وكان لديه عساكر من بنى عامر (ياهذا ! إن العرب لاتطيب لكم نفساً بالاتاوة فان انتم اعفيتموها من اخذ اموالها فستسمع لكم وتطيع وان ابيتم فلا ارى ان تجتمع عليكم [1]) .

٦ - التدخل الاجنبي وهذا عامل مشجع لردة القبائل عن الاسلام وقيام الحروب الداخلية فان الفرس الذين خرجت اليمن من سيطرتهم الى سيطرة المسلمين لايصبرون على ذلك وقد واتتهم الفرصة بعد وفاة الرسول وقد يكون هذا العامل هو الذى جاء بسجاح المتنبئة الى الجزيرة بغية الهجوم على المدينة .

٧ - ذكر بعض المؤرخين (ان المبادىء الاخلاقية الصارمة التي

---

(١) الطبري جـ ٣ص ٢٣١

(٢) الطبري جـ ٣ ص ٢٣١

فرضها الاسلام فرضاً (١)) كانت سبباً من اسباب حروب الردة وبما ان احد الاسباب التي حملت العرب على تصديق الرسول محمد (صلعم) هو انه كان على خلق عظيم ولو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله (٢) وقد جاء الاسلام لهداية الناس اجمعين فلا بد من ظهور النبي في خير امة اخرجت للناس لكي يمكنها من نشره ويكون ابناؤها شهداء على الناس . على ان الاسلام اقر الكثير من عادات العرب وهذا دليل على سمو فى اخلاق العرب العامة وان تراث العرب الادبي قبيل ظهور الاسلام يدل على ان لهم اشهرا حرماً وبلدا حرام يجتمعون بها ويمتنعون بها عن المنكر والبغي وهـذا خير دليل على سموهم الخلقي ودليل على انهم لم يكونوا جوابين افاق كالبرابرة فينفروا من المبادىء الاخلاقية السامية . كما رأينا كيف ان الرسول كان يعامل العرب ويروم تثقيفهم في الاسلام لا ان يدينوا بالاسلام فقط .

لهذا فلا يصح اعتبار المبادىء الاخلاقية السامية سبباً في ردتهم لأنها لم تكن ذات صرامة - كما يخال من لم يدرسوا تعاليم الاسلام دراسة وافية - ولا يصح ايضا اعتبار ان الاسلام فرضها فرضاً كما اننا لم نجد في مراجع التاريخ ما يشير الى ذلك بل صرح الكتاب المجيد بأن لا إكراه في الدين والدين مجموعة اخلاق جاء بها الرسول العظيم (ص) وهذا نستفيد من قوله (ص) بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقد يستند البعض في أيراد هذا السبب على ان الاعراب

---

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي سيد امير علي ترجمة رياض رأوفت ص ٢٢

(٢) راجع القرآن الكريم .

اشد كفراً ونفاقاً ، او لوجود بعض العادات التي انكرها الاسلام ومنع اتباعها ولكن هذا لا يعني ان يرد هذا السبب على هذه الصورة من دون تقييد فيه كما يجب التفريق بين الاعرابي البدوي وبين العربي الحضري . لأن الاعراب البدو لانقطاعهم عن العالم يكونون اجلافا قبل محمد وبعده في جميع الامم والاقطار.

ونعتقد ان العلة في ذكر هذا السبب هو سعي الكثير من المؤرخين ليظهروا العرب فى حال بدوية متفسخة ، مستهدفين ابراز محاسن الاسلام للعالم ، حيث تمكن من خلق امة من العدم الى الوجود ، فاعتبروا عصر ما قبل الاسلام عصر جاهلية عمياء . وبذلك يسيؤون الى العرب في تاريخهم الذي توارثوه عن مدنيتهم السابقة ، والى الاسلام من حيث لا يشعرون .

فكرة مقاتلة المرتدين

قد تكون فكرة مقاتلة الخارجين على الطاعة اخذهم بالشدة ، او ان تستهدف القوات مقاتلتهم بهوادة ، وعند ملاحظة اسباب الردة نجد ان هـــذه القبائل التي خرجت على الطاعة لم تنظر الا الى مصالحهــا الخاصة ، غير ناظرة الى كيان الدولة العربية العام ، فلو نجحت هذه القبائل في معاركها ضد الاسلام والمسلمين ، لكان ذلك نكبة على الاسلام عامة والعرب خاصة ، ولبقوا قابعين في جزيرتهم فكان لزاماً على الخليفة الأول ابي بكر الصديق ، ان يعالج الامر بالحزم ويأخذهم بالشدة ، فلا يرحم مقاتلا منهم ولا يترك احدا ما لم يضربه ضربة قاضية ، وعلى هذه الفكرة يجب وضع الخطة لمحاربة المرتدين ، وتوحيد الجزيرة ، وهـذه الخطة تتطلب قائداً قوياً ، شجاعاً ، محص الحرب وعجمت عيدانه ، فوجدته أشوس أقعس ،

قادراً على القيادة ، أميناً على تنفيذ الاوامر ، وليس خالد بن الوليد ببعيد عن الخليفة ابي بكر الصديق .

مناطق القبائل المعادية

في روايةسيف عن المجاهدين سعيد : انه لما فصل اسامة كفرت الارض ، وتصرمت وارتدت كل قبيلة عامة او خاصة . الا قريشاً وثقيف

وبذلك تكون المناطق التي بقى اهلها على الاسلام هي المدينة ومكة والطائف وقد همت الاخيرتان بالردة لولا تدارك بعض المخلصين الامر .

وفي شمال المدينة بقيت قضاعة على الاسلام . اما في اليمن فقد تنبأ الاسود العنسي وارتدت البحرين وعمان ومهرة فارسل الخليفة من يوطد الامن فيها ويعيد النظام .

اما في منطقة نجد واليمامة وهي المنطقة التي كان لخالد بن الوليد تأثير كبير في اخضاعها وقيادة القوات والقضاء على الخارجين على الطاعة فيها فقد انقسمت القبائل فيها الى ثلاثة اقسام القسم الاول : بايعوا المتنبيء طليحة الاسدي وآمنوا بنبوته فاجتمعت اليه فزارة وغطفان ومنازلها شرقي المدينة وانظم اليهم بنو اسد ومنازلهم في جنوب جبل شمر في منتصف الطريق بين الحجاز ونجد .

القسم الثاني : القبائل التي بايعت مسيلمة الكذاب وآمنت به وكان هذا قد ادعى النبوة في زمن الرسول (صلعم) وكانت مساكن بنى حنيفة الذين تابعوه فى اليمامة المنطقة الزراعية في نجد

وتكون منطقة اليمامة وادي بنى حنيفة فى منطقة الخرج الحالية حتى شمال سدوس الحالية في نجد .

القسم الثالث : وهم بنو تميم وهم اكثر القبائل عدداً يسكنون فى مقاطعة القصيم ويحادون منطقة بنى حنيفة من الشمال ، غير ان بطونها متعددة ومختلفة فيما بينها فكان كل زعيم من زعمائها يروم السيطرة على جميع القبيلة وكان العداء مستحكما فيما بين اقسامها وقد اتحدت فترة وجيزة بعض اقسامها بتحالفها مع سجاح ولكن لم يلبث ان عاد هؤلاء الى العداء .

ومنطقة هذه القبيلة هي شرق منطقة بني اسد ، ومنطقة قبيلة طي ، ومعظم مناطقها اراضٍ سهلة يمكن الحركة فيها بسهولة للقطعات سوى القسم المحادد لمنطقة بني حنيفة ، حيث توجد سلاسل جبال طويق وفيها وعورة كبيرة ، غير ان خالد بن الوليد لم يقاتل هذه القبيلة في المنطقة الوعرة . بل تمكن من استمالتها الى جانبه بدون قتال .

وهذا مجمل يبين مناطق اهم القبائل المعادية لسهولة المراجعة

قبيلة بني تميم — وتسكن في منطقة القصيم

قبيلة بني اسد — وتسكن منطقة بريده وعنيزه حتى سميراء ، ومنازلها شمال وادي الرمة

قبيلة طـــي — وتسكن جبل سلمى واجا من فيد وحايل والنباج ، ويحاددها بنو اسد من الشرق ، وغطفان من الجنوب ، وعبس وذبيان من الغرب ، وشمالهم

منازل بني عامر وكلاب .

قبيلة غطفان	فى منطقة سميراء حتى الجنوب ، ويحاددها من الجنوب فزارة ، ومن الشرق بنو اسد و بين القبيلتين حلف ، ويحدها حافات حرة خيبر الشرقية ، وقد تؤلف حدود منطقتها الغربية .
بنو عبس وذبيان	شمال حرة خيبر وتحاددهم طي من الشرق
بنو سليم	شرق المدينة وجنوب وادي الحمض .
بنو عامر	منطقتهم جنوب منطقة بني اسد وغطفان ، ويفصلهم جبل طويق عن بني حنيفه .
بنو حنيفة	في منطقة اليمامة ، وهي مقاطعة الخرج الحاليه في نجد .

وقد ذكرنا هذه المناطق بالنسبه الى القبائل بصورة تقريبية لأن كل قبيلة تتنقل في منطقتها ومناطق حلفائها ، الا ان ما ذكرنا هو المناطق الرئيسية لسكناها .

قوة القبائل المعادية

بلغت قوة القبائل التي هجمت على المدينة في الحركات الأولى لحروب الردة الفا مقاتل ، ومن بعدها انضم اليهم قسم كبير من القبائل الاخرى ، فبلغ مجموع قوات طليحة في معركة البزاخة اربعة آلاف مقاتل ، منهم سبعمائة مقاتل من جماعة عيينه بن حصن الذي كان يؤيد طليحه ، ما عدا من التحق به من طي بقيادة ثمامه بن اوس ، وعددهم خمسمائة مقاتل ، اما قوات بني حنيفة التي تؤيد

مسيلمة الكذاب ، فقد جاء ان عددهم بلغ اربعين الفا (١) غير ان العميد طه الهاشمي يذكر ان قوتهم كانت خمسة عشر الفا (٢) من المقاتلين ، ويذكر ان السبب في جعل المؤرخين ويذكرون ارقاماً كثيرة ، هو ان هذه القبيلة شديدة المراس في القتال ، ولشدة القتال الذي لاقاه المسلمون منها .

القبائل المؤيدة للاسلام

ذكرنا ان الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول تصرمت ، فاصبحت القبائل بين مؤيدة للمدينة ، او رافضة للزكاة او مرتدة ، او انها اتبعت انبياء كذابون ولم يبق الا المدينة ومكة والطائف وبعض القبائل المواليه وهي :

منازل القبائل المؤيدة

قبيلة جهينه	ومنازلها شمال المدينة
قبيلة اشجع	جنوب المدينة مباشرة وفى غربها سليم
قبيلة مزينة	جنوب سليم
قبيلة غفار	جنوب مزينه
قبيلة هوازن	شرق الطائف ،وتحدها من الشمال قبيلة غفار
قبيلة ثقيف	فى منطقة الطائف
قبيلة خزاعه	فى جنوب مكة .

قوة المسلمين

كانت قوة الجيش الاسلامي قد بلغت عند فتح مكة عشرة آلاف مقاتل ، ولم تكن قريش وثقيف وهوازن معها ، وبلغت قوة هوازن

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٢٤٤

(٢) خالد بن الوليد تاليف العميد طه الهاشمي

في معركة حنين اربعة آلاف مقاتل ، وقد دخلت هـذه القبيلة وثقيف الاسلام ، وبقيت على ولائها للاسلام ، ولا تقل قوة ثقيف عن الفي مقاتل ، وهي مشهورة بشدة مراسها في الحرب .

اما قوة قريش وكنانه ، فقد بلغت ثلاثة آلاف مقاتل فى غزوة احد ، وبلغت فى غزوة الخندق مع حلفائها بنى النظير ، وفزارة وغطفان عشرة آلاف مقاتل ، وبما ان قوة طليحة الاسدي مع فزاره وغطفان اللتين تحالفتا معه ، بلغت اربعة آلاف مقاتل فى حروب توحيد الجزيرة (حروب الرده) فيدل هذا على ان قوة قريش وكنانة ، لا تقل عن خمسة آلاف مقاتل ، ويظهر ان قوة قريش فى الخندق اكثر من قوتها في احد ، وهذا يدل على ان قوة قريش وحدها لا تقل عن اربعة آلاف مقاتل ، وعلى هذا فيكون مجموع قوات المسلمين كما يلي : -

٨٠٠٠	مقاتل قوات المدينة ، وبضمنها المهاجرين والانصار ، وكان تعدادهم اربعة آلاف وسبعمائة مقاتل في فتح مكة .
٥٠٠٠	قوة قريش
٥٠٠٠	هوازن وثقيف
١٨٠٠٠	مقاتل مجموع قوات المناطق الباقية على موالاتها للاسلام على اقل تقدير

قوة المسلمين المتيسرة

لم تكن قوة المسلمين المتيسرة فى ابتداء حرب التوحيد ، تبلغ هذا العدد لأن القبائل منتشرة في مناطقها ، ويتطلب احضارها وقتاً طويلا .

كما ان جيش اسامة الذي لا تقل قوته عن خمسة آلاف مقاتل (١) قد انفــذه الخليفة الى الشمال باتجاه الرومان ، وفيه المهاجرون والانصار ، ولذلك بقيت المدينة خالية من المقاتلين الامر الذي شجــع فزارة وغطفان على مهاجمة المدينة المنورة ، فاضطر الخليفة ابو بكر الصديق لدعوة القبائل الموالية للاسلام الى الجهاد ، فلبى نداءه قبيلة اشجع وكعب وغفار واسلم .

ساحة الحركات

شملت منطقة الحركات في هذه الحروب الجزيرة العربية باجمعها ، فكانت حدودها الطبيعية البحار ، وهي حدود منطقة الحركات ، وكان خالد بن الوليد يقود اقوى الارتال تجاه اقوى القوات في اهم منطقة من مناطق الجزيرة لقربها من المدينة ، ولأن ضرب هذه المناطق وارجاعها الى الطاعة مما يقضي على القوات البعيدة بسهولة اكثر .

حدود منطقة الحركات لخالد

يحد هذه المنطقة من الشمال النفود (٢) الكبير في شمال الجزيرة وهي منطقة رملية يصعب المرور منها الا من مسالك قليلة وتكثر فيها الكثبان الرملية ويندر فيها الماء .

وفي جنوب النفود جبل شمر على طرفي وادي حايل وهما جبلي اجا وسلمى ، ويحد المنطقة من الشرق الدهناء التي تتصل بالنفود

---

(١) خالد بن الوليد طه الهاشمي

(٢) النفود من الهلاك ومن نفد سار الى الهلاك

الكبير من الشمال ، وتمتد الى الجنوب الشرقي مارة في شرق القصيم منازل بنى تميم ، فتفصل الجزيرة العربية عن العراق .

اما حدودها من الغرب فجبال الحجاز ، شمالها حرة خيبر ، ومن الجنوب الهضبة المشرفة على وادي الرمة وفيها منازل سليم وبنى عامر .

وصفها

اهم العوارض الموجودة في هذه المنطقة هي جبل شمر ويتكون من سلسلة جبال اجا في شمال حايل وطولها ٦٥ كم ممتدة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وارتفاعها ١٤٠٠ متر عن سطح البحر في القسم الغربي و ١٧٠٠ متر عن سطح البحر فى القسم الشمالي . وهي سلسلة جبال متصلة يفصل بينها عدد من الوديان والشعاب .

وفى جنوب حايل سلسلة جبال سلمى وطولها ٥٥ كيلومتر ممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي وسط بيداء منبسطة وعرض السلسلة سبعة كيلومترات فى وسط منبسط يجعل الناظر اليهـا يعتقد ان ارتفاعها اكثر من الارتفاع الحقيقي لها البالغ ١١٠٠متر فوق سطح البحر .

وتقع حايل على الوادي المسمى باسمها بين الجبلين ومحاطة بعدة آبار عمقها بين خمسة عشر الى عشرين قدماً .

وتقع فيد على السفوح الشرقية لجبل سلمى علي راس وادي كهفة الذي ينحدر اليه الماء من جبال شمر (جبل سلمى) وتبعد عن حايل ٤٥ ميلا وتقع النباج شمال شرقى فيد .

اما سميراء فتقع على السفوح الجنوبية لجبل سلمى على وادي الرمة وتقع البزاخة في جنوب شرقي فيد فى ارض منبسطة وتشكل

فيد والنباج والبزاخة مثلثاً قاعدته نحو الشرق وراسه الغربي فى فيد والشمالي في النباج والجنوبي في البزاحة .

اما حرة خيبر الواقعة في القسم الشمالي من الحد الغربي لمنطقة الحركات فهي مساحة من الحمم المشققة فوق الحجارة الرملية وتقع خيبر في نهايتها الغربية على بعد (٦٠) كيلومتراً عن المدينة المنورة وعلى بعد قليل من حافتها الجنوبية .

وتقع ذو القصة على بعد ٢٤ ميلا من المدينة المنورة . اما الربذة فتقع فى جنوب الحافة الشرقية لحرة خيبر شرق ذوالقصة على الطريق الواصل بين المدينة وفيد ، ويذكر ياقوت في معجمة انها على مسافة ٢٤ فرسخاً (١) من المدينة في شمال شـرقها ، ولعل موقع (الحناكية) الحالية الواقعة جنوب حرة خيبر على مقربة من رأس وادي الحمض ، هو موقع الربذة القديم (٢) .

وان جميع هذه المواقع تقع على الوديان التي تسيل فيها مياه الامطار حيث يسهل تناول الماء منها شتاء اما صيفا فتحفر الآبار في وسط الوديان لسحب الماء .

وادى الرمة وادي الرمة من اهم الوديان فى الجزيرة وهو من الوديان الرئيسية في الجزيرة يتجه من الغرب منحدراً الى الشرق بالنسبة الى طبيعة الجزيرة العربية حيث ان اقسامها المرتفعة فى الغرب وتنحدر تدريجياً الى الشرق ويمر الوادي في جنوب جبل شمر ويفصل بينه وبين الهضبة فى جنوبه وفي موسم الامطار تسيل اليه المياه من

---

(١) معجم البلدان

(٢) خالد بن الوليد طه الهاشمى

الشعاب المختلفة المنحدرة من جبل شمر ومن الهضبة المشرفة عليه في جنوبه وقد يكون هذا الوادي نهراً كبيراً عندما يسيل .

ويعقب طريق المدينة الربذة هذا الوادي وعليه تقع الحجر جنوب شرقي سميراء وفي الحجر يتجه نحو الجنوب الشرقي وبعد ان يمر في جنوب السليلة بمسافة (٢٠) ميلا تقريباً يمر من بين الابانين (١) تاركا الابان الابيض في جنوبه ويذكر ياقوت ان فيه نخل وماء وهو العلم لبني فزارة وعبس والابان الاسود في شماله وكلا الابانين محدود الرأس كالسنان ويستمر الوادي في اتجاهه نحو الجنوب الشرقي حتى يلتقي ببعض الوديان في شرق الرس الواقعة على مسافة ٥٠ ميلا عن بريدة ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي فيمر في غرب عنيزة التي تبعد عن بريدة بمسافة ١٢ ميلا وتبعد عنيزة عن الوادي بمسافة ميلين وبعد ذلك يمر الوادي من بريدة الواقعة فى الطرف الشمالي من القصيم العليا على الجانب الايسر من الوادى وعمق آبار الماء فيها بين ٤٠ قدم الى ٥٠ قدم ويمر طريق بريدة فيد من جنوب جبل (صارة) ويسكن بنو يربوع من تميم في شمال شرق بريدة وتقع قصيبة شرق بريدة - فيد على منتصف المسافة بينها تقريباً وفي شمال غربها تقع ظفر في شرق فيد ومناخ هذه المنطقة كمناخ باقى الجزيرة صحراوى ، شديد الجفاف والحرارة ، قليل الامطار وفي موسم الجفاف يمكن الحصول على المياه من الابار باعماق مختلفة .

---

(١) معجم البلدان جـ ١ كلمة ابان

واهم النباتات فيها هي الغضى والاثل والطلح والسمط والنخيل

ويبلغ عرض المنطقة التي جرى القتال فيها مع طليحة ٣٠٠ ميل من الشرق الى الغرب و١٥٠ ميلا من حافة النفود الجنوبية الى وادي الرمة .

القسم الشرقي من الساحة

الدهناء

اهم العوارض في القسم الشرقي من ساحة الحركات هي الدهناء تؤلف سبعة اجبل من الرمل والكثبان (١) تفصل سواد العراق عن نجد ممتدة من الشمال الى الجنوب وتتصل بالنفود الكبير شمالا وبالربع الخالي (الاحقاف) جنوباً (٢) على شكل قوس وفي شرق الدهناء منطقة الصمان وعرضها بين ٣٠ ـــ ٥٠ ميلا ثم منطقة ساحل البحر الشرقي (خليج البصرة) واذا أخصبت الدهناء اربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها .

ونعتقد ان السبب في ان ياقوت ذكر ان الدهناء سبعة اجبل من رمل هو لانها سلاسل متصلة من الكثبان متعاقبة فقسم منها يكون شرق هضبة العرمة المشرفة على منطقة اليمامة وقسم منها في غرب جبل طويق واهمها نفود قنيفذة .

وتمتد جبال طويق موازية للدهناء تقريباً بين قسميها الشرقي والغربي ، وهي جبال كلسية جرداء ، سفوحها الغربية منحدرة ، وسفوحها الشرقية قليلة الانحدار ، ويبلغ ارتفاعها ٦٠٠ قدماً من

---

(١) معجم البلدان ج ٣

(٢) لاحقاف ـ هي الكثبان الرملية

الهضبة الغربية ، وتتجه جبال طويق من الشمال الى الجنوب ، وتغير اتجاهها الى الجنوب الغربي في منطقة الخرج الحالية من اليمامة حتى وادي الدواسر وهذا الوادي يبدأ من نقطة على حافة الربع الخالي على بعد (٥٠) ميلا عن السليل الواقعة فى جنوب شرق الوادي ، وهي واحة طولها حوالي الميلين . (١) وفي المنطقة التي تغير فيها جبال طويق اتجاهها نحو الجنوب الغربي يفصل بين القسمين عدة وديان ، تصب فى وادي حنيفة الذي يبدأ من هذا المحل ويتجه شرقاً ، وهو الوادي الذي سميت باسمه قبيلة بنى حنيفة ، او سمى باسمها ، وتقع عقرباء فى محل انعطافه نحو الجنوب ، وفي شمال عقرباء يقع جبل صلبوخ ومرتفع الابكين .

وفي جنوب ثادق الواقعة شمال غرب حريملة ، يبدأ وادي الخفس الذي يتجه جنوباً ، ثم يتجه شرقاً فى حريملة ، فتنصرف به المياه الى الدهناء ، وعلى مسافة ١٢ ميلا في جنوب غرب حريملة ، تقع سدوس وباتجاه وادي الخفس من الشمال الى الجنوب ، وإتجاه وادى حنيفة نحو الجنوب ايضاً قسمت جبال طويق الى سلسلتين - السلسلة الغربية والسلسلة الشرقية ، وهى الجبيل وشماله جبل صلبوخ ومرتفعات العارض اما السلسلة الغربية فهي السلسلة المرتفعة ، التى تمتد من الشمال الى الجنوب ، وتغير إتجاهها الى الجنوبي الغربي الى وادي الدواسر .

وتكون مقاطعة القصيم جنوب وادى الرمة في القسم الشمالي من سلسلة طويق .

---

(١) راجع قلب الجزيرة - حافظ وهبه

اما العارض فتؤلف تهامة نجد في هضبة العرمة ، وفى جنوبها مقاطعة الخرج ، وفى هذا القسم بنيت مدينة اليمامة على حافة وادى حنيفة ، وحيث ان مياه الوديان التى تسيل من القسم الجنوبي من هضبة العرمة ، ومن القسم الوسط من جبال طويق ، ومن الهضبة المشرفة على وادي حنيفه من الجنوب ، تنصرف جميعها الى مقاطعة الخرج في منطقة اليمامة ، فقد اصبحت هذه المنطقة من اخصب البلاد النجدية ، فكثر سكانها) حتى ان مسيلمة الكذاب سعى الى تحديد النسل في بني حنيفة)ولذلك فقد لاقى المسلمون في قتالهم امراً شديداً .

العوامل المؤثرة فى قتال الصحراء

العوامل المؤثرة

يتأثر قتال الصحراء بعوامل رئيسية وخاصة ضد القبائل وأهم هذه العوامل هي . -

تأثير الماء

١ - الماء - وهو من اهم العوامل التى تؤثر على سوق القطعات في الصحارى ، حيث يندر وجوده الا في الواحات والابار التى تحفر فى الوديان باعماق مختلفة حسب ارتفاع المناطق ، ولزاماً على قادة القوات التى تتحرك فى الصحراء ان تتخذ التدابير لتامين الماء سواء بتشكيل ارتال النقلية للاسقاء ام بغيرها . ومن ابرز الامثلة التى تظهر تاثير هذا العامل هو ما اجراه الجيش البريطاني فى حروبه ضد الاتراك عام ١٩١٧ في فلسطين من خزن المياه ومد الانابيب ، وقد كان الجمل يخفف من تاثير هذا العامل في القوات العربية المقاتلة في حروب الردة (حرب توحيد الجزيرة) وفى حروبهم فى العراق

والشام ، حيث أن الجمل وهو (سفينة الصحراء) يصبر عن الماء لمدة طويلة ، قد تصل الى عشرين يوماً فى ايام الشتاء ، فلا يبقى غير الجنود الذين يتمكن كل منهم من تامين ماءه لنفسه

ولم يكن الجمل ليساعد العربي بهذه المساعدة فقط ، وانما كان يمد صاحبه بالماء ، فقد كان البدوي ولا زال يشرب البان الابل ، وقد يعمد الى ذبح جمل عجوز ليشرب الماء من جوفه ، او انه يمد عصاً فى جوف البعير ، فيسيل الماء من حلقه فيشربه . ويذكر (مولر) انه يندر فى عشيرة (الرولة) (١) من لم يشرب الماء الذي فى جوف الجمل (٢) .

ولم تكن قوات خالد بن الوليد في قتال الردة لتتفوق في هذا العامل على القبائل ، حيث ان كلا الطرفين المتحاربين يعتمد على الجمل . كما ان الفرد المقاتل في كلا الطرفين قادر على احتمال العطش

وبهذا نجد خالد بن الوليد لابد من أن يستهدف بحركاته مصادر الماء في الجزيرة ، لكي يتمكن من ارواء جيشه من جهة ، ويحرم عدوه من المراكز التي يستند عليها للسقي ، ولا زالت مراكز المياه ومنابعها من العوامل المؤثرة في قتال الصحراء في يومنا هذا .

التموين

٢ ـ عامل التموين ـ بنتيجة ندرة الماء في الصحراء قل الزرع وندرت المدن التى تستند عليها القوات للتموين . ولذلك يجب تهيئة ما تحتاجه القطعات من المواد المنوطة بها حياة الجيش ووضعها في مناطق امينة لتكون قاعدة تستند عليها القوات عند الحاجة

اما فى قتال المرتدين ، فلم يستند خالد بن الوليد والامراء الذين

---

(١) الرولة ـ بطن من عشيرة عنزة تسكن بادية الشام

(٢) تاريخ العرب (مطول) حتى جـ ١ ص ٢٦

ارسلتهم القيادة العربية في المدينة على قواعد للتموين لقطعاتهم ، وذلك لان القوة كانت تمون نفسها من الغنائم التي تأخذها من عدوها ، ومن المواد التي تفرضها على المعادين بنتيجة الصلح ، وذلك حسب العرف المتبع في ذلك الوقت . غير ان هذا كان يجري بتسامح كثير ، وسنرى ذلك في معارك العراق والشام

ومن جهة اخرى ان طعام البدوي قليل بالنسبة لاحتياج الجندي في عصرنا ، فحفنة من التمر واخرى من الدقيق ولبن الناقة هو جل مايحتاجه الجندي لبضعة ايام ، فهو نوع صبور كجمله ، ولم يكن المقاتل العربي المسلم ، ليتفوق في هذا العامل على مقاتلي القبائل ، غيران قلة اثقال الجيش سهلت حركته ، وبذلك امن خالد سرعة الحركة ، الامر الذي كان مساعدا له للقضاء على المرتدين ، كما سهل على العرب القضاء على الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية بمدة وجيزة .

الطرق

٣ ـ الاراضي في الجزيرة العربية مفتوحة ، يمكن التنقل فيها بجميع الاتجاهات ما عدا بعض المناطق التي تكثر فيها الكثبان الرملية كالنفود والدهناء ، او المرتفعات كجبلي شمر وجبل طويق وهذه يمكن اجتيازها من مسالك معينة .

الا ان ندرة المياه في الصحارى ، وخاصة في الجزيرة العربية تضطر القادة على اتباع مسالك معينة واتجاهات معينة مستخدمة في ذلك الادلاء ، وذلك لسهولة فقد ان الاتجاه وصعوبة المحافظة عليه بسبب التغيرات المختلفة التي تجريها الرياح في تغيير مواضع الكثبان الرملية .

وحيث ان القطعات تستهدف مراكز المياه وينابيعها وهذه اما ان تكون فى الواحات او في الآبار التى تحفر في الوديان فلذلك اصبح لزاماً على القوات ان تعقبها لتتمكن من الوصول الى مراكز اجتماع القوات المعادية وقراها لامكان اجبارها على الاذعان والتسليم .

وقد كانت اهم الطرق في الجزيرة العربية هي . -

آ - طريق المدينة الربذة وطوله ٢٤ فرسخاً ، وهو ما يقارب ٨٠ كيلومتراً مارا بذى حسى ، وذى القصة ، والشقرة ، فالربذة وهي موقع الحناكية الحالي ، ومن الشقرة يتفرع الطريق الى حايل مارا بالحافة الشرقية لحرة خيبر الى سليم ، فسميراء ، ثم الى حايل مارا فى (فيد) ويمكن ان يمر من المدينة فالربذة ، ويعقب الاتجاه الى فيد وهذا الطريق يمكن قطعه بستة مراحل .

ب - طريق المدينة - الربذة - بريدة . وطوله يقارب (٣٠٠) ميل ويمكن قطعه بين عشرة مراحل الى اثنى عشرة مرحلة ويعقب هذا الطريق وادى الرمة وهو من الطرق الرئيسية في الجزيرة ويمكن ايجاد الماء في كل قسم من اقسامه بحفر الآبار فيه وهو طريق مواصلات بين العراق والحجاز ويمكن تعقيب هذا الطريق للقطعات الكبيرة وخاصة في موسم الامطار ، ومن بريدة يتفرع الطريق الى فيد ، وطوله يقارب (١٠٠) ميل ويمكن قطعه بخمسة مراحل او اربع .

كما يتفرع طريق آخر من بريدة الى زلفي فمنطقة اليمامة اومن عنيزة الى منطقة اليمامة .

ج - طريق المدينة - خيبر - حايل ، ويمكن قطعه بسبعة مراحل

وقد عقبه الخليفة ابو بكر في حركة الاغفال تجاه قبيلة طي .

د ـ طريق المدينة ـ الرياض فاليمامة ، وهذا يقرب من (٤٠٠) ميل ويسير من المدينة شرقاً الى منطقة اليمامة ، غير ان الوديان في هذا الطريق تكون عمودية عليه ، ولا تسير في موازاته في اغلب اقسامه ولذا تصعب حركة القوات الجسمية فية لقلة المياه به .

هـ ـ طريق بريدة ـ عنيزة ـ شفرة ـ عقرباء وهذا الطريق يسير بمحاذات السفوح الغربية لجبال طويق وهي محل انكسار هذه السلسلة نحو الجنوب الغربي ، ثم يجتازها من ثنية اليمامة الى عقرباء ، وقد عقبه خالد بن الوليد في تقدمه الى مقاتلة بني حنيفة وتمكن قطعه بعشرة مراحل .

و ـ طريق بريدة ـ زلفي ـ ثادق ـ عقرباء ويمر موازياً للسلسلة الشرقية لجبال طويق ويقطع هذا الطريق عدة وديان واراضي وعره يصعب قطعها بسهولة للقطعات المقاتلة كما تسهل المدافعة فيها لكثرة الوديان التي تجتازها غيرانه تكثر فيه المياه ولذلك كثرت عليه القرى ويفصله عن المدينة سلاسل جبال طويق الغربية .

وهنالك كثير من الطرق الأخرى الفرعية بين المراكز المختلفة في الجزيرة لم نذكرها لأن ـ هذه هي الطرق الرئيسية للمنطقه وسيرد ذكر الاتجاهات الأخرى في المعارك التي جرت بين قوات المسلمين وبين الخارجين على طاعة المدينة (الخارجين على الاسلام) .

صفاة المحاربين

٤ ـ صفاة البدوي لهذا العامل اثر كبير في نتيجة الحرب وتسيير معاركها ، فالبدوي عزيز النفس كريم الطباع . غير انه شجاع جسور ، لا يهاب الموت ، علمته الصحراء على الانفة وعدم الانقياد

لاحد. فطبع على عدم الخضوع، يعتز بحريته اكثر من الحياة. طبعه محيطه على الكفاح والاعتماد على نفسه للحصول على العيش، فنشأ صبوراً، مقداما، فردى النزعة في العمل. غير انه اذا تهذب وتثقف ساعده ذكاؤه على الانتاج وتكوين جسمه الذي ليس فيه غير العصب والعظام والعضل والدم ساعده على مغالبة الصحراء. فغلبها بصبره وجده. ولهذا فلا تلين قناته لاحد. يقابل عدوه ان حمل عليه بحملة مثلها. ولكنه لا يشترك بمعركة يرى الخسارة فيها عليه. ويتصل البدوي بوشائج القربى او بالمحالفة بعشائر عدة ولذا إن خسر في المعركة فانه يلجأ الى قوم آخرين فيجيرونه ويحفظونه مما يحفظون منه انفسهم، واذا انسحبت القبيلة من المعركة، فانها تنسحب بعدة اتجاهات، ولذا يصعب على القوات مطاردتها.

ورغم وشدة البدوي هذه وبسالته، يعوزه الضبط والنظام الذي فى القطعات المدربة. ومع هذا العوز لايصح الاشتباك مع القبائل بقوات قليلة لان ذلك يزيد فى معنويته عدى انه يشجع المترددين للانضام الى المقاتلين ضد القوات النظامية.

اما اذا رفض البدوي الاشتباك بمعركة ما، فانه يرحل الى منطقة اخرى ولاخضاعه يقتضي السيطرة على مراكز المياه التي قد يضطر الى المجيء اليها لسقي حيواناته. وخاصة في موسم الجفاف حيث يكون الحر شديداً وقطعانه تحتاج الماء بمدة قليلة.

وبسبب هذا العامل اشتبك المسلمون بمعارك كادوا يفقدون بها النصر، لولا تمكن العقيدة والايمان من قلوبهم، وحسن قيادتهم وتجاربهم فى حرب الصحراء ينجلي.

اسلوب القتال

ينجلي اسلوب العرب في القتال من معاركهم وأبرز هذه المعارك هي معركة ذى قار .

كان السبب المباشر لهذه المعركة ان كسرى غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة لامتناعه عن زواج ابنته من ابن كسرى ، والعرب لا تزوج بناتها للاعاجم ، فخرج النعمان فاودع ماله ودروعه وولده والف شكة وقيل اربعة آلاف شكة عند بني شيبان كما وضع ودائع عند احياء من العرب ، ثم هرب واتى طياً لصهره فيهم ، فابوا ان يدخلوه جبلهم ، وطلب اليه بنو رواحة بن ربيعه بن عبس ان يقيم بينهم ويمنعونه مما يمنعون منه انفسهم فلم يرض خوفاً عليهم من بطش كسرى ثم خرج ووضع يده في يد كسرى فحبسه في ساباط وقيل في خانقين ومات سنة ٦٠١ للميلاد .

موقع ذى قار

فلما هلك النعمان جعلت بكر وائل تغير على السواد وكانت نتيجة ذلك معركة ذي قار وقد اختلف في موقع ذي قار فمنهم من يذكر انه (المقير) قرب الناصرية وذكر آخرون انهم موقع (ابو الجير) الحالي على طريق الرطبة بعد الرمادي اما موسيل في كتابه شمال نجد فيذكر انه موقع ابو غار (١) ويروي انها قد تكون

---

(١) ان الاسباب التي تحملنا على الاعتقاد ان موقع ذي قار هو ابو غار هي : -

اولا - ان القبيلة التي قاتلت العجم هي بكر وائل وكانت منازلها الشتوية في البحرين والصفية في العزاق ولما كانت قبيلة تغلب كانت تسكن المنطقة الوسطى من الفرات (منطقة الديوانية الى هيت) فلا يحتمل ان تنزل بكر وائل في منطقة مراعي تغلب ، والاقرب -

معركة (ايد كارا) في التاريخ اليوناني

المعركة: طلب كسرى بن اياس من قبيصة الطائي الذي عينه حاكماً للحيرة بعد النعمان ان يقاتل بكر وائل فتهيأ لذلك .

وقد تقابلت القوات العربية مع الفرس فكانت بكر وائل في القلب وبنو حجل في الميمنة وبنو شيبان في الميسرة .

اما قوات الفرس فكانت كتيبتا الشهباء والدوسر في المركز والهامرز الفارسي في الميمنة مع الف مقاتل وخنابرين مع الف مقاتل في الميسرة

وقد كان رؤساء القبائل يشجعون المقاتلين ويرشدونهم على اسلوب القتال مع الفرس فقال حنظلة بن ثعلبة يامعشر بكر وائل ان النشاب الذي مع الاعاجل يفرقكم فاذا ارسلوه لم يخطئكم فعاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة .

وقال ربيعة بن غزالة السكوني . لاتستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلكوا بنشابهم ولكن تكردسوا كراديس فيشد كردوس فاذا اقبلوا عليه

= الى الواقع ، انها كانت تصيف في منطقة بصبة والسلمان وهذاه لا زالت مصايف للقبائل العراقية والنجدية .

ثانيا - ان المسالح الفارسية كانت منتشرة في منطقة الحيرة ولا يحتمل ان يقبل العرب معركة في هذه المنقطة مع الفرس .

ثالثا - يذكر الطبري ان الفرس قد عطشوا في المعركة ومالوا الى ذي قار فلا بد ان هذه المنطقة تقل فيها المياه ، وهي منطقة بصية على الارجح

رابعاً - يسمي العرب يوم ذي قار بيوم الحنى ، وقد هجم اياس بن قبيصة الطائي على بني شيبان فيه ، وهذا الموقع لا زال يسمي بشعيب الحنية في شرق بصيه ، وهو على مرحلة يوم واحد من ذي قار .

خامساً - ان بعض القبائل العربية تبدل حرف القاف بحرف الغين ولا زال قسم منها تقول كلة غلم بدل قلم ونعتقد ان كلة (غار) هي (قار) و (ابو) تؤدي معنى الاشتمال في هذا الموضع وهي بمعنى ذو وبهذا يكون موقع ابو غار هو ذو قار .

شد الاخر ففعلوا .

وقال هاني مسعود : ياقولم هالك معذور خير من نجاء معرور وان الحذر لايدفع القدر وان الصبر من اسباب الظفر المنية ولا الدنية واستقبال الموت خير من استدباره والطعن في الثغر اكرم من الطعن في الدبر ياقوم جدوا فما من الموت بد . فتح لو كان له رجال .اسمع صوتاً ولا ارى قوماً ويا آل بكر شدوا واستعدوا والا تشدوا تردوا .

ولم نجد تفاصيل وافية عن القتال سوى ان اياس بن قبيصة الطائي قد هجم على العرب في الحنى ثم مال الى موضع الجبابات في اليوم الاول من المعركة وقد كان الموقف لصالح الفرس غير ان بني شيبان والقبائل العربية الاخرى قد وحدت عزمها ، وضعت كمينا في الحنى في اليوم الثاني فلما حدث الاشتباك لم يشعر الفرس الا بظهور الكمين ، فاربكهم ، وكان قد اخذهم العطش ، فتراجعوا الى ذي قار، فركبتهم القبائل العربية ، ولم تترك لهم الفرصة ، وطردوهم من الساحة . وانتصر العرب ، فكان اول يوم انتصف به العرب من العجم .

ومن معركة ذي قار ، نستنتج ان العرب لم يكونوا فى القتال يقلون عن الفرس في ادارة المعارك وتعبئة القطعات وان لم يقد رجالهم قطعات منظمة كبيرة غير ان تقسيم القوات الى ميمنة وميسرة وقلب كان نفس اسلوب الجيش الفارسى ، كما يظهر ان نظام الكراديس لم يكن غريباً على العرب في القتال لأننا نراهم قد تمكنوا من تطبيق اقتراح ربيعة بن غزالة السكوني فتمكنوا من معالجة الموقف وتجنب

الخسائر التي قد تحصل من جراء نشاب الاعاجم وهذا من الاساليب التي تراعي في هجوم الخيالة على المشاة (١)

وقول حنظله بن ثعلبة (عاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة وعدم الانتظار) من الامور التي تساعد على النصر عند تساوي الكفاءات وعامل المباغتة لم يغفل العرب عنه في معاركهم وهو من عوامل النصر في جميع الحروب ونراهم قد وضعوا الكمين في الحنى فباغتوا به الفرس وحلفائهم ومعاجلة اللقاء تدلنا على ان العرب كانوا يقدرون عامل الهجوم وان النصر لا ينال الا به .

هذا نوع من اساليب العرب في القتال ويظهر من معارك المسلمين مع اعدائهم في زمن الرسول (صلعم) ان المسلمين وقريش استخدموا نظام الصف فى القتال كما ذكرنا وان قتال الكر والفر لم يستخدم الا فى المناوشات الفردية .

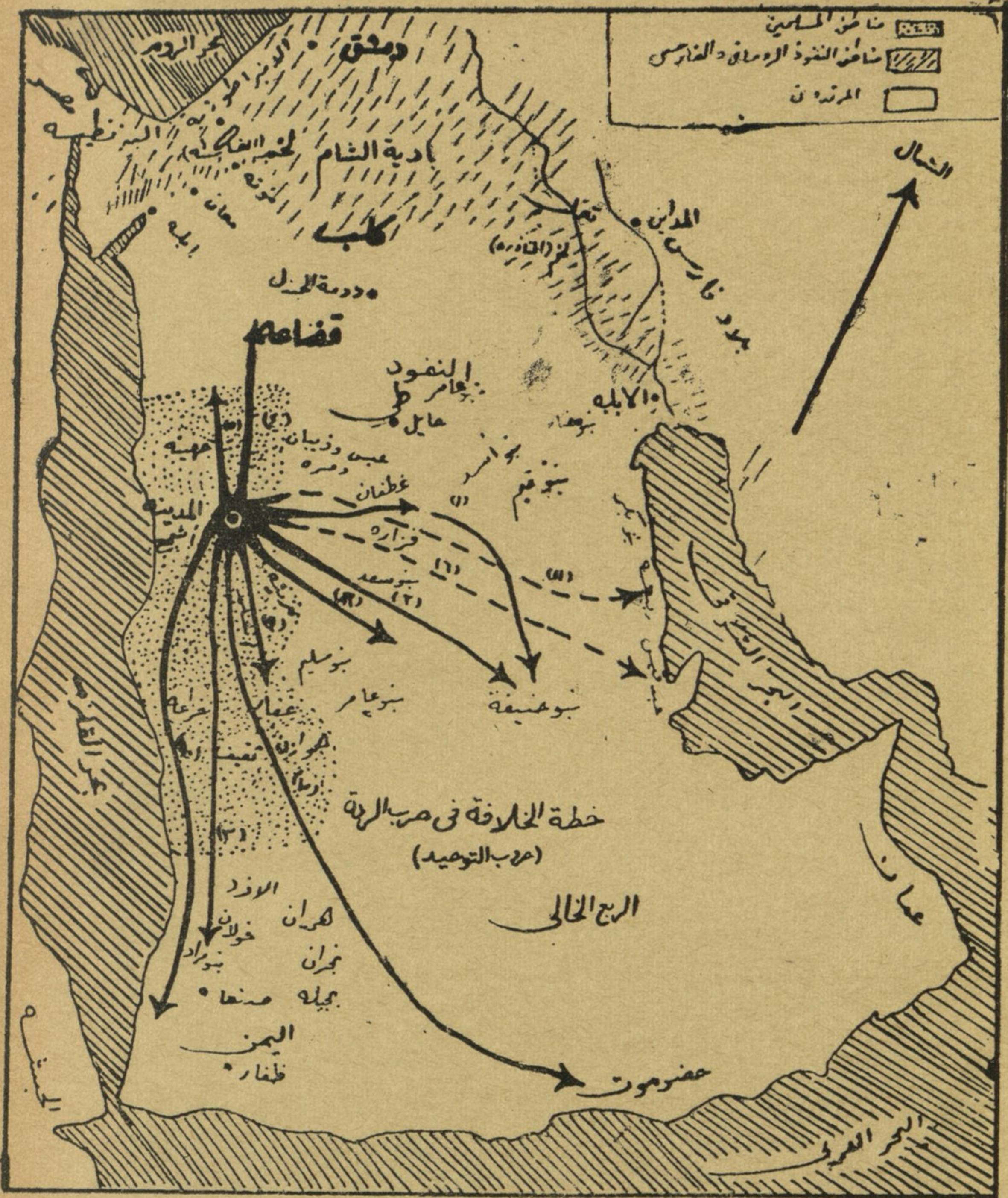
ولهذا كان واجباً على القيادة الاسلامية فى المدينة المنورة (الخليفة) ان تسلم قيادة قواتها الى قادة يعرفون اساليب القتال لأن القبائل المعادية ستواجه صلابة القيادة الاسلامية وهى تعرف القتال وليست غريبة عن اساليب الحرب وتعبئة القوات فى المعارك .

وقد ارسلت الخلافة عدة قادة للحرب واختصت خالد بن الوليد بقيادة اقوى الارتال وتجاه اقوى القبائل وفى اخطر منطقة من الجزيرة العربية كما سنرى .

---

(١) راجع خالد بن الوليد - طه الهاشمي .

خطة الخلافة في مقاتلة المرتدين



المخطط رقم ٢

الحركات الاولية فى حرب الردة

(حرب التوحيد)

المفاوضات

ارسلت القبائل المرتدة وفداً الى المدينة ليفاوضوا الخليفة ابا بكر الصديق يطلبون اعفاءهم من الزكاة على ان يقيموا الصلاة . فجمع ابو بكر الصديق الصحابة ليشاورهم في الامر فكان هناك رأيان :
الرأى الاول هو راي عمر بن الخطاب وهو ان لا يقاتلوا قوماً يقولون (لااله الا الله محمد رسول الله) معتمدين على قول الرسول (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا أله الا الله محمد رسول الله)
اما الراى الثاني فكان لابي بكر الصديق وهو ان يقاتلهم على عقال بعير يمنعونه عليه حتى يؤدوه وقد قال (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) .

وقد اراد اصحاب الرأى الاول المناقشة والمحاججة والاقناع وهذا هو رأي من يروم اتباع اسلوب التثقيف . اما اصحاب الرأي الثاني فهو الضرب على ايدي العابثين بالنظام حتى يخضعوا له . وعلى رأسهم الخليفة الصديق الذي اعتبر اركان الاسلام يكمل بعضها بعضاً ولا يصح ترك احدها ،وهذا رأي صائب رجع اليه اصحاب الرأي الاول فقال عمر بن الخطاب (فوالله ما ان رأيت الله شرح صدر ابي بكر للقتال الا وعرفت انه الحق[١] وعلى هذا فقد رجع الوفد خائبـــاً ، ولم ينل من مطاليبه شيئاً . غير انه عرف حال المدينة

---

(١) راجع صحيح البخار جـ ٢

وخلوها من المقاتلين حيث قد ساروا مع اسامة بن زيد الى الشام، ولم يبق عدد قادر على الدفاع عنها ، فشجع الوفد القبائل على مهاجمتها .

انذار الخليفة للمسلمين

فلما خرج الوفد جمع الخليفة الناس فقال لهم (ان الارض كافرة وقد راى وفدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون اليلا تؤتون ام نهاراً؟ وادناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون ان نقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم . ونبذنا عهدهم ، فاستعدوا واعدوا (١) وطلب الى القبائل الموالية للمدينة والباقية على الاسلام وهي اسلم ، وغفار ، ومزينة وجهينه وكعب ان تمده بالرجال ، فاسرعت هذه القبائل في تلبية الدعوة ، وان جهينه وحدها ارسلت اربعمائة مقاتلا راكباً .

الخفراء

ثم دعا ابو بكر عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم ، وجعلهم خفراء على مداخل المدينة، ليدافعوا عنها ، وينذروا المقاتلين حتى يتهيئوا للقتال(٢) كما ان القوات جمعها الخليفة الصديق في المسجد لتكون جاهزة للعمل .

اجتماع القبائل

كان خارجة بن حصن قد اوقف جابي اموال الزكاة ، واخذها منه ، وردها الى بني فزارة ، ولما فشلت المفاوضات بين وفد قبائل (اسد وغطفان وجديلة من طي) اجتمعت هذه القبائل على طليحة المتنبي . الا ما كان من خواص اقوام من القبائل الثلاث .

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) هذا درس في الاخلاص للعقيدة والمبدأ تركه لنا الامام علي بن ابي طالب وفي نكران الذات لخرج يحرس المدينة وهو لم يبايع بعد .

فاجتمعت اسد بسميراء وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة وطى على حدود ارضهم (اكناف جبل شمر وهي سفوحها).

واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالابرق من الربذة وسارت الاخرى الى ذى القصه وتاشب اليهم ناس من بني كنانه (١) .

وكان سبب افتراق هذة القبائل ونزولها في منزلين ، هو قلة الما التي اجبرت القبائل على الانقسام الى قسمين وخاصة ان هذه الحركات جرت في الموسم الذي تقل فيه المياه وهو شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة ويوافق هذا التاريخ شهر حزيران سنة ٦٣٢ ميلادية فسبب هذا ضعف القوة المهاجمة للمدينة فيسر ضربهم من قبل المسلمين . وقد بلغت قوات طليحة ما يقارب ٤٠٠٠ مقاتل ، منهم الفان في ذي القصة والربذة ، وبعد رجوع الوفد من المدينة شجعها على الهجوم ، فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل ، وخلفوا بعضهم بذى حسي ليكونوا لهم رداً ، وهاجموا المدينة ليلا ، وعلى الانقاب (٢) المقاتلون من المسلمين ، ودونهم اقوام يدرجون فنبهوهم ، وارسل الخفراء الخبر الى ابي بكر الذى امرهم ان يلزموا اماكنهم ، وخرج هو مع من فى المسجد ، وهجم على القبائل فاضطرها المسلمون على الانسحاب ، فاتبعهم المسلمون على ابلهم ، حتى بلغوا ذي حسى ، وفيه احتياط القبائل ، فلما وصل المسلمون ذى حسى ، خرج احتياط القبائل

الهجوم على المدينة

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٢٢

(٢) مداخل المدينة

بانحاء (١) نفخوها وربطوها بالحبال فدهدهوها في وجوه ابل المسلمين ، فنفرت الابل منها راجعة الى المدينة ودخلتها ولم تحدث خسائر في المسلمين (٢) .

دروس

ويلاحظ من هذه المعركة ان الخليفة ابو بكر الصديق ،قدوضع الخفراء على منافذ المدينة بامرة رجال ، صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فاصبحوا حجاباً ، وجعل القوة الضاربة متهيئة في المسجد للحركة وهذه خطة مثلي للدفاع عن المدن ، وخاصة ان المسلمين لا يدرون من اين ستهاجم المدينة ومتى تهاجم ؟ .

كما يظهر ان المسلمين لا يعرفون بوجود قوات للعدو بذى حسى لأن القبائل تركت الردء اثناء تقدمها . وهذا ما يتطلب بث العيون والارصاد مع العدو لمعرفة اعماله وحركاته ، واستخدام الاحتياط وهذا يدل على ان للعرب فكرة ناضجةعن الحرب ، وما تؤآخذ عليه القبائل عندهجومهاعلى المدينةالمنورة ، هو انها لم تجتمع في صعيد واحد ، وتفرقت الى فرقتين بسبب قلة الماء والمرعى ذلك التفرق الذي ساعد المسلمين على ضربهم ، وكان بامكان القبائل ان تتحرك من أماكنها في اوقات مختلفة على ان تصل المدينة المنورة بوقت واحد ، وهذا ضعف فى قيادتها مضافاً الى ذلك ان قسماً منها غير مخلص كل الاخلاص لطليحة ، امثال طى التى كانت على حدود ارضها .

---

(١) جمع نحى وهو الظرف الخالي

(٢) راجع الطبري ج٣ ص ٢٢٣

هجوم المسلمين السكر

بعد ما رجع المسلمون الى المدينة ، ظن القوم أن بالمسلمين وهنا ، فبعثوا الى من بذى القصة ان يقدموا فقدموا عليهم ، واجتمعوا بصعيد واحد (بذى حسى) فبات المسلمون بالمدينة ، ثم خرج ابو بكر الصديق على تعبية من اعجاز ليله يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن ، وعلى الساقه سويد بن مقرن ومعه الركاب ، فما طلع الفجر الا وهم والعدو في صعيد واحد ،فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف فاقتتلوا باعجاز ليلتهم واتبعهم ابو بكر حتى نزل بذى القصة (٤) وبانسحاب القبائل زال الخطر عن المدينة وبقي على الخليفة ان يتهيأ لمقاتلة القبائل الاخرى التي لم تكن خارجة على الطاعة فحسب ، وإنما مرتدة أوتابعة لمتنبيء ومن هجوم المسلمين ليلا يظهر ان للعرب قابلية على القيام بالحركات الليلية التي بها تمكن المسلمون من اخذ عدوهم بياتا (١) .

نتيجة حركات ابى بكر

بعد هذه المعركة عز المسلمون وتحسن موقفهم فازدادوا ثباتاً على الاسلام وتضاعف ثبات المسلمين الذين فى القبائل على اسلامهم ، ووصلت صدقات عدى بن حاتم وصفوان والزبرقان .

غيران تأثير هذه المعارك كان معاكساً للنتيجة فى المشركين في عبس وذبيان فوثبوا على من فيهم من المسلمين وقتلوهم كل قتلة (٢) فحلف ابو بكر ليقتلن من المشركين كل قتلة وليقتلن من

---

(١) البيات وهو أخذ العدو ليلا بدون أن يشعر

(٢) الطبري جـ٩ ص ١٦٤

كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة وهذا يوضح لنا فكرة ابي بكر الصديق في قتال المرتدين والخارجين على الطاعة .

الهجوم على الربذة

كانت مواقع المعركتين السالفتين على مقربة من المدينة بمرحلة يوم واحد ، ولكن ابتعاد القبائل عنها الى الربذة وعلى الرغم من تخفيف الضغط به عن المسلمين فان الخطر قريب اليها حيث تبعد الربذة ٢٤ فرسخاً (١) ويجب طردها منها غير ان مهاجمتها ، وهي بهذه المسافة تجعل المدينة بدون قوة تحميها ، اذا ماتحركت قبائل اخرى نحوها ، وفي تركها بدون قوات مجازفة خطرة على الاسلام ولذا تريث الخليفة الصديق حتى جاء جيش اسامة من الشمال منتصراً فازداد ثبات المسلمين وارتفعت معنوياتهم وقويت شوكتهم وعند ذلك عزم ابو بكر على مهاجمة القبائل في الربذة ، فابقى اسامة وقواته فى المدينة ليستريحوا من العناء وحماية المدينة وكقوة احتياطية للمسلمين . وتقدم هو بمن معه من المسلمين الذين هجموا على ذى حسى وذى القصة الى الربذة وهو على تعبئة ، حتى نزل على الربذة بالابرق فاقتتلوا فهزم أعداء الاسلام وغنم اراضي (ذبيان) ومنعوا من النزول فيها بعد ذلك (٢) .

تلك هى المعارك الاولى لحرب الردة سقناها موجزة للاطلاع على مجريات الحوادث فيحروب التوحيد (حرب الردة) . ولنعرف الوضع الذي كانت عليه القبائل في قتال المسلمين وفكرتهم التي يعتنقونها تلك الفكرة التي استوجبت ان يكون القتال مع الخارجين

---

(١) الفرسخ ثلاث أميال .
(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٢٤ .

منهم على طاعة المدينة المسلمة لاقتال تأديب فحسب وانما يتطلب قتل الفتنة في مهدها وقطع رأسها أياً كان ذلك الرأس مالم تظهر موالاته للمدينة بجلاء واضح ويعلن خضوعه اعلانا لا تأويل فيه ولا غبار عليه والا فان القتل فيه صلاح الامة التي كادت هذه الزوبعة ان تؤدي بها وترجعها الى عصبيتها القبلية القديمة وتطفىء نورها الذي اوشك ان ينير العالم لولا ان الله ابى الا ان يظهر هذا النور للعالم على ايدى المخلصين من الرجال الذين اشتروا الحياة الآخرة بالدنيا ، وتناسوا مصالحهم الخاصة في سبيل الصالح العام امثال ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والزبير بن عوام الذين وقفو على مداخل المدينة ليذبوا بسيوفهم عن كيان الاسلام ويهيوءا الرجال الذين لبوا دعوة الخليفة للجهاد .

عقد الوية الجهاد

بعد انتصار الخليفة في الربذة عقد احد عشر لواء[1] لمقاتلة المرتدين والناشزين ، وأرسلها باتجاهات مختلفة لاعادة النظام وعين لكل قائد لواء واجبه ومنطقته وقواته بالنسبة لما يتطلب الموقف فكان .

١ — لواء خالد بن الوليد — لمقاتلة طليحة بن خويلد واذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان اقام له .

٢ — لواء عكرمة بن ابي جهل — لمقاتلة مسيلمة الكذاب

٣ — لواء المهاجرين امية — وامره بمقاتلة العنسي ومعونة الابناء على قيس بن المشوح ومن اغاثه من اهل اليمن ثم يمضي الى كندة بحضرموت .

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٣٣٥ .

٤ — لواء خالد بن سعيد ـ بعثه الى الحمقتين في مشارف الشام فكان هـذا اللواء بمثابة قطعات الحدود في عصرنا وقد احسن الخليفة بارساله ليكون على حدود الروم لئلا تنتقض القبائل الموالية لهم على الاسلام .

٥ — لواء عمرو بن العاص ـ وارسله الى جماعـة قضاعـة ووديعـة والحارث .

٦ — لواء حذيفة بن محصن ـ وامره باهل دبا .

٧ — لواء عرفجة بن هرثمة ـ وامره بمهرة .

٨ — لواء شرحبيل بن حسنة ـ ارسله الخليفة في اثر عكرمة بن ابي جهل وقال له اذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعه وانت على خيله يقاتل اهل الردة وكانما الخليفة قد عرف قوة بني حنيفة فارسل اليها لوائين لمقاتلتها وادخالها حضيرة الاسلام .

٩ — لواء حذيفة بن حاجز ـ وامره ببني سليم ومن معهم من هوازن من المرتدين .

١٠ — لواء سويد بن مقرن ـ وامره بتهامة اليمن .

١١ — لواء العلاء بن الحضرمي ـ وامره بالبحرين .

ففصلت الامراء من ذى القصة . ونزلوا على قصدهم فلحق بكل امير جنده ، وقد عهد اليهم عهده وكتب الى من بعث اليه من

جميع المرتدة (١) .

ومع اننا نعتقد انما ذكره الطبري عن عقد الالوية كان صحيحاً الا ان وقت ارسال هذه الالوية لم يكن بوقت واحد لان الطرق المؤدية الى دبا والبحرين وعمان من المدينة المنورة تمر بمنطقة اليمامة او القصيم ويسكنها قوم معادين وفي رواية بن اسحاق انه لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة بعث الخليفة ابو بكر رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي وهذا يؤيد ان إرسال الارتال لم يكن بوقت واحد ويؤيد ماذهب اليه العميد طه الهاشمي من ان ارسالها لم يكن بوقت واحد (٢) .

خالد يقاتل طليحة

ومن توزيع الارتال نجد ان خالد بن الوليد قد ارسله الخليفة لقتال طليحة الاسدي ، وطليحة ينزل بسميراء وهي المنطقة الوسطى من الجزيرة وخطرها اكبر من القبائل الاخرى على الاسلام لقربها من المدينة بالنسبة لغيرها كما ان خطوط الحركات تمر بهذه المنطقة فلا بد من ارسال قائد قدير بهذا الاتجاه وخالد هو القائد المعروف بقدرته واسمه كفيل بالقاء الرعب في قلوب اعدائه فهو بسوس للحرب ، نصير للموت له اناة القطاة ووثوب الاسد . وقد امره

---

(١) الطبرى ج ٢ ص ٢٢٦

(٢) كتاب خالد بن الوليد - العميد طه الهاشمي ، ولم تذكر المصادر مقدار القوة بالضبط

الخليفة ان يبدأ بطي على الاكناف ثم يكون وجهه الى البزاخة حيث انتقل اليها طليحة من سميراء ثم يثلث بالبطاح ولا يريم اذا فرغ من قوم حتى يحدث اليه ويامره بذلك (١)

اما قوته فكانت بين اربعة آلاف الى خمسة آلاف مقاتل (٢)

طليحة بن خويلد الاسدي

تنبأ طليحة لما رأى قوة المسلمين وما بلغت اليه قريش في منزلتها في الاسلام فاراد ان يجمع شمل قبيلته عصبية لها وغيرة من قريش التي ظهر فيها النبي وقد ارسل الرسول محمد (صلعم) ضرار بن الازور لقتاله غير ان طليحة زاغ من ضربة وجهها له ضرار فشاع بين الناس ان طليحة لا يؤثر فيه الضرب بالسيف كما جاءهم بسجع (٣) كثير . وبعد ان تمكن الخليفة الاول من تشتيت قبيلتي فزاره وغطفان التجأت فلول القبيلتين الى طليحة ملتفة حوله لتثأر لنفسها من المسلمين . كما التحق اليه خمسمائة مقاتل من بطن جديله وغوث من قبيلة طي المترددة وبذلك تحسن موقف طليحة واجتمع من اجتمع اليه من بزاخة فقاربت قوته اربعة آلاف مقاتل وكان قد ساء موقف المسلمين فى اليمن وفي البحرين . كما اشتد موقف مسيلمة الكذاب وامده قوة بن هبيرة القشري ومنع الصدقة .

ولما كان خالد سيعقب الطريق الرئيسي الى البزاخة وهو الطريق الذي يعقب وادي الرمة وهذا الطريق يمر من المنطقة التي

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٢٢٧

(٢) خالد بن الوليد ـ العميد طه الهاشمي

(٣) قال لهم مما قال (ان الله لايصنع ليعتبر وجوهكم وقبح ادباركم شيئاً فاذكروا الله عفة قياماً فان الرغوة فوق الصريح . .) البلاذري

تؤثر عليها قبيلة طي فلا بد لخالد ان يستميل هذه القبيلة الى جانبه قبل الاصطدام مع طليحة لأن قبيلة طي مترددة ويمكن استمالتها الى المسلمين سلماً فوضع خالد بن الوليد خطة للعمل على تنفيذ هذه الفكرة متفقاً مع الخليفة ابي بكر الصديق . وكانت الخطة التي وضعها الخليفة مع خالد هي : القيام بحركة اغفال ينفذها الخليفة ابو بكر الصديق بالتقدم بقوة من المسلمين من المدينة باتجاه خيبر على ان يعلن عن هذه الحركة انها مقصودة ضد قبيلة طي فى جبل شمر ويتقدم خالد بقواته باتجاه البزاخة نحو طليحة بن خويلد الاسدي بقصد تثبيت قوات طليحة فى منطقتها وبعد ان يصل الى منتصف المسافة الى البزاخة ينحاز خالد بقواته نحو قبيلة طي فيرغمها على الاذعان ان لم تنجح السياسة بذلك قبل ان يتمكن طليحة من مساعدتها وبعد جلب طي الى جانب المسلمين يتقدم خالد بجميع قواته نحو البزاخة لمقاتلة طليحة . خطة خالد

ويظهر من هذه الخطة ان القيادة الاسلامية استهدفت بقاء كل من قوات طليحة وطي بمنطقتها فجعلت كل قسم منها يعتقد ان المسلمين يتقدمون نحوها فيثبت رتل خالد بن الوليد قوات طليحة ويثبت رتل الاغفال قوات طي في مكانها وبذلك يكون امر ضربها منفردة ميسوراً للمسلمين وهذه الخطة تدل على كفاءة حربية ممتازة ، وقيادة قديرة في ادارة الحرب وسوق القطعات . لأن القبائل ان لم تشعر بالخطر موجها نحوها تسعى لمساعدة القبائل الاخرى التي تربطها وشائج القربى وصلة النسب معها او انها ترتبط معها بحلف قديم دراسة الخطة

السياسة في الحرب

لم يكتف الخليفة ابو بكر بالخطة العسكرية هذه وانما شن حملة سياسية على طي ترأسها عدى بن حاتم لاقناع طي على تأييد المدينة وعدم الارتداد عن الاسلام فذهب اليهم عدى بن حاتم ليدركهم لئلا يؤكلوا ويجتاحهم خالد بمن معه.

وهذا مالوف في الجيوش الحديثة فان السياسية تسبق القوات العسكريه وتهيئى الظروف المناسبة لها عنـد وصولها فان نجحت السياسة خففت الضغط عن العسكريين وتجنبت اراقة الدماء والا فانها تتمكن من كسب بعض المؤيدين الذين يساعدون العسكريين عند تقدمهم. وبذلك تكاتفت القوات العسكرية والسياسيين في معارك خالد بن الوليد مع طليحة بن خويلد الاسدي وطي لاخضاع الاخيرة نهائياً وجعلها تميل الى جانب المسلمين وتسحب قواتها التى التحقت مع طلحه في البزاخة وتقاتل ضد طليحة بقيادة خالد.

كتب الخليفة

ارسل الخليفة كتباً (١) الى جميع المرتدين والخارجين على الطاعة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابي بكر خليفة رسول الله (صلعم)

الى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة. اقام على اسلامه او رجع عنه واني ابعث اليكم فلان في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وامرته ان لا يقاتل احداً ولا يقتله. حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب له واقر وكف وعمل صالحاً قبل منه ومن ابى امرت ان يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على احد منهم قدر عليه وان يحرقهم بالنار

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٦

ويقتلهم كل قتلة ، وان يسبي النساء والذرارى ، ولا يقبل من احـــد الا الاسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجزالله .

وقد امرت رسولي ان يقرأ كتابي هذا في كل مجمـــع لكم .
والداعية الآذان فاذا اذن المسلمون فاذ نوا كفوا عنهم ، وان لم يؤذنوا عاجلوهم . وان اذنوا اسالوهم ما عليهم فان ابو عاجلوهم وان اقروا قبل منهم وحمل على من يتبقى منهم .

وما يلاحظ في هذه الكتب التى ارسلت ان لا يقبل من احد غير الاسلام وغاية الخليفة من ذلك هو جمع العرب على كلمة (لااله الا الله محمد رسول الله) ليتمكنوا من نشر الدعوة بين الناس ، ويخرجوا من زاويتهم الى العالم ، فان وافقوا واعلنوا الاسلام ، يسألوا عما عليهم ، ويدفعوا الزكاة ،فان امتنعوا عنها فجزاؤهم القتل ولا يبقى القادة على احـــد منهم ، ويسبون النساء والذرارى .
والداعية لذلك ان يؤذنوا مع المسلمين علامة لهم على الاذعان ، وكف سيوف المسلمين عنهم ، حتي يؤدوا ما عليهم ، وهذه الفكرة هي التى طبقها خالد بن الوليد في قتال المرتدين .

وكانت اوامر الخليفة للقادة الذين امرهم على الالوية هي :

عهد الخليفة للقتال

بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من خليفة رسول الله (صلعم) لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن عهد الاسلام وعهد اليه ان يتقى الله ما استطاع في امره كله . سره وعلا نيتة ، وامره بالجد فى امر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الاسلام الى اماني الشيطان ، بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام ،فان

اجابوه امسك عنهم ، وان لم يجيبوه ، شن غارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبأ بالذي عليهم والذي لهم فياخذوا ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فمن فاء الى امر الله عز وجل واقر له قبل ذلك منه واعانه عليه بالمعروف وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا اجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه فيما استسر به ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه ولا يقبل من احد شيئاً اعطاه الا الاسلام فمن اجاب واقر قبل منه وعلمه ، ومن ابي قاتله فان اظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما افاه الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه وان يمنع اصحابه العجلة والفساد وان لا يدخل فيهم حشداً حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، وان يكونوا عيوناً لئلا يؤتى المسلمين من قبلهم وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول .

فكرة الخليفة في القتال

من هذه الكتب والعهود يظهر لنا ان فكرة الخليفة في قتال المرتدين قد كانت شديدة غير مقتصرة على التاديب . وروى عن عبدالله بن مسعود انه قال : لقد قمنا بعد رسول الله (صلعم) مقاماً كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بابي بكر . اجمعنا على ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وان نعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لابي بكر على قتالهم فوالله ما رضى الا بالخطة المخزية والحرب المجلية . فاما الخطة المخزية فان يقروا بان من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة وان يدوا قتلانا وان نغنم ما اخذنا منهم وان ما

اخذمنا مردودعلينا واما الحرب المجلية فان يخرجوا من ديارهم(١) .

وبهذا تكون خطة الخليفة شديدة على المارقين والمرتدين ، ويكون الخليفة قدحاربهم حرباً معنوية شديدة فاجبرهم على الاعتراف بان قتلاهم في النار .

ثم اجبرهم على ارجاع ما غنموه من المسلمين الى المسلمين فجعل القبائل الموالية لاعداء الاسلام التي تطمع بالغنائم تنسحب منهـا فتضعف بذلك قوتها وقد تلتجيء الى المسلمين وتقاتل معهم لأن ما تغنمه لهـا .

كما ان اجبار القبائل المرتدة والخارجة على النظام على النزوح من اراضيها يجعلها بدون منزل فيسبب لها مشاكل كثيرة من وجهة المعيشة وتكون عبرة لغيرها .

وبهذه الفكرة كان خالد يقاتل اعداء الاسلام وسار بقواته لقتالهم .

وصية ابي بكر لخالد

عليك بتقوى الله وإيثاره على سواه والجهاد في سبيله والرفق بمن معك (١) من رعيتك فان معك اصحاب رسول الله (صلعم) اهل السابقة من المهاجرين والانصار فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم فاذادخلت ارض العدو فكن بعيداً عن الحملة فاني لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ، وقدم امامك الطلائع ، ترتد لك المنازل ، وسر في اصحابك على تعبية جيدة ، واحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تقاتل بمجروح ، فان بعضه ليس منه

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٧

واحترس من البيات فان فى العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سريرتهم ، واذا اتيت داراً فاقحم فان سمعت آذاناً او رأيت مصلياً فامسك حتى تسألهم عن الذي نقموا منه فمنعوا الصدقة فان لم تسمع آذانا ولم تر مصلياً فشن الغارة فاقتل واحرق كل من ترك واحدة من الخمس . . واذا لقيت اسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك وبعضهم لا عليك ولا لك متربص السوء ينتظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون الغلبة له ولكن الخوف عندى من اهل اليمامة فاستعن بالله على قتالهم فانه بلغني انهم رجعوا باسرهم وان كفاك الله الضاحية فامض الى اهل اليمامة . سر على بركة الله .

مسير خالد

كان الخليفة قد عقد الالوية في ذي القصة فى ٢٧ رجب سنة ٦٣٢م فسار خالد بن الوليد منها متجهاً نحو بزاخة وخرج الخليفة بنفسه من المدينة على رأس قوة باتجاه خيبر واعلن انه يريد طيا وكان عدى بن حاتم قد سبقها الى طي يقنعها بالعدول عن مساعدة طليحة فاظهر ابو بكر أنه خارج الى خيبر وانه منصب على خالد حتى يلاقيه باكناف جبل سلمى فقعد ذلك طياً وبطأهم عن طليحة وكان خالد بطريقه الى البزاخة غير انه ازوار عن البزاخة وجنح الى طى وكان عدى بن حاتم بين ظهرانيها ليقنعها بمتابعة المدينة والعمل بجانب المسلمين وان خالداً في طريقه اليهم فلما اقترب خالد منهم عرفوا ان ما وعدهم به عدى حق ، فجاؤوه وطلبوا اليه ان يستقبل الجيش فينهنهة عنهم حتى يتمكنوا من استخراج من لحق منهم بطليحة بالبزاخة وقالوا له (فانا ان خالفنا طليحة وهم فى يديه

قتلهم او ارتهنهم (١) .

وعند ذلك خرج عدى الى خالد وقال له (ياخالد امسك عني ثلاثا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك ...) فتمكنوا من سحب رجالهم الذين مع طليحة كمدد له ثم سار خالد نحو الانسر يريد جديلة فسبقه عدى الى جديله وتمكن من اقناعها وارجاعها الى حضيرة الاسلام والتحق الف راكب منهم مع خالد .

وبهذا نجح القسم الاول من الخطة وأمن خالد بن الوليد على خط مواصلاته وزادت قوته الف وخمسمائة مقاتل وما ذلك الا بفضل الخطة المحكمه اولا وبفضل جهود عدى بن حاتم الذي كان خير مولود في ارض طي ونزوله عليها خيرا وبركة ثانياً .

معركة البزاخة

البزاخة ماء لبني اسد (٢) وهى في جنوب فيد ويقول العميد طه الهاشمي (والذي يلوح لنا انه فى جنوب فيد فى وادي الغمير على الطريق الذي يصل فيد بالبريده فالارض فيه سهلة وصالحه للقتال (٣) .

وقد حدثت المعركة بعد خمسة عشر يوماً من مسير خالد من ذى القصة حيث قدم امامه مفرزة استطلاع بعد ان دنا من بزاخة وتوقف في الغمر وفيها عكاشة بن محصن وثابت بن اقرم فقتلها طليحة ويظهر انه كان مستعداً للقتال او انه كان قد استطلع حالة

١- الطبرى ج ٣ ص ٢٢٩

٢- معجم البلدان ج ١

٣- خالد بن الوليد — طه الهاشمي -

المسلمين .

وقد اخذ المسلمون رجلا من بني اسد اسيراً الى خالد فحدثه عن طليحة وما كان يمنيهم به (١) وتدل الاعمال الاستطلاعية للطرفين على ان كلا منهم كان قريباً من عدوه .

القتال

رتب طليحة قواته للقتال فجعل الخيالة في الامام بقيادة عيينة بن حصن وجعل حبالا « اخاه » في الميسرة وسلمة في الميمنة وكان هو في القلب وحوله اربعون فارساً من بني فزارة يذبون عنه . اما خالد فقد جعل المهاجرين والانصار في الميسرة وعليهم ثابت بن قيس الانصاري وجعل القبائل الملتحقة به في الميمنة وكان خالد في القلب ، وقد طلبت قبيلة طي من خالد ان لاتقاتل قيساً لانهم حلفاء لبنى أسد فوافقهم على ذلك خالد بالرغم من اعتراض عدى بن حاتم لان القتال لاى قبيلة من قبائل طلحية هو جهاد (٢) .

ويذكر البلاذري ان خالداً سار الى الغمر وهناك جماعة من اسد وغطفان وغيرهم وعليهم خارجة بن حصن ويقال انهم كانوا متساندين قد جعل كل قوم عليهم رئيساً منهم فان صحت هذه الرواية فيكون القوم قد فقدوا اول عامل من عوامل النصر وهو القيادة الموحدة (٣) .

وقد هجم الجيشـــان والتحما بالقتال ، فارتدت ميمنة المسلمين

---

(١) كان يقول لهم (والحمام واليمام والصرد الصوام . قد ضمن قبلكم باعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام) .

(٢) راجع الطبرى ج ٣ ص ٢٣٠

(٣) نعتقد ان القيادة كانت لطليحه فهو الذي وزع قواته

(القبائل) فاثر ذلك على موقف الميسرة فكان النصر اقرب الى طليحة لولا ان برز سيف الله خالد بن الوليد ، فحمل على العدو منادياً (يا انصار الله) (١) ذلك النداء الذي لباه الانصار فكروا راجعين على عدوهم ، وملتفين حول خالد ، فتمكنوا من ايقاف هجوم عدوهم وقد بلغ القتال من الشدة ان اضطر خالد بن الوليد الى القتال راجلا ويظهر شدة هذا القتال ان احد رجال طي قال لخالد ان يعتصم بجبل سلمى ، فرد عليه خالد انه يعتصم بالله .

وبعد ان تمكن المسلمون من ايقاف اعدائهم من التأثير على موقفهم ، شددوا الهجوم على المرتدين والخارجين على الطاعة ، وتظهر شدتهم من محادثة عيينه بن حصن مع طليحة الذي كان ملتفاً بكساء بفناء بيت من شعر يتنبأ لهم والناس يقتتلون ، فلما هزت الحرب عيينه بن حصن وضرس القتال كر الى طليحة فقال له هل جاءك جبريل ؟ قال لا .

فخرج فقاتل حتى اذا ضرس القتال وهزته الحرب كر عليه فقال . لا ابا لك اجاءك جبريل بعد ؟ قال لا والله .

فقال عيينه بن حصن حتى متى ؟ والله بلغ منا ، ثم رجع فقاتل حتى اذا بلغ منه القتال كر عليه ، فقال هل جاءك جبريل ؟ .

قال طليحة : نعم قال فماذا قال لك ؟

قال طليحة قال لي ان لك رحا كرحاه وحديثاً لا تنساه.

قال عيينه بن حصن : اظن قد علم الله انه سيكون حديث لا

---

(١) شعار المسلمين ذلك اليوم

تنساه . يا بني فزاره هذا كذاب فانصرفوا فانصرف الناس وانتصر المسلمون (١)

اما طليحة فكان قد اعد فرسه عنده ، وهيأ بعيراً لامرأته النوار ، فلما غشاه الناس يسألونه ما تأمر ؟ وثب على فرسه ، وحمل امراته ، وقال من استطاع ان يفعل مثلما فعلت وينجوا باهله فليفعل ولحق بالشام ، وذكر انه اسلم بعد ذلك ، وابلى بلاء حسناً في فتح العراق وفي معركة نهاوند ، واستشهد . اما عيينه بن حصن فقد جيء به الى المدينة فاخذ غلمان المدينة ينخسونه بالجريد قائلين (اي عدو الله ، اكفرت بعد ايمانك ؟ فيقول (والله ما كنت آمنت بالله قط) وقد تجاوز عنه الخليفة وحقن دمه .

مطاردة المرتدين

وقد تفرقت القبائل الى اتجاهات مختلفة بعد هذه المعركة ، وكل قسم منهم يطلب منطقة امينة ، او يلتجيء الى قوم أقوياء ، ولكن خالداً لم يتركهم ، فقد عسكر بقواته في البزاخة شهراً يصعد ويصوب ، ويرجع اليها ، يطلب تلك القبائل ، وانتصر عليهم .

وكان من جملة من قاتلهم المسلمون ام زمل سلمى ،

ام زمل سلمى

فقد جمعت فلول القبائل ، وشجعتهم على القتال ، ولكن المسلمين ما لبثوا ان تمكنوا منها ، فعقروا جملها وقتلوها فتفرقوا .

فاتى خالد رمان والابانين وفيها فلول من بزاخه ، فلم يقاتلوه وبايعوه لابي بكر .

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٩

العوامل المؤثرة فى المطاردة

ثم يتمكن خالد بن الوليد ان يطارد القبائل بجميع قواته ، وانما عسكر فى البزاخة ، واخذ يرسل السرايا للقتال ومطاردة فلول المنهزمين ، وسبب ذلك هو ان القبائل تتفرق الى جماعات صغيرة بعد معركة فاشلة بالنسبة لها ولا يقبل البدوى الاشتراك بمعركة لايأمل النجاح فيها فيضطر الى الالتجاء الى قبائل اخرى . وبما ان المياه قليلة فى البادية ويصعب سوق القوات فى كل اتجاه بارتال كبيرة فيضطر القائد الى تفريق القوات بعدة اتجاهات ، وهذا يتطلب ان تكون لها قاعدة ثابتة في محل مركزى ، يتيسر فيه الماء ، ويكدس فيه ما تحتاجه القوة ، فتلتجىء اليه الارتال مهما صغرت للاستراحة والتمون بما تحتاجه ، وهذا يساعد القائد على اكتساب الوقت في انهاء المعارك بسرعة .

وسبب آخر اجبر خالداً على التعسكر فى البزاخة ، وهو ان القبائل التي تروم تقديم الطاعة والدخول فيما خرجت منه (الاسلام) لابدوان تجىء اليه ، فلابد ان يكون بمحل ثابت ليقبل منها الزكاة

اثر معركة البزاخة فى القبائل

وكانت القبائل تنتظر نتيجة معركة البزاخة فلما انتصر المسلمون جاؤا الى خالد معلنين الطاعة فكان قرة بن هبيرة فى كعب وعلقمة بن علاثة في كلاب وبنو عامر على قادتهم وسادتهم ولم يقبل خالد بن الوليد من مرتدي القبائل من اسد وغطفان وهوزان وسليم وطي اسلامها وطاعتها الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على اهل الاسلام فى حال ردتهم فأتوه بهم فقتل منهم الا

قرة بن هبيرة ونفر معه اوثقهم «١» ومثل بالذين عدوا على الاسلام فاحرقهم بالنيران ، ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم فى الآبار وخزق بالنبال وهذا ما جنته ايديهم فذاقوا على يد خالد بن الوليد ما كانوا يعملو بالمسلمين وبعث بقرة بن هبيرة وجماعته الى ابي بكر وكتب اليه بانه قتل كل من عدى على المسلمين كل قتلـــة .

كتاب ابي بكر

فكـتب اليه الخليفة (ليزدك ما انعم الله به عليك خيراً واتق الله به فى امرك فان الله مع اللذين اتقوا والذين هم محسنون جد فى امر الله ولا تنين ولا تظفرن باحد قتل المسلمين الا قتلته ونكلت به غيره ومن أحببت ممن حاد الله او ضاده ممن ترى ان في ذلك صلاحاً فاقتله «٢»

ولم يكن الخليفة الصديق يعطى هذه الحرية فى العمل لخالد بن الوليد لو لم يكن يعرف تفكيره ومقدرته ويعتمد عليه وهو جدير بهـذا الاعتماد وخليق بمثله ان لا يحدد بعمله كما أنه لابد من الصرامة في العقاب لاناس خرجوا على الطاعة ووضعوا مصلحتهم فوق مصلحة امتهم ولم يكن لابي بكر غير هذه الشدة فى العقاب ولا مناص من قتل من يرى خالد ان في قتله صلاحاً فمن مرق اليوم لا بد ان يمرق عن الطاعة غدا عندما تسنح له الفرصة وتساعده الظروف .

ولما كانت الامة مقبلة على عمل عظيم ، هو ارشاد العالم اجمع .

---

(١) الطبري ج ٣ ص ١٢٢٨
(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٣٣

فلابد للخليفة ان يقضى على كل ما يشم منه رائحة التمرد لتتفرغ الى خارج الجزيرة .

وهذه الامم في القرن العشرين تسعى بانواع الاساليب لقمع اي اضطراب في داخل حدود ها لتعمل بحرية في خارج الحدود والحرب تقضى بان تكون الامة جميعها تعمل يداً واحدة ان صممت ان تنال اهدافها كاملة .

اثر معركة البزاخة فى المسلمين

لم يصب خالد عيلا واحداً من بني اسد ، لأن عيالاتهم كانت محرزةو (١) ذلك لأن بني اسد ابعدوا اهلهم عن ميدان المعركة خوفاً من ان يأخذهم المسلمون سبايا ، ولـكن بعد ان جاءت وفود بني عامر وغطفان ، لم يقبل منهم خالد الا ان يسلموا عدداً من الاسلحة ، وبذلك حصل على السلاح المطلوب لاكمال تسليح المقاتلين الذين سيلتحقون به . كما ان نزع سلاح القبائل مما اضعف قابليتها على القتال فجعل المسلمين بأمان من انتفاضها ثانية . ومشكلة السلاح في القبائل فيالبلاد الشرقية من المشاكل الداخلية الكبرى .

القتال فى البطاح

بعد ان انتهى خالد من مطاردة الفلول المنهزمة وقبول طاعة القبائل الأخرى تهيأ لمقاتلة قبيلة تميم التي كان الرسول (صلعم)

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٢٠٥

قد ترك لها التصرف بامورها الداخلية كما هي خطته . وبعد وفاته (صلعم) اختلف رؤساء بطون تميم فيما بينهم فمنهم من منع الصدقة ومنهم من ارسلها وكان من ما نعي الصدقات مالك بن نويرة وقيس بن عاصم .

وقد بقي رؤساء بني تميم يتناحرون فيما بينهم ويتنافسون على الرآسة وبينما هم قد شغل بعضهم بعضاً جاءتهم سجاح «١» بنت الحارث مقبلة من الجزيرة وكان رهطها من بني تغلب تنبأت لهم وجاءت وفي نيتها الهجوم على المدينة وقد استجاب لها الهذيل وترك التنصر فلما انتهت سجاح بقومها الى الحزن (٢) راسلت مالك بن نويره ودعته الى الموادعة فاجابها وفثاها عن غزوها ويظهر ان مالكاً اراد ان يستفيد من قوتها للسيطرة على بطون تميم (٣)

ونعتقد ان مجييء سجاح من الجزيرة بغية الهجوم على المدينة لا بد وان يكون له عامل مشجع ولا تتمكن من السيطرة على الجزيرة بقوة قومها التابعين لها لو لم تكن هناك يداً اجنبية ارادت ان تستفيد من الوضع الداخلي في الجزيرة لترجع سيطرتها ونعتقد ان تلك يداً

---

(١) سجاح بنت الحارث بن سويد الطبري ج ٣ ص ٢٣٦

(٢) الحزن دون السهل .

(٣) كانت تميم اربعة بطون وهي : البطن الاول ـ بطن الرباب ، والبطن الثاني عوف والابناء وعليهم الزبرقان بن بدر وهو من الذين اخرجوا الصدقات وارسلوها الى المدينة ولم يدخلوا في امر سجاح وكان البطن الثالث يهدى وخضم وهم من شعب بني عمر بن صفوان وسبره هذا على يهدي وهذا على خضم اما البطن الرابع فهم حنظلة ويربوع وعلى الاول وكيع بن مالك وعلى الثاني مالك بن نويره الطبري ج ٣ ص ٢٣٦ – ص ٢٣٨

فارسية ارادت استرجاع سطوتها التى فقدتها بعد ظهور الاسلام في اليمن والمناطق المتاخمة لفارس (١)

غير ان ظهور سجاح في بطون تميم سبب زيادة النفرة والشحناء فيما بينها وزاد في اختلافها وعدائها الأمر الذي جعل قبيلة تميم على الرغم من كثرة عددها ضعيفة تجاه المسلمين وذلك لأن سجاح بعد ان اجتمعت بمالك بن نويرة ووافقها وكيع بن مالك وتهادنوا فيما بينهم فكروا جميعاً باي بطن من تميم يبدأون فسجعت لهم سجاح (اعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب) غير ان هجومهم هذا فشل فقد غلبتهم الرباب وسبب غزوهم هذا البطن لأنه لم يدخل امر سجحه عمرى ولا سعدي ولا ربي (٢)

وان سجاح خرجت فى جنوبي الجزيرة فلما وصلت النباج اغار عليهم اوس بن خزيمة الهجيمي ثم تصالحوا .

سجاح ومسيلمة

اجتمع رؤساء اهل الجزيرة على سجاح وسألوها ما تأمر به وكانوا يريدون غزو احدى القبائل فقالت (عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة)

واختلف معها مالك بن نويرة ونعتقد ان سجاحاً ارادت مصالحها ومالك يسعى لغير هذه الغاية فتقدمت سجاح بقواتها الى اليمامة فلما علم مسيلمة بتقدمها خاف ان هو شغل بها ان يغلبه ثمامة على حجر او يغلبه شرحبيل بن حسنة وكان قد ارسله الخليفة

---

(١) راجع اسباب حروب الردة .

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٣٩ .

لمقاتلته او ان تغلبه القبائل المحيطة به ولذلك اهدى لها ثم ارسل اليها يستأمنها وبعد أن اتفق معها على الزواج بها على ان يأكل بقومها وقومه العرب فلم يفجأهم الا دنو خالد بن الوليد منهم اذ بينما كان هؤلاء في تنازع مستمر كان خالد بن الوليد يضرب القبائل الاخرى ويرجعها الى حضيرة الاسلام راضية او كارهة .

مالك بن نويرة

وبعد أن وصل خالد الى البطاح اخرج وكيع وسماعة الصدقات واعتذرا بانها لم يقوما بعملهم عن ردةعن الاسلام وبقى من تميم مالك بن نويرة متردداً في امره حيث انه لا قبل له بالمسلمين وانه اغار على ابل الصدقة في رحرحان وفرقها فى قومه ولم يستمع الى نصيحة الاقرع بن حابس والقعقاع بن معبد الداري اللذان طلبا الية التريث فقال :

تمشا يا بن عوذة في تميم وصاحبك الاقيرع تلحياني

الى ان قال :

فقلت خذوا اموالكم غيرخائف ولا ناظر فيما يجيء به الغد
فان قام بالامر المخوف قائم منعنا وقلنا الدين دين محمد

استغلال الفرصة

وكان خالد بن الوليد قد عرف الموقف جيداً وان بني تميم قد راجع الاسلام منهم من راجع ولم يبق الا مالك فالموقف مساعد للتقدم نحو اليمامة فلما اراد التقدم تخلف الانصار وقالوا (ما هذا بعهد الخليفة الينا .ان الخليفة عهد الينا ان نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم . ان نقيم حتى يكتب الينا) (١)

فقال خالد : ان يك عهد الخليفة اليكم هـــذا فقد عهد الي ان

١ـ الطبري جـ ٤ ص ٢٤١ .

امضى (١) وانا الامير والي تنتهي الأخبار ولو انه لم يأتني منه كتاب ولا امر ثم رأيت فرصة فكنت ان اعلمته فاتتني لم اعلمه حتى انتهزها . وكذلك لو ابتلينا بامر ليس منه عهد الينا فية لم ندع ان نرى افضل ما بحضرتنا ثم نعمل به . وهـذا مالك بن نويره بحيالنا وانا قاصد اليه ومن معي من المهاجرين والتابعين ولست اكرهكم . ومضى خالد فندمت الانصار وتذامروا وقالوا (ان اصاب القوم خيراً انه لخير حرمتموه وان اصابتهـم مصيبة ليجتنبنكم الناس) ولذلك لحقوا به حتى قدم خالد البطاح فلم يجد به احداً لأن القوم تفرقوا قبل وصول المسلمين . وهذا الحادث يعطينا فكرة عن عزم خالد وتفكيره وصحة تقديره الموقف فالقائد عليه ان يستغل الفرصة ان سنحت له وعليه ان يقوم بما يجب عليه من العمل عندما يرى ان قائده الاعلى سيصدر اليه الأوامر لو علم كما هو يعلم فيتحمل المسؤولية فان نجـح فله الثناء والفخر وان فشل فالحساب وراءه فيتحمل خالد المسؤولية وهو يعرف ان ذنوب الجيش اخوف من العـــدو .

وعدم اجبار الانصار عمل صحيح اذ ان دخول المعركة مـع العدو بجند غير راغب في القتال لا يؤمن النصر كما رايناه يوافق قبيلة طي على عدم مقاتلة حلفائها فقال لعدى بن حاتم (ان جهاد الفريقين جهاد ولا تخالف رأى اصحابك امض الى احد الفريقين وامض بهم الى القوم الذين هم لقتالهم انشط (٢) .

---

(١) راجع وصية ابو بكر لخالد

(٢) الطبري جـ ٣ ص ٢٤١

قتل مالك بن نويرة

ولما قدم خالد البطاح بث السرايا ، وأمرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب ، وان امتنع ان يقتلوه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة ، وقد اختلفت السرية بهم ، فمنهم من قال انهم اذنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلف فيهم ، امر بهم خالد بن الوليد فحبسوا ، وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيىء وجعلت نزداد برداً ، فامر خالد منادياً فنادا ان ادفئوا اسراكم ، وكانت في لغة الكنانة (دافئوا الرجل اي اقتلوه) ففهم الحراس من نداء المنادى ان اقتلوهم فقتلوهم ، فكان الذي قتل مالك بن نويره ضرار بن الازور فلما سمع خالد ألداعية خرج وقد فرغوا منهم فقال (اذا اراد الله امراً اصابه) فقال له ابو قتادة وكان ممن شهدوا باسلام مالك . هذا عملك ! فزبره خالد (١)فذهب ابو قتاده الى المدينة واخبر ابا بكر بالذي كان ، فغضب عليه الخليفه ، وامره بالرجوع الى قائده ، وهـــذا خير اسلوب لادارة القطعات وقيادتها ، فلا يصح ان يترك الجندي ميدان القتال ليذهب بالشغب على قائده اذ ان بذلك يضحل الضبط عدى ان الرئيس هو خالد بن الوليد .

فلما سمع بالقضية عمر بن الخطاب قال لابى بكر (ان في سيف خالد لرهقاً) وصار يلح على ابي بكر بعزل خالد غير ان الخليفة الصديق قال لعمر (هيه يا عمر تأول خالد فاخطأ فارفع لسانك عن خالد) ولما كان الحاح عمر كثيراً قال (ما كنت لاشيم سيفاً

---

١ ـ الطبري جـ ٣ ص ٢٣٩ وكان مالك بن نويرة قد قال لقومه ان لا قبل لهم بالمسلمين ونصحهم ان يدخلوا فى الاسلام .

سله الله على الكافرين) غير ان ابا بكر كتب الى خالد واستقدمه .

فقدم خالد المدينة وعليه قباء عليه اثر الحديد وقد غرز فى عمامته اسهما . فلما دخل المسجد قام اليه عمر فانتزع الاسهم من راسه فحطمها . ثم قال ارئاء ؟ قتلت امراء مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لارجمنك باحجارك . ولا يكلمه خالد ولا يظن ان رأي أبي بكر الا على مثل رأى عمر فيه . فلما ان دخل على أبي بكر أخبره الخبر واعتذر اليه فعذره فلما خرج خالد قال لعمر (الي يا بن شمله)(١) فعرف ان الخليفة رضي عنه .

الروايات

ويقول من يعتذر لخالد في قتل مالك ان خالداً دعى مالك بن نويرة ليسأله ويتحقق اي الشهادتين حق شهادة المؤيدين لابي قتادة ام المناقضين له وفيما هما يتحاوران قال مالك لخالد (ما اخال صاحبكم الا قد كان يقول كذا وكذا) .

فقال خالد له (او ما تعده لك صاحباً)(٢) ثم قدمه فضرب عنقه مع اصحابه .

ومن يغمز ذلك على خالد يروى الرواية مع حضور امرأة مالك معه . فلما رآها خالد اعجب بها فقتل مالكاً ليتزوجها وقد يستندون الى ان خالداً تزوجها بعد مقتل زوجها .

وهكذا اختلف الرواة فمنهم من يبرىء خالداً ومنهم من يدينه . فدرس الناس هذه القضية وهم قسمان قسم مغرض في التاريخ العربي

---

(١) الطبري جـ ٣ ص ٢٤٣

(٢) راجع وصية الخليفة وكتابه الى خالد .

يروم تشويه سمعة رجال صدر الاسلام وقسم يدرسها ليرى درجة صحة تأول خالد .

الرأى

والثابت أن مالك بن نويرة ارتد ، واغار على ابل الصدقة ، ووزعها في قومه بالرغم من نصيحة الاقرع والقعقاع له ، ثم انه حالف سجاحي ، وبعد ان قدم خالد بن الوليد الى البطاح ، قدم رؤساء بني تميم الصدقات ، اما هو فلم يقدمها ، وعلى هذا فهو قد فرق بين الصلاة والزكاة ، فوجب قتله بموجب اوامر الخليفة . وما جزاء المرتد الا القتل (*) .

اما اذا كان مالك قد صرح لابي قتادة باسلامه ، فانه لم يصرح بذلك لخالد بن الوليد ، ولم يدفع الزكاة ، وخالد هو امير الجيش وهو صاحب القول الفصل في القضية ، وقد استند ابو قتادة وشغب على خالد بان مالكا اقام وصلى فاذا كان ذلك فلماذا اختلفت السرية بهم ؟ ثم لماذا لم يخرج الزكاة اذا كان يخلص للاسلام ، وان الخليفة قد امر بقتل من فرق بينها ، والمهم فى القضية في نظرنا ، هو ان مالك بن نويره وغيره ممن خرجوا على الطاعة ، وركبوا رؤوسهم للفتنة ، ارادوا هدم كيان الاسلام الذي بناه محمد رسول الله (صلعم) .

فهل يكون جزاؤهم غير القتل ؟ وان ميدان المعركة لا يتحمل اللف والدوران (٢) واوامر الخليفة صريحة وقد ارسلت الى الجميع وكل شبهة تجيز القتل في المعركة ، اذا لم تدرأ الشبهة بصراحة ،

(*) الخراج - القرشي .

(٢) وهذه الاحكام العرفية في عصرنا الحاضر تحكم لاقل شبهه .

ومالك بن نويرة لديه فرصة كافية ، ووقتاً كافياً لاعلان اسلامه صريحاً امام خالد ، ويدفع الزكاة ، غير انه لم يظهر ذلك مما يثبت ان في نفسه حاجة ، وغير مخلص في سريرته للاسلام ، ومن كانت حاله هذا ،فقد تواتيه فرصة ، يعرق بها على النظام ،وعلى ذلك يكون بقاؤه خطراً على الاسلام والمسلمين والعرب ، ويكون في قتله صلاحاً ، اما من يربط بين مقتل مالك بن نويرة وزواج خالد بامرأته ، فما هو في راينا الا مغرض في ذلك يروم تشويه الحقيقة ، ومن المستحيل ان يقتل خالد امرأ مسلماً ثبت له اسلامه .

ولكن ما اخذ علي خالد في هذه القضية هو زواجه من امرأة مالك بعد مقتل زوجها ، والحرب ما زالت دائرة بالرغم من انه تركها حتى تتم طهرها ، لان العرب كانت تعيب زواج النساء في مثل هذه الحالات، الا بعد الصلح ولكن بعد مقتل مالك بن نويرة التحق بنو تميم مع خالد ليقاتلوا بقيادته ضد بني حنيفة وهذا يدل على ان الصلح قد تم .

وان صح ان امرأة مالك كانت معه ،فهذا يدل على انها اصبحت سبية من السبايا ، ونحن لا نميل الى هذا الرأي ، لأن المقاتلين مع مالك لم يجلبوا عوائلهم الى ميدان المعركة ، ولم يذكر عن عوائل المقتولين مع مالك شيئاً وجاء في قصيدة متمم بن نويرة أخو مالك (المقتول) في رثاء مالك :

وأرملة تدعو بأشعث محتل كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا (١)

يدل على أن زوجة مالك كانت في بيت أخيه متمم وان خالداً لم

---

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ١٧٩

يتزوجها بعد مقتل زوجها مباشرة . انما كان ذلك بعـــد ان تم طهرها .

القتال مع مسيلمة الـكذاب

الحركات الاولى

كان الخليفة قد ارسل عكرمة بن ابي جهل وامره بقتال مسيلمة الـكذاب في اليمامة ثم ارسل اليه شر حبيل بن حسنة في لوائه ، ليتعاونا على قتال مسيلمة ، ولـكن عكرمة لم ينتظر وصول قوات شر حبيل اليه ليقاتل معه ، فبادر الى القتال ليكون له فخار النصر فنكب ، فأمره الخليفة ان يمضي ويساند حذيفة وعرفجة فى قتال اهل عمان ومهره ، ويستمر في استبراء الارض حتى يلتقوا بالمهاجر ابن امية باليمن وحضرموت ، وكتب الى شرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتي امره

خالد فى اليمامة

وما ان انتهى خالد من البطاح وعاد من المدينة حتى امره الخليفة بالتوجه الى اليمامة لقتال مسيلمة الـكذاب ، وامده بقوات اخرى من المدينة ، وكان على الانصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان ، وعلى المهاجرين ابو حذيفة وزيد ، وعلى القبائل على كل قبيلة رجل منها .

شرحبيل يبادر الى القتال

وبينما كان خالد بن الوليد في طريقه الى اليمامة على ان يلتحق به شرحبيل اذ عجل هذا وفعل فعل عكرمة وبادر خالداً بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه فنكب فحاجز فلما قدم عليه خالد لامه على عملـــه .

وباستعجال عكرمة وشرحبيل بقتال مسيلمة منفردين وانتصاره عليهما ، ارتفعت معنويات القبائل الموالية لمسيلمة ، كما جعل الجماعات المترددة ، ان تلحق ببني حنيفة فازدادت قوتهم وبلغت اربعين الف مقاتل ، لان القبائل تعتز بنصر موضعي ولو كان على قوات صغيرة ، كقوات عكرمة وشرحبيل ، ولذلك يجب عدم الاشتباك مع القبائل بقوات غير كافية ، وان ارسال ارتال صغيرة نحو مسيلمة على هذا الاساس كان خطة غير صحيحة ، غير ان السبب الذي اجبر الخليفة على ارسال الارتال الضعيفة هذه هو : ان القبائل اذا تركت ولم تهاجم في مناطقها ، ولم تشعر بالخطر الموجه نحوها ، فانها قد تنظم الى قبائل اخرى لمساعدتها ، ولذا ارسل الخليفة عدة ارتال باتجاهات مختلفة ، فأجبر القبائل على ان تبقى في محلاتها ، غير انه شكل رتلا قوياً هو رتل خالد بن الوليد ، فكان هو المعول عليه في القضاء نهائياً على القوات المعادية ، وقد رأينا كيف ان مسيلمة أضطر الى اعطاء نصف غلات اليمامة الى سجاح خوفاً من تأثير الارتال والقبائل الاخرى .

على ان قلة قوات المسلمين المتيسرة اجبرت الخليفة لارسال هذه الارتال بقوات غير كافية ، على ان لاتشتبك بمعركة فاشلة ، كما حدث لعكرمة ولشرحبيل ، وانما يكون واجبها المشاغلة فقط ، وان اضطرت للاشتباك ، فيجب ان يجتمع رتلان او اكثر كما اراد الخليفة ان يطبقه برتلي عكرمة وشرحبيل ، او انها تتخذ التدابير لعدم استفزاز القبائل واضطرارها للقتال ، حتى ان يقترب الرتل الرئيسي في القتال .

يقضي عاملا التحشد والاقتصاد فى القوى بتهيئة القوات الكافية ، واحضارها فى المكان والوقت الملائمين والا فتقدم ارتال ضعيفة لايجدى نفعاً .

وبما ان الخليفة قال في وصيته لخالد ولكن الخوف عندي من اهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم ، فانه بلغني انهم رجعوا باسرهم فان كفاك الله الضاحية ، فامض الى اليمامة .

فيكون الخليفة بخطته قد اراد اجبار بني حنيفة على عدم ارسال قوات لمساعدة القبائل الاخرى بارسال رتلي عكرمة وشرحبيل ، غير أن هذين القائدين لم يستوعبا الخطة جيداً ، كما يلوح لنا ، ولذلك بادرا خالداً بقتالهم .

منطقة الحركات

يسكن بنو حنيفة في منطقة اليمامة التي تؤلف مقاطعتي العارض والخرج الحاليين في نجد ، ومقاطعة الخرج اخصب مقاطعات نجد اذ تنصرف اليه المياه من الجبال والهضاب المحيطة به من الشمال والجنوب وتقع اليمامة على احدى شعب هذا الوادي اليمنى ، ونظراً لخصب هذه المنطقة ازدحمت السكنى فيها ، ولا يزال سكانها اكثر من سكان المقاطعات النجدية الاخرى ومشهورون بشجاعتهم . ويحد المنطقة من الشمال مقاطعة القصيم ، وفيها منازل تميم ، ومن الغرب الانفده الموازية لسلسلة طويق الغربية من الغرب ، ومن الشرق هضبة العرمة وتهامة نجد وهي منطقة وعرة لكثرة الروابي والوديان فيها مما سبب ان يلاقي المسلمون قتالا شديداً من الحنفيين وتمتد جبال طويق من الشمال الى الجنوب ، ثم تتجه الى الجنوب الغربي وفى المحل الذي يتغير فيه إتجاهها تنكسر الجبال ويبدأ وادى

حنيفة الذي يقسم سلسلة جبال طويق مع وادي العتش الى سلسلتين غربية وشرقية ويمر طريق الرياض — الحفر — الركمى من بين السلسلتين .

الطرق كانت الطرق المتيسرة لخالد بن الوليد للتقدم من البطاح الى الى اليمامة طريقين احدهما يمر من بين سلسلتي طويق الشرقية والغربية والثاني يمر بموازات الحافة الغربية لسلسلة طويق الغربية وقد عقبه خالد بن الوليد فى تقدمه من عنيزة نحو اليمامة ماراً بالشقرة ثم يتجه الى سدوس ومنها يتجه جنوباً الى اليمامة ماراً بعقرباء التي تمر بها جميع الطرق تقريباً ولذلك اصبحت لهذه المنطقة اهمية سوقية عظيمة وقد سلك خالد هذا الطريق لقربه الى المدينة وعدم وجود مايمنع وصول النجدات اليه منها عند الحاجة ولو تقدم على الطريق الاول لحالت سلسلة طويق الغربية بينه وبين المدينة ولكن في محل انعطاف سلسلة طويق يحدث تكسر ويكون صالح للدفاع غير ان خالداً مر بقواته منه بسهولة كما سنرى .

منطقة عقرباء تمر جميع الطرق من والى منطقة اليمامة في منطقة عقرباء ومعظمها يمر في عقرباء نفسها ولذا اصبحت هذه المنطقة المفتاح الواجب السيطرة عليه للتوغل في منطقة اليمامة وقدر مسيلمة هذه القيمة فتقدم نحو عقرباء بقواته للدفاع عن منطقة اليمامة كما ان منطقة عقرباء يحدها من الشمال منطقة بني تميم .

[1] وعقرباء تقع على وادي حنيفة فى منطقة انعطافه نحو الجنوب بجوار قرية جبيلة الحالية فى شمال الرياض تقريباً وجنوب (عمارية) الحالية .

ووادي حنيفة عند جبيلة . ارض منخفضة ، قريبة القرار ، واسعة الجوانب ، تكتنفها المهابط المطمئنة الجرداء ، ومسيل الوادي يضيق تدريجياً ، حتى ينتهي فى بطن مجرى نشزت على ضفافه الطنوف والشواخص (١)

والى شرق جبيلة يقع جبل صلبوخ ، وجبل الا بكين ، فتشكل قوساً حول جبيلة (عقرباء قديماً) وتفصل بين وادى سدوس الذى يجرى من الغرب نحو الشرق ، ثم الى الشمال ، وبين وادى حنيفة الذى يجرى من الغرب الى الشرق وينعطف نحو الجنوب . ويبلغ جبل الا بكين في رابيته الغربية ٣٢٠٠ قدم فوق سطح البحر ، واما رابيته الشرقية ، فتبلغ أقل من هذا الارتفاع ، وهذا يدل على أن الارض تنحدر من الغرب الى الشرق في هذه المنطقة ، وتتوفر المياه في الابار المنتشرة في هـــذه المنطقة الخالية من العوارض ، ولذا كانت منطقة صالحة للقتال وحركات الخيالة .

وتوجد اثار مسنيات على جانبي الوادي ، كانت تستخدم قديما لخزن المياه لأستخدامها في الرى ، وقاع الوادى ترتفـــع تدريجياً نحو الغرب ، ويتسع الوادى حتى يبلغ ثلاثه اميال ، ثم ياخذ الوادى بالصعود مرة أخرى الى حوض عظيم ، كان يستخدم خزاناً لمياه الامطار ، ويستفاد منها للزرع ، ويذكر فلبي (٢) انه كان يرى من الابكين واحة سدوس ، وبساتينها ، ووادى الخفس ، بصورة

---

١ - كتاب خالد بن الوليد .. طه الهاشمى

٢ - قلب الجزيرة - فلبي

واضحة ، كما رأى بطحاء طويق الفسيحة الارجاء ، ومرتفعات العرمة ، ووادى حريملة وهذا يعني ان مرتفع الابكين مسيطرة على جميع المناطق المحيطة به .

خصائص بنى حنيفة

يختلف بنو حنيفة في قابليتهم للقتال عن القبائل الأخرى التى قاتلها المسلمون ، اذ ان بني اسد ، وبني تميم معظمهم قبائل رحل لا تشتغل بالزراعة ، وان بني تميم يختلف رؤساء بطونها فيما بينهم مما يجعل مقاتلهم اسهل من مقاتلة بني حنيفة الذين يشتغلون بالزراعة ، ولديهم حدائق وبساتين عامرة ، وقد بنو بيوتهم من الحجر والطين وشادوا الحصون ، وهي التى بواسطتها تمكن مجاعة من خدع المسلمين في الصلح بعد المعركة . كما ان الملحمة النهائيه في استثمار الفوز كان في الحديقة التي التجأ اليها بنو حنيفة بعد اتخذالهم ، هذا بالاضافة الى ان منطقتهم هي اراضى وعرة ذات وديان كثيرة .

وكان بنو حنيفة شجعان ، ولا زال سكان هـــذه المنطقة مشهورون بالشجاعة . وكانوا في قتالهم مع المسلمين ملتفين حول زعيمهم ، ولا توجد اختلافات فيما بينهم .

ولهذا اوصى ابو بكر خالداً : ان يكون بمأمن لأنه لا يأمن علية الجولة ، وامده بقوات اخرى لصفاتهم هذه ، وكثرة عددهم تلك الكثرة التي جعلت مسيلمة قوياً فيهم .

تعاظم امر مسيلمة وقوته

جاءت وفود العرب في عام الوفود تعلن ولاءها لرسول الله محمد (صلعم) وترك وفد بني حنيفة مسيلمة على رحالهم ، فرأى هذا مكانة الرسول في العرب والمسلمين وقد يكون انه طمع ان يكون كذلك فتنبأ فى قومه ، ولهم من العدد ما يزيد على تعداد قريش

فاتبعه قسم منهم ، ولم يلبث ان كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من مسيلمة رسول الله

الى محمد رسول الله

اما بعد ، فاني اشتركت بالامر معك ، وان لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الارض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون .

فاجابه الرسول الأعظم .

من محمد رسول الله

الى مسيلمة الكذاب

السلام على من اتبع الهدى . اما بعد فان الأرض لله . يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١)

وكان رسول الله قد ارسل الرجال بن عنفوة الى بني حنيفة ليعلمهم دينهم كغيرة من المعلمين في القبائل الأخرى ، وليشغب على مسيلمة ، ويشدد امر المسلمين ، فما لبث هذا في حنيفة حتى صدق مسيلمة الكذاب ، فكان اعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة ، اذ انه قال أنه سمع محمداً صلى الله عليه وسلم يقول انه اشرك معه ، فما كان من الناس الا أن يصدقوا مسيلمة ، بعد ما سمعوا ذلك من ممثل الاسلام ومعتمد الرسول الاعظم ومنتدبه اليهم واوعدوه بان يعينوه . ثم ان مسيلمة الكذاب كان يذكر اسم الرسول محمد (صلعم) في الاذان فعظمت منزلته فيهم . فضرب حرما في اليمامة ، ولما اعترفت سجاح بنبوته ، زادت قيمته فيهم ،

---

(١) الطبري ج٣ ص٢٤٣

وزاد التفاف القبائل حوله ، هذا بالاضافة الى اثر العصبية القبلية في ذلك ، حتى ان طليحة النمرى قال له (اشهد انك كذاب ومحمد صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر (١)

ولما تمكن من التنكيل بلوائين من الوية المسلمين ، زادت معنويته ومعنوية القبائل المحيطة به ، فالتفت حوله ، ولا يستبعد ان التف حوله من القبائل التي نكبها المسلمون .

وهكذا عظمت شوكة مسيلمة الكذاب ، حتى ذكر المؤرخون ان قواته كانت اربعين الفا (٢) من المقاتلين الاشداء ، ويؤيد هذا خوف الخليفة ابو بكر الصديق منهم . كما ان مسلمة اضطر الى تحديد نسل الحنفيين ، وذلك لضيق منطقتهم بهم .

اما القتال المرير الذى لاقاه المسلمون (كما سنرى) منهم فيدل على هذه الكثرة .

قوة المسلمين

لم نجد في كتب التاريخ عدد قوة رتل خالد بن الوليد عندما تقدم نحو مسيلمة ، غير اننا نعلم ان قوة خالد كانت ٤٠٠٠ مقاتل عندما تحرك من ذى القصة ، وقد انظم اليه ١٥٠٠ مقاتل من قبيلة طي ، منهم الف راكب قبل التصادم مع طليحة الاسدى ، ثم انظم اليه قسم من بني اسد ، وقسم من بني تميم ، ثم انظم اليه رتل شرحبيل ، وامده الخليفة بقوات أخرى بقيادة (سليط) ونعتقد ان قوة خالد كانت لا تقل عن سبعة آلاف مقاتل في معركة عقرباء .

---

(١) الطبري جـ٣ ص ٢٤٧

(٢) راجع الطبرى البلاذري وغيرهما

ويذكر العميد طه الهاشمي (١) ان قوة الجيش بلغت اكثر من ستة آلاف مقاتل قبل حركته من البطاح .

معركة عقرباء

وعندما علم مسيلمة بتقدم خالد نحوه ، خرج وضرب معسكره بعقرباء ، وهي طرف اليمامة دون الاموال ،وريف اليمامة وراء ظهورهم واستنفر الناس فاجابوا دعوته لهم ، واجتمعوا عليه يمنعون ريفهم (٢)

وتلك خطة رشيدة من مسيلمة للدفاع عن اراضيه وحمايتها ، وأنه لم يستصحب النساء والاطفال وذلك ليكونوا بمأمن أخذهم سبايا .

خطة خالد

لم يكن خالد يجهل الموقف ، فقد كان على إتصال بالمدينة ومع المسلمين الذين ثبتوا على أسلامهم من بني حنيفة . كما يعلم وعورة المنطقة التي سيتقدم بها ، وقد تمكن من القضاء على خيل من اقامتهم سجاح على الخراج الذى اتفقت عليه مع مسيلمة ، وتمكن من استمالة بني تميم الى جانبه ، وعلى ذلك يكون خالد قد اعد خطتين للحصول على غايته وهي :

الاولى : خطة سياسيه ، وتتلخص باستمالة بنى تميم ، وتفريق رؤساء قوات سجاح عن مسيلمة ، واستخدام المسلمين في بني حنيفة للشغب على مسيلمة .

الثانية : خطة عسكرية ، وهي الزحف على اليمامة ، والهجوم على قوات مسيلمة ، وتدميرها اينما كانت (وان لا ينتهي حتى يناطح

---

(١) خالد بن الوليد - طه الهاشمي .

(٢) الطبري جـ٣ ص ٢٤٦

مسيلمة)، واتخاذ التدابير لحماية خط مواصلاته بالردىء الذى ارسله الخليفة بقيادة سليط ، لئلا يؤتي من خلفه .

تقدم المسلمين

تقدم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ، وجعل المهاجرين بقيادة ابي حذيفة وزيد بن الخطاب ورايتهم مع سالم مولى ابي حذيفة ، وجعل الانصار فرقة بقيادة ثابت بن قيس وبسر بن مالك ، ورايتهم مع ثابت بن قيس . اما القبائل فكانت بقيادة رؤسائها .

وكان على المقدمة عدى بن حاتم الطائي وعين معه دليلا فرات بن حيان ليدله على الطريق وكان لا بد من الدليل في البادية ولا تزال البوادى يصعب قطعها بدون دليل حاذق كما انه ارسل امامه من يأتيه بالأخبار .

وسار خالد بجيشه حتى اذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة هجم مفرزة جبيلة ، فاذا هو مجاعة (٢) واصحابه قد غلبهم الكرى ، فجيء بهم الى خالد ، فسألهم يا بنى حنيفة ما تقولون ؟ قالوا نقول منا نبي ومنكم نبي فعرضهم على السيف واستبقى مجاعة .

وقد تكون هذه مفرزة استطلاع ارسلها مسيلمة ، فباغتها المسلمون ، ويذكر الطبرى ان مجاعة كان يطلب ثاراً في بني عامر وبنى تميم ، وقد يكون خالد قد استنطق مجاعة وعرف منه الموقف وكل ما يهمه عن قوات مسيلمة .

معسكر خالد

ثم تقدم خالد فى صباح اليوم التالي لمباغتة مفرزة مجاعة ، ووصل الى منطقة عقرباء ، فنزل على كثيب مشرف على اليمامة (٣) وبذلك يكون قد عسكر على مرتفع الابكين ، المشرف على المنطقة كلها ،

---

(١) الطبري جـ٣ ص ٤٧

وجنوبه ساحة واسعة ، تتخللها الهضاب المتوجة ، وبما ان المعركة جرت في عقرباء ، وهي قريبة الى معسكر خالد ، فتكون المسافة من عقرباء الى ثنية اليمامة مرحلة يوم واحد ، وثنية اليمامة هي عقبة الحيسية حالياً .

المعركة: ربيع أول سنة ١٢هـ سنة ٦٣٣م

عبأ مسيلمة قواته للقتال على نمط الاسلوب المتبع في ذلك الوقت، وهو الميمنة ، والميسرة ، والقلب ، ووضع على قيادة الميمنة محكم بن الطفيل احد رؤساء اليمامة ، وكان شرحبيل ابنه في القلب ، والرجال على الميسرة ، والطليعة بقيادة الرجال .

اما خالد فقد عبأ قواته بنفس الاسلوب وعلى الميمنة ابو حذيفة وعلى الميسرة شجاع ، ويقود القلب زيد بن الخطاب ، وعلى الخيل اسامة بن زيد ، فاذا كان خالد قد ابقى قوات كل قائد معه ، فيكون المهاجرون في الميمنة ، والقبائل في الميسرة ، وفي المعركة انسحبت الميسرة اولا ، والقى المهاجرون والانصار اللوم على القبائل ، وهذا يؤيد ان المهاجرين كانوا في الميمنة ، ومعهم الانصار ، وقد اقتتل الناس في معركة عقرباء ، ولم تلقهم حرب قط مثلها ، وازاح الحنفيون المسلمين عن مواضعهم ثم تذامر المسلمون وثبتوا للقتال ، فردوا الحنفيين ، ثم هزموهم وانتصروا عليهم ، وعلى هذا تكون صفحات المعركة ثلاثة صفحات وهي :

الصفحة الأولى - انتصار الحنفيين على المسلمين

الصفحة الثانية - ثبات المسلمين وكرهم على الحنفيين

الصفحة الثالثة - المطاردة من قبل المسلمين وانتصارهم على الحنفيين .

سير القتال

اقبل قادة كل فريق على تشجيع الجند على القتال ، وشحـذ عزائمهم ، وكان المسلمون يسألون عن الرجال ، ويأملون ان يعلن اسلامه ، ويثلم على بني حنيفة امرهم ، غير انه لم يحدث من ذلك شيء ، ويظهر ذلك من قول خالد للمسلمين عندما رآى البارقة فى بني حنيفة ، ان قد كفاهم الله شر عدوهم وظن حصول اختلاف فيما بينهم .

اما الحنفيون فقد قام فيهم شرحبيل بن مسيلمة فقال لهم : يابني حنيفة اليوم يوم الغيرة . اليوم ان هزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير حظيات . فقاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم . ثم ان القوم تقدموا من بعضهم ، وكان يوم جنوب له غبار ، فكان الرجال بحيال زيد بن الخطاب ، فلما دنا صفاهما ، قال زيد (يارجال فو الله لقد تركت الدين وان الذى ادعوك اليه لا شرف لك واكثر لدنياك) فأبي الرجال واجتلدا فقتل الرجال واهل البصائر من بني حنيفة في امر مسيلمة . فتذامروا وحمل كل قوم في ناحيتهم فجال المسلمون حتى وصلوا عسكرهم ثم اعروه [١] .

وهذا يشير على ان المعركة بدأت بمناوشات فردية ، فلما رآى الحنفييون ان المسلمين قتلوا اهل البصائر منهم تذامروا فيما بينهم وحملوا على المسلمين ، فشدت ميمنة الحنفيين على ميسرة المسلمين ، فانسحبت الأخيرة وبتراجعها انكشف جناح القلب الايسر للمسلمين فأثرت على موقف قطعات القلب ، فتراجع القلب الى الخلف وقد

---

(١) راجع الطبري جـ٣ ص ٢٤٨ ويظهر ان مجاعة لم يكن مخلصاً للمسلمين فاراد قومه ان لا ينشغلوا بالمعسكر دون القضاء على الرجال .

استمر تراجع المسلمين ، ودخل بنو حنيفة فسطاط خالد وعلى هذا يكون الانسحاب قد جرى مرتكزاً على الميمنة التي كان انسحابها اقل من الميسرة والقلب قد وجد بنو حنيفة مجاعة مكبلا في فسطاط خالد وفيه (ام تميم) زوجة خالد فحمل عليها رجل بالسيف فاجارها مجاعةقائلا (انا لها جار فنعمت الحرة عليكم بالرجال) وبذلك اصبح الحنفيون اقرب الى النصر ، وان النصر كان بايديهم ، وما عليهم الا ان يدعوا زخم الهجوم ، ويشتتوا المسلمين . غير ان الصحابة الكرام الذين لا زالت قبورهم فى نفس المنطقة ، برزوا فى هذا الموقف وعلى رأسهم خالد بن الوليد ، فتمكنوا من ايقاف زحف الحنفيين .

ولا يضاح موقف المسلمين نذكر اقوال الصحابة الكرام الذين اخذو يشجعون الناس فقال ثابت بن قيس (بئس ما عودتم انفسكم يا معشر المسلمين . اللهم اني ابرأ اليك مما يعبد هؤلاء . (يقصد الحنفيين) وما يصنع هؤلاء (يقصد المسلمين) وقال زيد بن الخطاب بعد ان انكشف المسلمون عن رحالهم(لا تجوز بعد الرحال) وتذامر زيد وخالد وابو حذيفة فقال زيد (لا والله لا اتكلم اليوم حتى نهزمهم او القي الله واكلمه بحجتي عضواً على اضراسكم ايها الناس واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً) .

وقال أبو حذيفة (يأأهل القرآن زينو القرآن بالفعال)

وحمل خالد بن الوليد وقال لحاميته (لاأوتين من خلفي) .

وهذه الاقوال التي تكلم بها الصحابة وقادة المسلمين لتشجيع

الناس على القتال تدل على دقة موقف المسلمين وشدة الحنفيين عليهم .

وهكذا تمكن المسلمون من ايقاف زحف الحنفيين الذين انشغل قسم منهم بعسكر المسلمين . وهذا حال الجند اذا لم يثقف جيداً فانه يأخذه الطمع ويترك غايته الرئيسية وهي القضاء على عدوه نهائياً .

وقد لام المسلمون بعضهم بعضاً فجبنت الانصار والمهاجرون اهل البادية ، وجبنتهم اهل البوادى ، فاراد خالد بن الوليد احياء ميت الرجاء في نفوس الضعاف من جيشه فقال :

ايها الناس امتازوا ولنعلم بلاء كل حي ولنعلم من اين نؤتي (١)

وهكذا صارت القبائل يقاتل كل بنواب على رايتهم فقال اهل البوادي :

الآن يستحر القتل في الاجدع الاضعف ، ولذلك فهم يستحيوا من الفرار من المعركة ، وعار على كل قبيلة أن ينسحب رجالها من القتال ، وهذه من ظواهر العصبية القبلية التي اراد الاسلام توجيهها نحو العصبية الاسلامية .

ويتبع الجيش البريطاني في العصر الحديث ، تاليف الكتائب في تشكيلاته الحديثة ، وكل كتيبة يكون رجالها من منطقة خاصة .

---

(١) راجع الطبري ج ٣ ص ٢٤٨ —

وبعد ان برز خالد والصحابة في القتال ، وتذامرت القبائل والمقاتلون من المهاجرين والانصار اعادوا الحنفيين الى ابعد من الغاية التي حيزوا اليها من عسكرهم ولكن الحنفيين لا زالوا على شدتهم في القتال فلما رأى خالد بن الوليد ذلك برز حتى اذا كان امام الصف دعا الى البراز وانتما وقال • انا ابن الوليد العود انا بن عامر وزيد ونادى (يا محمداه) وكان شعارهم يومئذ فكان يقاتل وهو يرتجز .

انا بن أشياخ وسيفي السخت اعظم شيىء حين يأتيك النفت

وطلب مبارزة مسيلمة ، اذ بقتله يتمكن من انهاء المعركة ،حتى اذا دنا منه انسحب مسيلمة من المعركة الى الخلف ، فكانت فرصة للمسلمين ، فاندفعوا الى الامام فشجعهم خالد بن الوليد على مطاردة الحنفيين ، وبلغت شدة المسلمين عليهم ان اضطر المحكم بن الطفيل الى تشجيع اهل اليمامة قائلا :

يا معشر بني حنيفة. الأن والله ، تستحقب الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات ، فما عندكم من حسب فاخرجوه .

ولكن شدة المسلمين كانت بدرجة انه لم يفد امامها تذامر الحنفيين، فصاح فيهم المحكم)يا بني حنيفة الحديقة الحديقة فاني سامنع ادباركم) فانسحبوا فقاتل دونهم ساعة وبذلك امن انسحابهم الى الحديقة ،

ويلوح لنا انه كان يروم التجاءهم الى حصن يتحصنون به ليعيدوا كرتهم على المسلمين فى الحديقة غير ان سهماً ارسله عبدالرحمن بن ابي بكر لم يمهله فترة ليرى تحول حديقة رحمانهم الى

حديقه الموت وموت نبيهم الكذاب بحربة الحبشي وضربة سيف من سيوف الانصار .

مطاردة المسلمين

وبعد مقتل المحكم انسحب من كان يقاتل معه الى داخل الحديقة فتقدم المسلمون واحاطوها وقد كان سور الحديقة مرتفعاً فصاح البراء بن مالك ، يامعشر المسلمين احملوني على الجدار حتى تطرحونى عليه (١) وقاتل البراء على الباب حتى فتحه للمسلمين .

ويظهر ان البراء كان يترأس الجماعة التي دخلت الحديقة لفتح ابوابها ، وقد كان القتال داخل الحديقة شديدا ، فلم يروا مثله وأبيد من في الحديقة من الحنفيين ، وهذه كانت هي الملحمة الفاصلة في قتال اليمامة «٢». ومما عجل في انهائها مقتل نبيهم الكذاب الذي قال لهم قاتلوا عن احسابكم .

جهود المسلمات فى المعركة

وقد قاتلت (نسيبه) يوم اليمامة ، وانصرفت وبها عدة جراحات وهي ام حبيب وعبد الله ابنى زيد ، وكانت قد قاتلت ايضاً يوم احد وهي احدى المرأتين المبايعتين يوم العقبة .

ومما يدل على شدة المعركة ، والجهود المبذولة فيها ، ان كثيراً من المسلمين كانوا مصابين بعدة جراحات .

جاء المسلمون بمجاعة ، وهو مكبل بالحديد ليدلهم على مسيلمة فلما مر خالد بمحكم بن الطفيل قال خالد هذا صاحبكم ؟

فقال مجاعة لا . هذا والله خير منه واكرم ، فدخل الحديقة

«١» ذكرت المصادر ان البراء وحده دخل الحديقة وفتح الباب غير ماوردناه من دخول جماعة وعلى رأسهم البراء هو الاصح .

«٢» لم يكن ذلك ابادتهم بقتلهم جميعاً انما قتل خلق كثير منهم وانهزم الباقون .

فدله على مسيلمة ، فاذا هو اصيفر اخينس .

فقال خالد هذا الذي فعل بكم ما فعل ؟ فقال مجاعة قد كان ذلك ياخالد .

وهذا التفتيش يدل على ان المعركة جرت قرب الحديقة ، ولذلك تمكن المحكم من حماية انساب الحنفيين

تطهير المنطقة: بعد ما فرغ خالد من مسيلمة والجند ، قال له عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر ارتحل بنا فانزل على الحصون ، فقال لهما خالد . (دعاني ابث الخيول فالقط من ليس في الحصون ثم ارى رأيي) فبث الخيول ، فوجدوا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان ثم رجعوا الى المعسكر ، ونادى خالد بالرحيل ، لينزل على الحصون ، وكان رأى خالد في تطهير المنطقة مصيبا ، اذ لا بد من التقاط المنفردين والمنعزلين في المنطقة ، قبل ان يثوب اليهم رشدهم . ويتجمعوا بعد رحيل خالد الى الحصون ، او أن يدخلوها قبل ان يصلها المسلمون ، وخاصة ان محاصرة الحصون قد تتطلب وقتاً طويلا لفتحها ، فيما اذا صمم اهلها على الدفاع ، وعند ذلك يكونون خطراً على المسلمين ويسببون مشاكل لهم .

الخسائر: بلغت خسائر المسلمين عدداً كبيراً من الشهدا ، الابرار الذين كسبوا المعركة بدمائهم الزكية ، ليبنوا مجداً لامهتم ودينهم ، فقد بلغ عدد قتلى المهاجرين والانصار (٣٦٠) شهيداً ومن المهاجرين من غير اهل المدينة (٣٠٠) شهيداً ومن التابعين لهم باحسان (٣٠٠) شهيداً ، وقد اختلفت الروايات في عدد شهداء المسلمين ، فالمقل يذكر انهم سبعمائة شهيد ، اما كتاب ابي بكر الصديق الى

خالد فى معاتبته بعد زواجه من ابنة مجاعة ، فيذكر انهم كانوا الفاً ومائتي شهيد ، وعدد القتلى هذا يدل على الانهاك الذي اصاب المسلمين فى المعركة التي استمرت من الصباح الى العصر الامر الذي ساعد مجاعة على عقد الصلح مع خالد .

اما خسائر بنى حنيفة ، فقد كانت كبيرة ، حتى ذكر بعض المؤرخين انها كانت (٢١٠٠٠) قتيل منهم سبعة آلاف في ساحة المعركة ، وسبعة آلاف في الحديقة ، ومثلها في الطلب ، ومهما يمكن من اختلاف الروايات ، فان كثرة القتلى من بنى حنيفة سبب عدم ظهور اسمها في الفتوحات الاسلامية فيما بعد .

وقول ضرار بن الازور يشير الى كثرة هذه القتلى حيث قال :

ولو سئلت عنا جنوب لاخبرت   عشية سالت عقرباء وملهم
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت   حجارته فيها من القوم بالدم
عشية لاتغنى الرماح مكانها   ولاالنبل الا المشرفي المصمم

ويقول العميد طه الهاشمي لعل عدد قتلاهم بلغ اكثر من ثلاثة آلاف مقاتل .

وبما ان حنيفة قد اندثر اسمها في الفتوحات ، وكان تعدادها كبير كما ذكرناه ، فنعتقد ان عدد قتلاهم كان اكثر مما ذكر .

ويشير قول ضرار بن الازور ان السيف هو السلاح الرئيسي في المعركة ، وهذا يدل على شدتها .

وبما ان المعركة انتهت عصراً فلا بد ان قضى المسلمون ليلتهم في منطقة الحديقة ، قبل أن يسير خالد الى الحصون ، وقد يكونوا قد أمنوا دفن الشهداء الذين ما زالت قبورهم وعلى الضفة الشرقية من

الصلح وخدعة مجاعة

وادى حنيفة مقابل قرية جبيلة الحالية .

ولما اراد خالد التقدم ، طلب اليه مجاعة ان يصالحه عن قومه، فصالحه خالد على الصفراء والبيضاء والحلقة ، ونصف السبي ، وطلب الى خالد ان يأذن له ليعرض ماصالحه عليه على قومه ، فذهب مجاعة الى بنى حنيفة وهو يضمر الخير لهم فقال للنساء البسن الحديد ثم اشرفن على الحصون ففعلن ، ثم رجع الى خالد وقد رأى خالدالرجال فيما يرى على الحصون عليهم الحديد فلما انتهى الى خالد قال : أبوا مصالحتك ولكن ان شئت صنعت شيئاً فعزمت على القوم . فقال خالد ما هو ؟

قال تأخذ مني ربع السبى وتدع ربعاً .

قال خالد قد فعلت .

وفي رواية انه صالحه على الصفراء والبيضاء والحلقه والكراع وعلى نصف السبي وحائط من كل قرية يختاره خالد ، فتقاضوا على ذلك ثم سرحه ، وقال (انتم بالخيار ثلاثا . والله لئن لم تتموا وتقبلوا . لانهدن اليكم . ثم لا اقبل منكم خصلة أبداً الا القتل) . فجرى الصلح .

ويؤيد البلاذرى الرواية الاولى ، وهي الصلح على ربع السبي، ونصف الصفراء والبيضاء ، والحلقة ، والكراع . فاستقر الصلح ورضي خالد وامضاه ، وفي رواية على أن يسلموا ولكن هذا الشرط (الدخول في الاسلام) اجباري في هذه المعارك فلا يقبل من عربي غير الاسلام دينا بأية حال حسب اوامر الخليفة .

فلما فرغ خالد ومجاعه ، فتحت الحصون ، واذا ليس فيها غير

النساء وهذا يؤيد رأينا ان عدد القتلى كان كثيراً .

فقال خالد لمجاعه : ويحك خدعتني .

فقال مجاعة : قومي ولم استطع الا ما صنعت .

موقف سلمة بن عمير

اما بني حنيفة فان قسما منه لم يقبل الشروط واراد القتال ومنهم سلمة بن عمير حيث قال لمجاعة (لا والله لا نقبل نبعث الى اهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضي خالداً فان الحصون حصينة والطعام كثير والشتاء قد حضر) .

فقال مجاعة انك امرؤ مشؤم وغرك انى خدعت القوم حتى اجابوا الى الصلح وهل بقى منكم احد فيه خير او به دفع وانما انا بادرتكم قبل ان يصيبكم ماقال شرحبيل بن مسيلمة قبل ان تستردف النساء غير رضيات وينكحن غير حضيات فاطاعوه وعصوا سلمة الذي اراد الغدر بخالد فلم يقدر عليه فانتحر .

كتاب الخليفة

بعد ان فرغ خالد من عقد الصلح ورد كتاب الخليفة اليه يأمره فيه ان ظفره الله عزوجل ان يقتل من جرت عليه المواشي من بني حنيفة . وهذا الطلب من الخليفة يدل على شدته على الخارجين على الطاعة الذين ارادوا هدم كيان الاسلام الا ان الله كتب عليهم ان يغلبوا على يد سيف الله . وبعد ورود الكتاب طلب جماعة من المهاجرين والانصار من خالد ان ينفذه في بنى حنيفة ولكن خالداً لم يلتفت لذلك وانفذ الصلح فاثبت انه رجلا سياسياً حازم بقدر ماانه قائدا محنكا فارسل وفداً من بنى حنيفة الى ابى بكر وبالسبايا الذين بقوا في المدينة المنورة حتى اطلق — سراحهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لما ان تولى الخلافة بعد ابى بكر

الصديق لئلا يكون السبي سبة في العرب .

اسباب عقد الصلح

ولم يكن طلب مجاعة لعقد الصلح ، هو وحدة السبب في عقد الصلح مع بني حنيفة ، وانما كان الموقف الذي اصبحت فيه القوات المسلمة بعد انتهاء المعركة هو السبب الرئيسي في ذلك لأن القتلى من المسلمين والجرحى كانوا عدداً كبيراً ، حتى ان من القتلى كان وقد انصرف كثير من حفظة القرآن ، ولم يصادف المسلمون معركة مثلها، كثير من المسلمين وبهم عدة جراحات ، ولذا اصبح المسلمون باشدالحاجة الى الراحة ، لاستعادة نشاطهم ، فالجريح لايقدر على القتال لان بعضه ليس منه .

وقد بينا كيف ان الانصار اعترضوا على خالد طالباً للراحة ، فالجيش كان ينتقل من منطقة لاخرى ، ومن معركة الى ثانية في اراضي مقفرة شديدة الجفاف ، والراحة ضرورية لهم ، فلا بد ان يكون خالد بن الوليد قد لاحظ ذلك عند عقد الصلح .

كما ان كتاب الخليفة الذى كان تأكيدا لوصيته لخالد ورد بعد انفاذ الصلح ، فليس من المعقول النكول عنه ، وخالد في موقف هو اعلم من غيره به عدا ان المؤمنين اذا عاهدا وفوا ، ولا سيما ان بنى حنيفة اعلنوا اسلامهم ، وارسل خالد منهم وفداً الى الخليفة ، وبايعوا الخليفةودفعوا الصدقات ، وهناك سبب آخروهو ان شتاءالجزيرةشديد البرودة منهك للقطعاتوان من جملةالاسباب التى استند عليها سلمة بن عمير في معارضته للصلح هو حلول موسم الشتاء وطعامهم كثير وحصونهم منيعة ، فاذا تأخر الصلح وجب الاشتباك في معركة اخرى ، قد يطول امدها ، وكان لخدعة مجاعة

في الاسراع بعقد الصلح اثر فعال .

معركة عقرباء حاسمة في الاسلام

وبعد انتهاء معركة عقرباء ، لم يبق من المرتدين والخارجين على الطاعة من هو بقوة بني حنيفة سواء بعددهم وصبرهم وجلادتهم أم باتحادهم وتكاتفهم . وبعد انخذال مسيلمة تمكنت الالوية الاخرى التي عينها ابو بكر لمقاتلة المرتدين في البحرين من التقدم اليهم ، والقضاء على مقاومتهم ، وبذلك تمكن الموالون للاسلام من العمل على تطهير مناطقهم ، امثال المثنى بن حارثة الشيباني الذي سار يستبرىء الارض حتى العراق .

وبهذا تمكنت الالوية من ازالة الاديان الاخرى من الجزيرة فكانت معركة عقرباء حاسمة في تاريخ العرب والاسلام ، فهيأ لها المسلمون خيرة رجالهم بقيادة خيرة قادتهم (خالد بن الوليد) كما ان الحنفيين قدروا قيمة هذه النتيجة ، وحشدوا كل ما يمكنهم للقتال ، فصدق المهاجرون والانصار والتابعين لهم باحسان في اللقاء ، فثبتت اقدامهم وزلزل عدوهم .

عوامل الانتصار في حروب الردة

القيادة الحكيمة

١ ـ القيادة الحكيمة التي كانت توجه المسلمين للقتال في المدينة المنورة وقيادة خالد بن الوليد في ادارة المعارك قد مهدت كثيراً من المصاعب التي تجابه المسلمين ووحدت جهود المقاتلين فلم يكن الخليفة او خالد بن الوليد يجبرا احداً على القتال وانما كانا يكتفيان ببيان الموقف لجندهم المثقف بالثقافة الاسلامية

فيندفع هؤلاء للعمل برغبة شديدة وكلهم يطلب احدى الحسنيين أما الشهادة وأما مجد الانتصار .

وقد كان القائد في الميدان يرى المسؤولية مترتبة عليه لذا لم يصغ الى اشارة أحد (١) . وساعد خالداً على ذلك الحرية الكافية التي اعطاها الخليفة في المدينة لقائد القوات ليصرف الامور كما يميله عليه الموقف الذي يعرفه هو اكثر من غيره ، وفهمه مقاصد الخلافة من هذا القتال ، فوجه اموره بالنسبة لمقصد الخليفة ، وحسب المواقف التي يجابهها .

ومن ابرز ظواهر خطة القيادة العامة الحكيمة ، هو خطتها في ارسال القوات الى المرتدين والخارجين على الطاعة ، فقد اشغلت القيادة جميع القبائل المرتدة بوقت واحد ، فقد قسمت الجزيرة العربية الى قواطع عدة ، واناطت بكل لواء اخضاع منطقة من المناطق ، وبهذا انشغلت القبائل المرتدة بنفسها ، فلم تعد قادرة على مساعدة بعضها البعض ، ومما يجدر ذكره ان اقوى الارتال كان رتل خالد بن الوليد الذي ارسل لمقاتلة اقوى القبائل واخطرها فى الجزيرة (راجع المخطط الرقم ٢)

وما تشمله قيادة خالد بن الوليد هو استهدافه النقاط الحيوية في القتال فقد كان يستهدف المياه والقرى الامر الذي يجبر القبائل على الحرب والاستماتة فيها او التفرق باتجاهات مختلفة .

وقد كان خالد ، يواسي جنده بنفسه ، فيندفع معهم في القتال بالرغم من وصية الخليفة له : بأن يكون بمأمن من الجولة .

---

(١) راجع خطبة خالد على الانصار عندما رفضوا التقدم معه الى مالك بن نويرة .

التضحية

٢ - وقد بلغت التضحية اعلى المراتب لدى المسلمين ، ويتجلى ذلك في إستشهاد القادة خاصة في معركة عقرباء ، فقد استشهد زيد بن الخطاب ، وهو قائد القلب ، وشجاع بن أبي وهب ، وهو قائد الميسرة ، وقيس بن ثابت قائد الانصار ، وأبو حذيفة قائد الميمنة والجندي اذا ما رأى تقدم القادة في القتال ، وتضحيتهم ومساواتهم له بانفسهم ، فانه يتقدم للمعركة بنفس مطمئنة ، وجنان ثابت ، وقد كان حسن الثواب الذى يأمله المسلمون في قتالهم والاستشهاد في سبيل الله عاملا مهما فى هذه التضحية ، فهم يقاتلون لاحدى الحسنيين ولذلك فهم لا يقاتلون بالكثرة .

ولذلك قال زيد بن الخطاب عندما انسحب المسلمون في معركة عقرباء (لا والله لا اتكلم اليوم حتى نهزمهم ، او القى الله ، فاكلمه بحجتي)فنال الشهادة فى سبيل دينه وامته وأمن النصر لها. وعاتب عمر بن الخطاب ابنه ،فقال الا هلكت قبل زيد ؟هلك زيد وانت حي ؟ فيجيب عبدالله بن عمر اباه : قائلا قد حرصت على ذلك ان يكون ، ولكن نفسي قد تأخرت فاكرمه الله بالشهادة وهذا منتهى ما تصل اليه التضحية في النفس البشرية للذود عن العقيدة والمبدأ .

ويقول العميد طه الهاشمي (والتضحية كلمة مرادفة للبطولة وهي من اخطر العوامل في حضارة الامم ان لم تكن اخطرها ولا اغالي اذا قلت ان تاريخ الحضارة مكتوب بمداد : هو دماء الابطال المراقة ومساعيهم المبذولة من اجل بنيان صرح التمدن الباذخ في جميع اركانه الادبية والعلمية والسياسية (١) .

---

(١) خالد بن الوليد - طه الهاشمي

ولولا تضحية العرب في صدر الاسلام وهم بالنسبة الى الناس كالشعرة البيضاء في جلد الفرس الأدهم لبقوا في حاشيتهم التي رق الله عليهم فبقوا فيها لحفظتهم من الاعاجم الذين لولاها لطمست الاعاجم آثارهم ولما تمكنوا من فتح العالم واستلام عرش كسرى ولما شادوا مدنيتهم التي استمرت عدة قرون وهم وحدهم يحملون مشعل الحضارة .

وعامل التضحية هو الذي سيمكن العرب من استعادة فلسطين كما تمكن صلاح الدين من استعادتها من الصليبيين .

فعلى العرب ان يربوا هذا العامل فى النفوس منذ طفولتهـــا مستهدفين ان يكون الجهاد لاحدى الحسنيين ظهور او شهادة ، ونشر التربية الاسلامية الصحيحة .

جمع السياسة والقيادة

٣ ـ يجب ان تكون خطة الاداريين والسياسيين مطابقة للاسس التي يستهدفها القائد العسكري في خطته ويعمل الطرفان متعاونين للحصول على الغاية المنشودة وهذا ما اتبعته القيادة العامة في المدينة واتبعه خالد بن الوليد في ابتداء معارك التوحيد (حروب الردة) فى داخل الجزيرة ضد قبيلة طي فكان عدى بن حاتم يقوم بواجب وخالد يقوم بواجب غير ان الكلمة العليا كانت لخالد بن الوليد في جميع الاعمال ومن ثم تقدم خالد وكان هو المفاوض مع القبائل وهو صاحب الرأى في كل القضايا ففي معركة اليمامة (عقرباء) كان خالد بن الوليد هو صاحب الرأى الفاصل وكانت خطته تفريق تميم عن بنى حنيفة واستمالتهم الى جانبه فجعل بني حنيفة وحدهم في القتال .

٤ - ولم يكن خالد بن الوليد ليغفل عن المحافظة على تأمين قواته، امسى الحرب
واتخاذ تدابير الحماية لهـا ، باخراج مفارز الاستطلاع، وارسال الخيالة الى الامام لاستحصال المعلومات عن عدوه، ومنعه من مهاجمة القوات، وهي غير متهيئة، ويظهر ذلك من عدم مهاجمة القبائل لقواد المسلمين، مع ان العرب تهاجم عدوها ليلا، وتأخذه على حين غرة بياتاً .

وفي معاركه التي ذكرناها، كان خالد هو المهاجم في جميع الحالات، وخالد يعرف ان النصر لا ينال الا بالهجوم الذي يكون خالد في جميع الحالات قد اتخذ التدابير لاخذ المبادءة من عدوه، وحشد القوات اللازمة لتحطيمه نهائيـاً، فلا يشغل قواته بامور ثانوية، ولهذا لم يوافق رأي الصحابة بالرحيل والنزول على حصون بني حنيفة بعد معركة عقرباء، وانما أرسل السرايا للقضاء على آخر مقاومة لهم خارج الحصون، وبهـذا يكون خالد قد سعى الى الاستمرار في مقاتلة عدوه للقضاء عليه نهائياً بمطاردة فلوله، حتى تلقى سلاحها .

٥ - وقد ساعد على هذه الانتصارات قابلية خالد في ادارة القطعات قابلية خالد
وحسن تدبيره في معالجة المواقف، ومعرفة نقطة الضعف التي يضرب بها عدوه، ونقطة الضعف التي يجب معالجتها في قواته .

حروب الامراء في الجزيرة

استمرت الحروب الداخلية في الجزيرة العربية مدة اخرى بعد انتهاء معركة عقرباء، فقد استمرت الالوية التي عقدها ابو بكر

في تقدمها، تستبرىء الارض في اليمن، وحضرموت، وعمان، ومهرة، وكندة والبحرين، اما قوات خالد بن الوليد فانها نزلت وادي الوبر في اليمامة، لتستريح من عناء المعارك منتظرة اوامر الخليفة الجديدة، وفي هذه الفترة كانت الالوية الأخرى بقيادة امرائها، وقد قام قسم من زعماء جزيرة العرب في مساعدتها، ومنهم المثنى بن حارثة الشيباني الذي سار بقبيلته، وكان موالياً للمسلمين من البحرين يعاون العلاء الحضرمي في مقاتلة المرتدين، غير ان المثنى تقدم من البحرين شمالا، فلم يقف حتى وصل مصب النهرين فاتصل مع القبائل هناك، واخذ يغير على سواد العراق، وهو تحت نفوذ الفرس فكان يحرز النصر في بعض غاراته، او ينسحب الى البادية، ليعيد غارته كرة ثانية، فوصلت أخباره الى المدينة المنورة، فسأل عنه ابو بكر الصديق، فقال قيس بن عاصم المنقرى هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني.

وكانت القوات العربية المسلمة في هذه الاثناء، قد قاربت من انهاء اعمالها، فيجب توجيههم الى واجبهم في نشر الدعوى في الناس خارج الجزيرة العربية، والخليفة في اعتقاده انه لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله، الا ضربهم الله بالذل.

ولما رأى المثنى بن حارثة، أن عمله في مهاجمة العراق يجب ان يسند بقوات أخرى، جاء المدينة وطلب الى الخليفة، أن يوليه على قومه، فولاه عليهم، فلا بد ان من يخاطر الخليفة فتح العراق.

الفصل الرابع

فتح العراق

عوامل الفتح العربي

١ - شعور العرب بتاريخهم ، واعتزازهم بحريتهم ، وكفاحهم ضد الفرس والروم . فلقدقامت بالجزيرة العربية وفى الهلال الخصيب عدة دول عربية توارثت الحكم قبل الاسلام . وبالرغم من الغموض الموجود فى كتب التاريخ العربية والمبالغات . فانها تقص الكثير عن انباء بلاد العرب الماضية مؤيدةما ابداه المؤلفون من غير العرب عن عظمة اليمن وما جاء في تلك الانباء ان اليمن كانت مقراً لاقوى دول الارض وأن حكم ملوكها دام ثلاثة آلاف سنة وأنها غزت بلاد الهند والصين فى المشرق وبلغت غزواتها مراكش في الغرب(١) .

وقد روى الاصمعى انه توجـد كتابات حميرية على ابواب سمر قندوفي سنة ٥٢٥ م احتلها الاحباش وفي سنة ٥٩٧ م طردوا منها .

اما في شمال الجزيرة فقدكان العرب يهددون آسيا الصغرى ولم يقص العرب عن مجاورتها الا بهدم تدمر في عهد اوريليانوس

---

(١) حضارة العرب - غوستاف لوبون - ترجمة زعيتر

الروماني عام ٢٧٢ ميلادية وتحويل سورية الى ولاية رومانية (١)
وقد دامت مملكة غسان التي اسسها العرب بعد ظهور المسيح بقليل ٥٠٠ عام واشتملت على ستين مدينة محضه كما في كتب التاريخ .

اما العراق فقد تنازع سيادته العرب والفرس والروم وقد توطنت فيه عدة قبائل من العرب وفي سنة ١٩٥ م أسسوا مملكة الحيرة التي ما لبث ملوكها ان اصبحوا ينافسون اكاسرة الفرس - وقياصرة الروم فى الترف والعظمة وقد عاشت مملكة الحيرة ٤٠٠ عام لم يصل الينا من اخبارها الا الشيء القليل في بعض القصص والاشعار وبعض المراجع التاريخية . وقد تمكن الساسانيون من اخضاعها عام ٦٠٥ م وظلت تحت سيطرتهم حتي تمكن العرب من تحريرها بقيادة القادة العرب المسلمين ودكوا عرش فارس .

ومن ذلك يظهر لنا انه كان للعرب تاريخاً يفتخر به قبل ظهور الاسلام . اكتفينا بذكر بعض نبذ عن الدول التى ظهرت في بعض اقسام الجزيرة . غير انهم كانوا متفرقين قبيل ظهور الاسلام لم يجتمعوا تحت راية واحدة فلما جاء الاسلام ووحد الجزيرة ظهروا للعالم بموجة قوية جديدة .

وجوب نشر الدعوة الاسلامية

٢ - الايمان بصحة دعوتهم ولزوم نشرها بين الناس . فقد ارسل الله محمداً (صلعم) للبشر كافة وعلى تلامذته ان يقوموا بنشر الدعوة ليكونوا شهداء على الناس . ذلك الاعتقاد الذى جعل الجهاد واجب مقدس على كل قادة . وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجات

---

(١) تاريخ العرب - حتى - مطول

فاندفعوا من الجزيرة بإيمان لا مثيل له يشجعهم وعود رسول الله والقرآن الذي بشرهم بأنهم سيرثون ارضهم وديارهم واموالهم وارضاً لم يطأوها قبل هذا ، فتقدموا بإيمان صادق بان الله ناجز وعده وما عليهم الا ان يتقدموا للقتال .

٣ ـ وبعد ان توحدت الجزيرة وآخى الاسلام بين القبائل ، أمن الجزيرة ومنع الغزو فيما بينها ، أصبح لزاماً على المدينة ان توجه هذه القوى الى عدو خارجي ، لتبقى الامة متحدة ، والنفس البشرية ان لم تشعر بخطر ، تميل الى امور قد تؤدى الى متاعب كثيرة تؤدي بها الى الذلة والمسكنة ، لذلك اندفعت القيادة في الفتح ، يشجعها على ذلك ظهور قادة اكفاء ، امناء ، تمكنوا بمدة وجيزة من اثبات كفاءة نادرة في فن الحرب والتعبئة والسوق وادارة المعارك .

٤ ـ والجدب والقحط في الجزيرة العربية ، وخصب المناطق المحيطة بها (العراق والشام ومصر) الغنية بكثرة خيراتها ، جعلاهم يطمحون لامتلاكها منذ القدم ، ليتخلصوا من الاقلال والحرمان الى رفاهية العيش ، كما ان وجود البحار المحيطة بالجزيرة العربية ، دفعهم للتقدم نحو الهلال الخصيب ، هدف الموجات السامية منذ القدم ، يساعدهم وجود الجمل سفينة الصحراء لديهم .

٥ ـ ان انتصار العرب في معركة ذي‌قار على الفرس ، قوى العزائم معركة ذي قار لدى العرب ، فاعتقدوا ان لهم قابلية لا تقل عن كفاءة الفرس في القتال ، وانهم كانوا على اتصال معهم وعرفوا مواطن ضعفهم ، فاندفع المثنى بن حارثة الشيباني يهاجم العراق ، فكان بمثابة الاطلاقة الاولى التي اطلقها العرب على فارس لطردهم من العراق .

الفرس والروم قبيل الفتح

كانت الدول المجاورة للعرب قبيل الفتح الاسلامى هي دولة الاكاسرة الساسانيين في العراق ، وقد زال حكمهم من اليمن والبحرين ، والروم تمثلهم الدولة البيزنطية في سورية ، ولم تكن الحالة هادئة بين هاتين الامبراطوريتين بل كانت الحرب مستمرة بينهما للسيطرة على الهلال الخصيب ،وبعد حروب دامية تمكن الفرس فى زمن كسرى (ابرويز) الذى حكم من ٥٩٠ م الى ٦٢٨ ميلادية من دحر الرومان ، وتقدموا نحو الغرب فضبطوا منبج ، وحلب ، وانطاكية ، والقدس عام ٦١٤ م غير ان الروم بقيادة (هرقل) تمكنوا من الانتصار على الفرس وضموا سورية الى حكمهم ثانية وتقدموا نحوالبلاد الفارسيةفاعادوا الصليب الاكبر واطفأو النيران الفارسية عام ٦٢٤ م .

العرب بين الفرس والروم

وفي غمرة هذاالنضال لم يكن العرب على وئام معالفرس في العراق فان ملوك الحيرة الذين فقدوا حريتهم ،كانت علاقتهم متوترة مع الفرس ، ويتجلي ذلك برد النعمان على كسرى، وتجسم هذا الخلاف بشكل سافر في معركة ذي قار ، غير ان جهود العرب كانت متفرقة وبحاجة الى زعيم يوحد صفوفهم ويقضي على الاختلافات القبلية ، فكانت دعوة الدين الاسلامي من أهم العوامل الفعالة لتوحيد صفوفهم وبعدتوحيد الجزيرة العربية كان لزاماً على الخلافة ان توجه الجهود نحو فارس ، وخاصة ان غارات المثنى كانت أول التماس للعرب مع

الفرس بعد معركة ذى قار .

اما في سورية فبالرغم من انتصار زعماء العرب (الغساسنة) للرومان ، لاتفاقهم في العقيدة والدين ، الا ان علاقتهم طرأ عليها بعض التغير لقطع الرومان المخصصات التي كانت تصرف لهم لحماية حدود الامبراطورية ، ولذلك كان الظرف مناسباً لفتوحات العرب .

حالة الدولة الرومانية

بنتيجة القتال المستمر بين الفرس والروم ، زادت نفقات الدولة الرومانية ، فازدادت الضرائب على الشعب الرومانى مما سبب تذمر الناس من الحكومة ، ومما يزيد في هذا التذمر اختلاف المذاهب بين الشعب الرومانى ومخالفيه . كما ان اليهود لم يكونوا راضين ، فثاروا في انطاكية وقيصرية ، واشتد عداؤهم للدولة .

ومما زاد فى الطين بله سوء ادارة الحكام ، وتردى اخلاقهم ، وانغماسهم في الملذات وإشباع الشهوات ، فابتعدوا عن خدمة الدولة ، ولم يهتموا بشؤون البلاد . يضاف الى ذلك الجيش الجرار من الموظفين المدنيين الذين كانت الدولة تستنزف اموالا طائلة لرواتبهم ومخصصاتهم مع قلة انتاج للشعب وهذه الحالة مما جعلت الناس يتطلعون الى حكم اصلح ، فرحبوا بالفتح العربي .

حالة فارس الداخلية

اما فارس فكانت اوضاعها الداخلية لاتحسد عليها ، فالمانوية ، والمزدكية ، والزرادشتية ، قد قسمت عقائد الشعب وآرائه ، وكان نفوذ رجال الدين والنبلاء الذين لم يتمكن الساسانيون من القضاء على سيطرتهم فى مقاطعاتهم يهدد النظام الملكي الساساني .

وبعد وفاة قباذ الثاني سنة ٦٢٨ م تدخل النبلاء فى شؤون الدولة

تدخلا لم يكن فى مصلحتها ، فخلعوا سلسلة ملوك بينهم بنتين من بنات كسرى الثاني ، ولذا لم يكن بامكان قيادة الجيوش الامبراطورية من تثبيت دعائم الملك المتداعية .

حالة العرب

وبينما كانت هذه حال الدول المجاورة للعرب ، كان هؤلاء قد انتهوا من حرب الردة ، ووحدوا الجزيرة على كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وضربوا النعرة القبلية ، وتوحدت عقيدة الشعب واتجاهه ، وما ان جاء عام ٦٣٢ م حتى كانت طلائع قواتهم تهاجم حدود فارس بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني .

مالية الدولة الفارسية

ومع ضعف الحالة الداخلية فى فارس كانت خزينة الدولة مليئة بالذهب ، ولها القابلية على الصرف على الجيوش . فقد أحصيت جباية الدولة في عهد كسرى (ابرويز) لعام ثمانية عشر من حكمه فكانت اربعمائة وعشرين الف الف ، وهنالك اموالا اخرى ، من ضرب «فيروز يزدجرد» في الخزينة منها اثنى عشر الف بدرة فى كل بدرة من الورق مصارفة اربعة آلاف مثقال فيكون مجموعها ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠ مثقال ومن صنوف الجواهر ، والطيوب والامتعة والآنية مالا يحصيها الا الله ، وغنائم العرب عند فتح المدائن كانت كبيرة جدا ، تدل على هذه الثروة العظيمة

ومع ان الدولة كانت بهذا الغناء ، ولديها هذه الاموال الطائلة ، فان حالة السواد من الشعب كانت متردية بسبب كثرة الضرائب التي كانت الدولة الفارسية تجبيها منه ففي زمن كسرى انوشروان مثلا كانت الضرائب درهم عن كل جريب حنطة ، او شعير ، والارز نصفا ، او ثلثا ، وعن كل اربعة نخلات فارسية درهم ، وكل ستة

نخلات دقل درهم ، وكل ستة اصول زيتون درهم ، والكرم ثمانية دراهم ، والرطب سبعة دراهم ، عدا ماياخذه اصحاب المقاطعات .

ماليه الدولة العربية

وفي الوقت الذى فيه ثروة الفرس طائلة ، وخزينة الدولة مملوءة بالمال . كانت الدولة العربية الناشئة فقيرة منه الا من مال الزكاة ، وبعض الموارد القليلة ومن يقارن بين مالية دولتين ، يجد الفرق عظيما والمال عصب الحرب .

ومع هذا الفرق فى الثراء بين خزينتى الدولتين ، تمكن العرب من ازالة الامبراطورية الفارسية من الوجود بمدة وجيزة جدا ، فلم تفد كنوز كسرى وجنده المدجج بالسلاح تجاه صلابة العرب فى القتال وقوة ايمانهم وتضحيتهم ، وقد قيل ان سعادة الامم ليست بكثرة مالها ، او قوة استحكاماتها ، وجمال مبانيها ، وانما سعادتها بأبنائها الذين تثقفت عقولهم ، وبرجالها الذين حسنت سريرتهم ، واستنارت بصائرهم ، واستقامت اخلاقهم .

وكانت الخلافة بعد الرسول تسير على نهجه (صلعم) في تثقيف العقول ، وتوحيد العقيدة والخلق المتين ، فحسنت سريرة القادة والشعب واحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته

ولذلك تمكن العرب من ازالة اقوى الدول ، فحكموا الارض التي يرثها عباد الله الصالحون .

خطة الفتح العامة

كانت خطة الرسول (صلعم) فتح الشام ، ولهذا انفذ ثلاثة جيوش نحو البلاد الشامية ، وقبل ان يسير الجيش الثالث منها ، اختار جوار ربه الكريم ، فسيره خليفته الى الشمال ، وبعد حركة التوحيد والقضاء على المرتدين فى حروب الردة ، اختلفت خطة الفتح هذه ، فاصبحت دفاعية تجاه الروم ، وهجومية تجاه فارس وذلك لان :

(١) ان الجيش الروماني الذي دحر فارس ، لا زال موجودا فيها ، ولا بد ان الروم اتخذوا التدابير لحماية الحدود ، وان الاشتباك مع الروم يتطلب جيشاً له كفاءة عالية فى القتال ، وسلاحاً وافراً ، ولم يكن ذلك متيسراً للقيادة تجاه الروم ، اما تجاه فارس فان الاوضاع الداخلية فيها مساعدة لحركة الجيوش ، ولا زال نبلاؤها مختلفين في تعيين الملك .

(٢) ان فارس دولة مجوسية والروم اهل كتاب ، وبما ان الدعوة للتوحيد ، فمن المناسب ان يقوم العرب بفتح العراق قبل الشام للقضاء على الديانة المجوسية .

(٣) ان قوات خالد بن الوليد في اليمامة قد انتهت من عملها ، وهى اقرب الى العراق من الشام فمن الصواب ارسالها نحوه .

(٤) احرز العرب انتصاراً على فارس في معركة ذي قار ولم يتمكنوا من احراز اي نصر على الروم ، وان المثنى بن حارثة قد حصل على تجارب اولية بالفرس عندما قام بغاراته عليهم فخبرهم ، فكانت التجارب ناجحة ، وهو الذي شجع الخليفة على الفتح ، فمن الصواب التقدم نحو العراق لا نحو الشام .

(٥) لا بد من تطهير بادية السماوة (بادية الشام) من اعداء الاسلام قبل التقدم نحو سورية ، لضمان حرية التنقل في البادية للقوات الاسلامية ، وهذا يتطلب السيطرة على شاطيء الفرات الايمن كما سيظهر ذلك في اجتياز خالد بن الوليد في البادية الى الشام .

خطة فتح العراق

كتب الخليفة الى خالد بن الوليد وهو باليمامة : سر الى العراق حتى تدخلها ، وأبدأ بفرج الهند (الابلة) وتألف اهل فارس ومن كان في ملكهم من الامم . وطلب اليه ان يعارق حتى يلتقى بعياض ، وكتب الى عياض بن غنم سر حتى تأتي المصيخ ، فأبدأ بها ثم ادخل العراق من اعلاه ، وعارق حتى تلتقي بخالد . وكتب اليهما ان يأذنا لمن شاء بالرجوع ولا يستفتحا بمكاره .

وامر ان ايهما يسبق الى الحيرة فهو الامير على صاحبه .

وكتب الخليفة الى المثنى بن حارثة الشيباني ان يلتحق بخالد بن الوليد (١) .

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ٣ و ٤

وعلى هذا تكون خطة الفتح الهجوم على العراق من اتجاهين من الشمال ومن الجنوب ، وذلك بالحركة على الخطوط الداخلة . على ان يبدأ خالد بالابلة ثم يتقدم نحو الحيرة ولا يترك خلفه نظاماً لفارس ، اما عياض فيتحرك نحو الجوف ومنها الى المصيخ فالحيرة .

نظرة في الخطة

واذا دققنا الخريطة نجد ان هذه الخطة خطة قائد بصير ومن صواب الرأي ان يتقدم جيشان نحو العراق في آن واحد من الجنوب ومن الشمال ، لان منطقة التقدم أراضي صحراوية يقل فيها الماء ويصعب سوق قوات كبيرة على طريق واحد فيها كقوات خالد بن الوليد وعياض بن غنم .

غير انه يجب ضمان الاتصال بين الارتال المتحركة على الخطوط الداخلة ، لامكان التعاون بينها ، وان في تقدم هذه الرتلان ، تكون بادية السماوة فاصل بينهما، ويصعب تعاونهما الا ان مايخفف من خطر هذه البادية هو ضعف حالة فارس الداخلية ، وان السوق العربي يستند على القتال على اقرب منطقة من البادية ، وعند عدم النجاح تنسحب القوة نحو البادية ، ويساعدها الجمل فلا تتمكن قوات فارس من تعقيبها .

وعلى ذلك يجب ان يكون كل من الرتلين قوياً قادراً على القيام بالواجبات المتطلبة منه ، وقد كانت هذه الارتال المرسلة كافية للعمل لوحدها ولذا لم يكن محذور من ابتعاد بعضها من بعض مسافة تقارب ٩٠٠ كيلو متر ، ولـكن المحذور الآخر في الخطة هو ان

سكان المنطقة ليسوا موالين للمسلمين ، وخاصة في المنطقة التي سيجتازها عياض ، فهذه دومة الجندل (الجوف) يسكنها قوم موتورون ، فلا بد ان يقفوا بوجه القوات المتقدمة ، كما حدث فعلا ، ويظهر ان الخلافة كان اعتمادها على رتل خالد بن الوليد لاعتباره الرتل الرئيسي .

غارات المثنى

سبق ان بينا تقدم المثنى يستبرىء الارض في البحرين شمالا ، حتى وصل العراق ، يقاتل المرتدين ، فلما وصل منطقه البصرة ، هاجم قرية الخريبة ، وغنم منها ، ثم هاجم الابلة ، وغنم منها ، وبعدها تقدم شمالا على حدود البادية ، يهاجم القرى حتى وصل الى الحيرة وغنم منها .

ولما رأى ان لا قبل له في قتال فارس ، وان غاراته ليست بذات جدوى ، جاء الى المدينة وطلب من الخليفة ان يأمره على عشيرته ومساعدته ، فامره ورجع الى غاراته ، حتى نزل خفان (١) فاتاه الأمر باللحاق بخالد بن الوليد ، وعند ذلك ترك العراق والتحق بخالد بن الوليد بالنباج ، ليعيد الكرة تحت راية قائده الجديد ، ولكن عودته هذه كانت تختلف عن غاراته الاولى ، فهي الآن حرب تحريرية وتطهيرية ، يخوضها مع قومه الذين قاتلوا فارس في ذي قار .

---

(١) خفان موضع قرب الكوفة وشمال القادسية

جغرافية العراق

يجدر بنا ان ندرس حالة أرض العراق أثناء الفتح العربي لأهميتها في القتال، وأن القسم الذي تجب دراسته، هو الشاطىء الغربي لنهر الفرات من شمال هيت، حتى الابلة، فالارض الآن تختلف عما كانت عليه في ذلك العصر، فقسم كبير من البطائح والاهوار، كان اراضي صالحة للزراعة، تسقيها مياه دجلة والفرات.

واهم هذه البطائح، هور الحمار الذي يصل الى البصرة حالياً، ولم يكن من السعة فيما مضى كما هي عليه الآن.

ولو رجعنا الى التاريخ القديم وجغرافية العراق القديمة، لوجدنا ان الدول التي سيطرت على العراق، كانت تعنى كثيراً في شق القنوات والانهر لسقي الارض، وبلغ غنى هذه المنطقة درجة دعيت لاجله (جنة عدن) ومن جملة القنوات نهر (كري سعد) او خندق سابور ويبدأ من جنوب هيت بمسافة ١٧ كم، ويخترق البادية على طول الحدود الغربية لأراضي العراق السهلة، وينتهي في البحر قرب مصب بوبيان (١) وهو مدخل العراق القديم على بعد عشرين ميلا من شط العرب غرباً، وطول النهر ٩٠٠ كيلو متر تقريباً.

نهر كرى سعرى (خندق سابور)

ولما شقة سابور ذو الاكتاف بني عليه المناظر والجواسق، ونظمه بالمسالح، ليكون مانعاً لاهل البادية عن السواد، ويذكر

---

(١) وجنوبه مدينة تسمى - كاظمة - من اعمال البصرة وهي الآن اثر تأريخي في امارة الكويت

الدكتور احمد سوسة (١) عن اتجاه هذا النهر انه يمر من غرب الحبانية ماراً بجبل سعده ، ثم وادي ابو فروخ ، ثم الى الجنوب الشرقي باتجاه غدير المالح ، ويسلك بعد ذلك وادي الغضاوي ، ثم يترك هور ابي دبش الى جنوبه ، ويمتد حتى يصل الى اكناف طف كربلاء من ناحية الغرب ، ومن هناك يتصل باثار كري سعدى المعروف والذي يمتد بمحاذات نهر الفرات من جهة الغرب حتى يقرب من مدينة الكوفة ، وهناك من يظن بان نهر كري سعدى ينتهي عند هذا الحد ، الا انه اذا تتبعنا آثاره نجد انه يستمر ملازماً جهة الفرات الغربية فيمر من غرب آثار خورنق النعمان ثم ينحدر الى الطرف الشرقي من بحر النجف ملازماً الضفة الغربية من مجرى شط جحات حيث يمكن مشاهدة آثاره قرب سداد الكرنة والمدلك بكل وضوح ، وبعد ان يختفي مسافة قليلة يظهر ثانية وهو يقطع المسافة الطويلة التي تمتد على طول الجانب الغربي من بحيرة الحمار ، فيمتد جنوباً الى غربي خور عبد الله حيث ينتهي بالقرب من جبل سنام الواقع الى غرب الزبير ثم يستمر في حديثه ، فيقول وهناك ما يدلنا على ان بحيرة الحمار كانت ارضاً عامرة بعيدة عن تأثير الانغمار بمياه الفيضان ، حيث كان نهر كري سعدى او خندق سابور عامراً حيث اننا نجد آثار النهر المذكور تختفي خلال مسافات غير قليلة في وسط بحيرة الحمار ، ثم تظهر ثانية على الكنف الغربي من خور عبد الله في جوار جبل سنام .

(١) الري في العراق - احمد سوسة

ومما يؤيد ان اراضي بحيرة الحمار كانت ذات زروع وعمران في ذلك الوقت ، هو مانشاهده الآن من آثار الابنية القديمة ، والخزف المنتشر على سطح الارض المرتفعة التي تظهر في وسط البحيرة بعد هبوط مستوى الماء في موسم الصيهود ، وفيها آثار لعل معظمها يعود الى عهد الفرس .

تكون البطائح فلما كان زمن قباذ بن فيروز انبثق من اسافل كسكر بثق عظيم ، فاغفل حتى غلب ماؤه وغرق كثير من اراضي عامرة ، فلما ملك كسرى انوشروان امر بذلك الماء فردم بالمسنيات ، حتى عاد بعض تلك الاراضين عامرة ، وفي زمن كسرى آبرويز زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها ، وانبثقت بثوق عظام ، ولم يتمكن كسرى ابرويز من سدها ، فطغى على العمارات والزروع وصادفت بعد ذلك دخول العرب في الفتح ، وشغلت الاعاجم عنها بحربهم مع العرب ، فكانت البثوق تنفجر ، فلا يلتفت اليها ، ويعجز الدهاقين عن سد عظمها فاتسعت البطيحة وعرضت . فلما ولي معاوية بن ابي سفيان ولى عبد الله بن دراج مولاه خراج العراق واستخرج له من الارضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف الف (١) .

ويظهر من ذلك ان المنطقة بين الفرات وخندق سابور كانت عامرة بالمزارع ، فيكون خالد بن الوليد قد حارب في نفس هذه المنطقة في غربي الفرات . اما المستنقعات الموجودة حاليا وخاصة هور الحمار فلم يكن بهذه الوسعة ، وقد اوضح ذلك لسترنج في كتابه العصر العباسي في خريطة ارفقها بكتابه ، وشرح هذه المستنقعات

---

(١) راجع فتوح البلدان - البلاذرى ص ٢٩٠

وبهذا تكون بحيرة الحمار (هور الحمار) قد تكونت بعد الفتح العربي بهذه الوسعة .

اما نهر دجلة فــكان يعقب مجراه الحالي حتى الكوت الحالية « كسكر في القديم » ثم يتجه الى الوجه معقبا مجرى نهر الغراف الحالي ، وأن مجرى نهر دجلة الحالي من الكوت حتى القورنة ، هو المجرى القديم (قبل الزمن الساساني) .

وبعد ان تصل المياه الى القرنة الحالية ، يتكون نهر المذار من القرنة الى الشمال الشرقي ، وطوله ستة فراسخ ، عليه المذار في الضفة الشرقية وتساوى المسافة ١٨ - ٢٠ ميل عن القرنة حالياً . كما يتكون نهر شط العرب الحالي ، والذي كان يدعى بدجلة العوراء ، حتى يصب في البحر في عبادان التى كانت على ساحل البحر .

مسير خالد الى العراق

عندما وصل امر الخليفة الى خالد بالتوجو نحو العراق ، وهو في اليمامة ، كان لديه طريقان للتقدم : الطريق الأول من عقرباء الى زلفى ، ومنها الى كاظمة ، فالابله ، وهذا الطريق قصير غير ان المياه فيه قليلة ، ولا يمر بقبائل كثيرة ليستنضها للالتحاق بجيشه ، وبعيد عن قوات المثنى بن حارثة الشيباني الذي امره الخليفة باللحاق بخالد .

اما الطريق الثاني فهو طريق عقرباء الى زلفى ، ومنها الى بريدة ويعقب وادي الرمة الى الابله ، وهذا الطريق اطول من الطريق الأول ، غير ان المياه متوفرة فيه ، وقد ذكرنا ان المياه كثيرة في

وادي الرمة لكثرة الآبار فيه كما ان المتقدم فيه يمر بقبائل كثيرة، ويقترب من قوات المثنى بن حارثة، ويظهر أن خالداً أراد أن يستنهض الهمم في أكثر عدد من القبائل، ليتطوع رجالها في القتال، فسار الى النباج التي كتب الى المثنى بن حارثة أن يجتمع به فيها، وبذلك مر باكبر عدد من القبائل، والتحق به عدد كبير منها كما سنرى، والنباج في منطقة متوسطة في الجزيرة، تتصل بجنوب العراق (الابله) بالاتجاه منها شرقاً الى وادي الرمة، فالابله او الاتجاه منها شمالا الى الحيرة، والنباج موضع تكثر فيه المياه فهو صالح للتجمع من هذه الوجهة وبذلك فقد احسن خالد صنعاً بعدم التقدم في الطريق الاول، لانه بذلك تكون قوته ضعيفة تجاه فارس.

قوة خالد والتقدم نحو الابلة

وعند ماوصل امر الخليفة الى المثنى ،ابى الدعوة، ولما وصله كتاب خالد بن الوليد للاجتماع به بالنباج، خف المثنى وانفض اليه جواداً وكانت قواته ثمانية آلاف مقاتل. اما القوات التي كانت مع خالد فى عقرباء، فقد ارفض جماعة اهل المدينة، وبقي مع خالد منها الفا مقاتل لان الخليفة لم يرغب ان يستفتح الفتح بمكاره، ولما تقدم من عقرباء يستنهض الهمم، انضم اليه من القبائل ثمانية آلاف مقاتل من ربيعة ومضر فكان مجموع القوات التي تحشدت بالنباج ثمانية عشر الف مقاتل (١).

وبعد ان تم اجتماع الجيش في النباج، تقدم نحو الابلة، فجعل المقدمة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني، فسار قبل تقدم الجيش

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٥

بيومين وكان دليله (ظعر) ثم اتبعه بعدي بن حاتم وعاصم بن عمر، ودليلاهما مالك بن عباد وسلم بن مضر احدهما قبل صاحبه بيوم، ثم تقدم الكوكب بقيادة خالد بن الوليد ودليله رافع، وامر أن يجتمع الجيش في الحفير، فيكون خالد بذلك قد قسم جيشه اربعة اقسام، ونعتقد أن ذلك لم يكن للحماية فقط وانما كان بسبب إحتياج القوة الى الماء، ولما قارب الجيش الحفير، كتب خالد الى هرمز كتاباً، يطلب اليه فيه أن يسلم ومما جاء فيه:

مسير هرمز لملاقات خالد

أما بعد. فاسلم تسلم، او اعقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية والا فلا تلومن إلا نفسك. فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة. وكان هرمز الحاكم الفارسي في الابلة، والمسؤل عن حمايتها من غارات القبائل العربية، وغارات البحر وكان هذا من اشد الناس نكاية بالعرب، حتى ضرب به المثل فقيل (أكفر من هرمز) وكان طبيعيا لمثل هذا ان يرفض كتاب خالد ويستهزىء بالقوم الذين كانوا الى وقته ولا يهتم بهم فبعث بكتاب خالد الى المدائن وجمع جموعه وتعجل الى الكواظم باصحابه ليتلقى خالدا. وبلغه ان العرب تواعدوا الحفير، فعاج يبادره الى الحفير، فنزله وعبأ فيه جيشه وجعل على مجنبيه قباذ وانوشجان.

خالد يقصد كاظمة

فلما عرف خالد بما قام به هرمز من التهيؤ في الحفير [1] غير استقامة مسيره الى كاظمة وهي على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب وفيها

---

(١) الحفير هو حفير ابي موسى مياهه عذبة على طريق البصرة من النباج بعد الرقتين، وبعده الشجى لمن يقصد البصرة، وبين الحفير والشجى عشرة فراسخ (معجم البلدان ج٢) ولعل الشجى هو موقع الركمي حالياً او مايقاربه.

خرم ، وهي جبيلات وأنوف ، وهذه الجبيلات هي سلسلة من التلول المرتفعة موازية لساحل البحر تقريباً ، ونعتقد ان السبب الذي اجبر خالدا على تغيير الاتجاه هو سبق هرمز واستيلائه على ماء الحفير الذي هم بأشد الحاجة اليه .

هرمز يسبق

فلما علم هرمز مانواه خالد ترك الحفير وذهب الى كاظمة فوصلها قبل خالد لقربه من كاظمة بالنسبه الى قوات المسلمين وعبأ اصحابه فيها واقترنوا بالسلاسل .

فلما وصل المسلمون وجدوا هرمز قد سبقهم ، وسيطر على الماء فقيل لخالد في ذلك ، فأمر خالد مناديه فنادى (الا انزلوا اثقالكم ، ثم جالدوهم على الماء ، فلعمرى ليصيرن الماء لاصبر الفريقين ، واكرم الجندين) فحطت الاثقال والخيل وقوف ، وبهذا يكون خالد بن الوليد قد استخدم الخيل بواجب الحجاب بينه و بين العدو .

كمين هرمز في المعركة

وكان العرب يضربون المثل بهرمز ، فيقولون اخبث من هرمز ، وكان هرمز قد عرف أن خالد بن الوليد طائر سوء عليه ، ولا قبل له به ، فاراد ان يغدر بخالد فوصى جماعته ان يتهيئوا للغدر ، فوضع كميناً من بعض رجاله ، ليباغت خالداً بعد أن يشتبك معه في القتال ويشغله .

ونادى رجل من الفرس ابن خالد ؟ فلما نزل خالد نزل هرمز ودعاه الى النزال ، فنزل خالد ومشى اليه ، والتقيا فاختلفا ضربتين (١) واحتضنه خالد . فحملت حامية هرمز (كمينه الذى وضعه للغدر وكانوا جماعة الحماية المختصين بحمايته) وغدرت فاستلحموا خالداً

(١) الطبري ج ٤ ص ٦

مما شغله ذلك عن قتل هرمز ، غير ان القعقاع بن عمرو لما شاهد غدر الفرس حمل واستلحم حماة هرمز فاناموهم ، واذا خالد عاصمهم.

المطاردة وفتح الابلة

فلما قتل هرمز انهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم الى الليل ، وجمع خالد الرثاث وفيها السلاسل ، وكانت وقر بعير الف رطل فسميت ذات السلاسل . وأفلت قباذ وانوشجان (١) . وبعد ان رجع المطاردون في الليل ، أمر خالد القوات بالتقدم نحو الابلة لاحتلالها ، وكانت المعركة بكاظمة على مرحلتين عن البصرة . وهذه المطاردة السريعة ساعدت في الاستيلاء على الابلة من دون قتال ، سوى ما حدث مع بني تغلب في الثنى (٢) ثم تقدم خالد بالمسلمين الى موضع الجسر الاعظم شمال الابلة ، وجمع الاموال والسبايا وبعث المثنى بن حارثة الشيباني في آثار القوم لمحافظة التماس بالقوات الفارسية .

ترصين موقع الابلة

ولاجل تثبيت اقدام المسلمين في موقع الابلة (٣) لابد من طرد القوات الفارسية بعيداً عنها والاستيلاء على الحصون القريبة من البصرة ضمن مرحلة يوم واحد على الاقل ، ولهذا ارسل خالد

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٦

(٢) علم لموضع في الجزيرة قرب الشرق (شرق الرصافة) (رصافة البصرة) تجمعت فيه بنو تغلب ، وبنو بجير لحرب خالد بن الوليد ، فوقع فيهم وقتلهم كل قتلة ، فقال ابو مقرر :

طرقنا في الثنى بني بجير ... بياتا قبل تصدية الديوك

فلم نترك بها ارما وعجما ... مع النظر المؤزر بالسهوك ... معجم البلدان ج ٢

(٣) ان البصرة الحاليه تبعد عن موقع البصرة القديمة التي بنيت في عهد عمر بن الخطاب بمقدار اربعة فراسخ برا (١٢) ميل وعشرة اميال نهراً عن موقع الابلة ، وقد كان قبر طلحة والزبير بالقرب من الباب الغربي ، ويظهر ذلك ان منتهى مدينة البصرة القديمة في الغرب قرب الزبير ، والبصرة الحالية على نفس النسبة من البصرة القديمة ولذلك فهي الابله القديمة

المثنى واخاه المعنى الى حصن المرأة ، وكان على نهر المرأة فحاصراه وفتحاه ، ولم يغفل خالد عن تأمين موقع الخفير الذي تقدم منــه فترك فيه حامية عربية لتؤمن خط مواصلاته مع الجزيرة فيما اذا ارادت القوات الفارسية او حلفائها من التقدم اليه لقطع خط مواصلاته مع المدينة المنورة بامرة سويد بن مقرن . لقد احسنت

أهمية الابلة

القيادة العربية في المدينة بالايعاز الى خالد بان يبدأ بالابلة ، فقد شيدت هذه على ضفة دجلة العوراء (شط العرب) الغربية فكان البحر قريباً منها ، وهي ميناء مهم للسفن القادمة من البحر ، كما انها تتصل ببلاد العرب (نجد والحجاز) بعدة طرق ، وتتصل بالمدائن عن طريق دجلة القديم الى كسكر ، ومتصلة بمنطقة الاهواز في فارس ولذلك فهي في موقع سوقي مهم لفارس وللعرب ، والاستيلاء عليها يؤمن جناح القوات المتقدمة نحو الحيرة .

الغنائم

بعد ان جمعت الغنائم في معركة كاظمة ، وجمع السبي والغنائم من الابلة ارسل خالد الخمس منها الى المدينة مع (زر بن كليب) ومع الاخمس قلنسوة هرمز وفيل .

وقد بلغ سهم الفارس في معركة ذات السلاسل (كاظمة) والمثنى الف درهم والراجل على الثلث فلما وصلت الاخماس الى المدينة ارجع ابو بكر الصديق الفيل الى خالد ونفل قلنسوة هرمز لقاتله (لخالد)

أهمية معركة كاظمة

وكانت معركة كاظمة او ما تسمى بذات السلاسل الاصطدام الاول بين الامة الفارسية الساسانية والامة العربية الاسلامية ، وان للانتصار في هذه المعركة اهمية عظيمة بالنسبة للعرب من حيث انها شجعت الجند العربي على المضي في قتال الفرس ، فقويت

معنوياتهم ، فآمنوا ان لهم كفاءة لاتقل عن فارس ، ان لم تزد عليها فلو كانت النتيجة عكسية ، لما رأينا العرب يفتحون العراق ، ولما رأينا خليفتهم يتربع على عرش بغداد زمناً ليس بالقصير ، لان الاسلحة التي غنموها من الفرس ، أكملت النقص في التسليح ، ومن غنائم هذه المعركة ما تمكنت الخلافة الاسلامية به من تجهيز قوات اخرى لارسالها الى سورية .

اما تجاه الفرس فقد نبهت هذه المعركة أهل المدائن ' وحكومة فارس على ان القوة المتقدمة من الابلة هي قوة جبارة يجب ان يحسب حسابها ' وارسال القوات الكافية لطردها من ســـواد العراق ' فنتج عن ذلك معركة المذار .

معركة المذار

عندما وصل كتاب خالد الى هرمز ارسله هرمز الى المدائن بكتاب الى ازدشير شيري واخبره بالخبر فأمده هذا بقارن بينما كان بطريقه الى الابلة ' حدثت معركة كاظمة ' وانخذل الفرس وتراجعت الفلول تجاه مطاردة المسلمين الى المذار ' واجتمعت هذه الفلول بقوة قارن فتذمروا فيما بينهم ' وصمموا على القتال الشديد ، والانتقام من العرب فقال بعضهم لبعض : ان افترقتم لم تجتمعوا بعد ابداً ' فاجتمعوا على العود مرة واحدة ' وهذا مدد الملك وهذا قارن . لعل الله ان يديلنا ويشفينا من عدونا ، وندرك بعض ما اصابوا منا .

فارسل المثنى بالخبر الى خالد ' وكان خالد يوطد النظام وينظر في ظلامة الناس ' فلما وصله الخبر تقدم في صفر سنة ١٣ هجرية على

تميمة متخذا تدابير الحماية لمحافظة قطعاته .

وكان الفرس قد تهيئوا للمعركة في المذار ، فوضع قارن قباذ وانوشجان على مجنبتيه ، فلما وصل خالد المذار والتقى الجيشان ، طلب قارن مبارزة خالد ، فبرز اليه خالد وابيض الركبان (١) فكان ابيض الركبان اسبق من خالد في قتل قارن (٢) فاشتبك الجيشان واشتد القتال ، وكان الفرس يقاتلون على حنق وحفيظة ، فقتل عاصم الانوشجان وقتل عدي قباذ وبعد ان قتل من الفرس مقتلة عظيمة ، انسحب الفرس عبر نهر دجلة ، وضموا السفن اليهم ومنعت المياه المسلمين من مطاردتهم .

ويظهر من ذلك ان خالدا احاط اجنحة عدوه في هذه المعركة الامر الذى سبب اضطرارهم على ركوب السفن الى الشاطىء الغربي للنهر ، فمنع الماء العرب من العبور .

خسائر الفرس وبلغت خسائر الفرس في المعركة ثلاثين الفاً عدا من غرق في النهر وانهزم الباقون وهم عراة واشباه عراة ، ونعتقد ان هذا العدد من الخسائر فيه شيء من المغالاة لان الجيش الذي يترك هذا العدد من القتلى في المعركة عدا من غرق فيكون تعداده اضعاف هذا العدد وبما انوضع قارس كان مضطرباً ، وان جيش قارن ارسل مدداً الى هرمز ، وقد ارسل هذا على عجل فاننا نعتقد ان سبب ذكر هـــذا العدد من الخسائر : هو التشتيت الذي لحق الفرس من جراء هجوم

---

(١) ابيض الركبان هو معقل بن الاعشى بن النباش الطبري ج ٤ ص ٧

(٢) كان قارن ممن كمل شرفه في الدولة الساسانية ولم يقاتل العرب قائدا كمل شرفه غير قارن وهرمز

الجيش العربي ، واحاطتهم من جميع الجهات فكان الناجي منهم عدد قليل وهذا هو الذي جعل الجيش العربي لايخاطر لاجلهم بالعبور ولم تذكر لنا المصادر خسائر الجيش العربي في المعركة وقد تكون طفيفة بالنسبة لهذه المعركة نظراً لما ابداه هذا الجيش فى المعارك المتأخرة من القابلية ما يدل على انه حافظ على قابليته في القتال بعد معركة المذار واقام خالد في الثنى (المذار) يسبى عيالات المقاتله ومن اعانهم ، واقر الفلاحين ، ومن اجاب الى الخراج من جميع الناس ، فوزع الغنائم ، وقسم الفيء ، وسلم الاسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت (١) ونفل من الاخماس الى أهل البلاء من الرجال ، وبعث ببقية الاخماس الى المدينة واوفد وفدا مع سعيد بن النعمان

سبب فى خلاف عمر وخالد

يظهر ان خالداً كان يصرف من الغنائم والاخماس لاهل البلاء من جيشه تشجيعاً لهم ، كما انه نجح في معركتي كاظمة والمذار نجاحاً باهراً مما يدل على انه كان يبث الارصاد والعيون ليطلع على حالة عدوه ولابد انه كان يصرف اموالا للعيون التي تأتيه بالاخبار ، ولم يكن يبين ذلك للخلافة فلم يقبله عمر منه عند توليه الخلافة .

عدم التوغل فى فارس

بعد انتهاء معركة المذار ، تشتت الجيش الفارسى ، ولم يبق في طريق تقدم خالد على نهر دجلة من القوات شيئاً سوى القوات المتقدمة من المدائن ، وهي بعيدة عنه ، ومع ذلك لم يتقدم خالد بعد نصره في المذار ، وإنما بقى فيها ، واكتفى بهذا النصر الموضعى ، وهذا يدل على ان خالد بن الوليد كان متبصراً في العواقب وذلك لان خالداً اذا اراد التقدم فانه يسير حتما فى مناطق معادية يختلف

---

(١) كان سلب المقتول فى المعركة يعطى للقاتل .

اهلها عنه لغة ودينا ، والتوغل يتطلب قوة كبيرة جداً ، وذلك لتأمين خطوط مواصلاته مع الابله والمدينة . ولكي يتمكن من الثبات في المناطق التي يفتحها . وكان مجموع قواته التي تقدم بها من الجزيرة ثمانية عشر الف مقاتل ، ترك قسما منهم في الابلة والحفير فلا يسعه التقدم بما تيسر من قوته نحو المدائن ، وجناح قواته الايسر مهدداً من اتجاه الحيرة فالعدو اذا تقدم من الحيرة نحو الجنوب فسينقطع عليه اتصاله بالمدينة ، ويجب تأمينه قبل التقدم ولهذا جعلت القيادة العربية هدفه الحيرة . لتطهير هذا الجناح من شمال الجزيرة العربية تمهيداً لفتح سورية والعراق . فكان لابد له من توخي هدفه الذي عينته له القيادة العامة في المدنية (مقر الخلافة الاسلامية) . هـذا عدا أن تقدمه باتجاه نهر دجلة ، يجعل التعاون بينه وبين رتل عياض أمراً صعباً .

وقد اثبتت الحوادث صحة عمل خالد هـذا من حيث ان الفرس قدموا رتلا من قواتهم باتجاه كسكر لمشاغلة جيش خالد ، وقدموا رتلا آخر باتجاه الولجة على الفرات ، وهكذا تجنب خالد بن الوليد الورطة التي تورط بها طوزند (١) القائد الانكليزي في حرب ١٩١٧ في تقدمه نحـو بغداد بقوات ضعيفه فـلولا بعض الاخطاء التي حدثت في المعركة لكانت النتيجة الاسار لقواته غير ان تلك الاخطاء أخرت هذا الاسار حتى الكوت .

---

(١) حرب العراق عام ٩١٥ ـ ٩١٨

انتقال الحركات على الفرات

الرجوع باتجاه الحيرة

عند تقدم خالد بعـد انتصاره في المذار ، ارسل الفرس رتلين للقتال ، وكان الرتل الاول بقيادة الاندر زغر ، وواجبه التقدم باتجاه كسكر ، ومقاتلة جيش المسلمين ان لاقاه ، وان لم يجـده يتحرك باتجاه الولجه (١) .

وكان الرتل الثاني بقيادة بهمن جاذويه ، وخرج فى اثر الرتل الاول ، وهذا يدل على ان الفرس ارسلوا الرتل الاول بصورة عاجلة لملاقات خالد ، وعرقلة تقدمه نحو المدائن على دجلة ، وطلب الى الرتل الثاني ان يعبر طريق الرتل الاول ، فسلك بهمن جاذويه وسط السواد ، ومر بالدهاقين فجمع عدداً كبير من الجنود والفلاحين ، والتحق بهم كثير من عرب الضاحية والدهاقين الذين عسكروا الى جنب بهمن جاذويه في الولجه .

وقد احسن الفرس بنقل ساحة الحركات من دجلة الى الفرات ، فابعدوا الخطر عن المدائن من هذا الاتجاه (اتجاه دجلة) غير انهم لم يحسبوا حساب وجوب مشاغلة قوات خالد بن الوليد فانهم تركوا الجناح الايمن في المذار حرامن حيث انهم جمعوا قواتهم في الولجة على الفرات، ولو كان للمسلمين قوات كافية لتمـكنوا من القضاء على المدائن في اول ايام الفتح

معركة الولجة

بعد ان انتهت معركة المذار بقى خالد في الثنى ينظم الامور ووزع

---

(١) الولجه مصب نهر دجلة في الفرات (ملتقى نهر الغراف الحديث بنهر الفرات) وتكون في منطقة الناصرية حالياً في العراق .

الغنائم ، وارسل الاخماس الى المدينة ؛ ثم ارسل من يستطلع له حركات العدو ويأتي باخباره ونشر الطمأنينة بين الناس .

وقد جاءته الاخبار متأخرة بان الفرس تقدموا نحو الولجة بسبب الفيضانات بين الولجة والمذار فترك حامية في المذار لتأمين موقع الابله من هذا الاتجاه ، وتقدم باتجاه الولجة فعبر دجلة العوراء (شط العرب حالياً) على الجسر الاعظم ، وتقدم الى من خلف في اسفل دجلة من الحاميات وامرهم بالحذر وقلة الاغترار وبهذا يكون خالد منتبها الى النفسية البشرية فهي ميالة الى الكسل والراحة عندما لا تشعر بما يوجب الانتباه والميل الى الطمأنينة مما يسبب مشاكل للقوات المقاتلة وهذه من صفات القائد المطبوع وبعد ذلك سار نحو الولجه .

خطة الطرفين رتب الفرس قواتهم على الاسلوب المتبع في ذلك العصر (قلب وجناحين) في موقع الولجة للدفاع عن العراق وعن الحيرة خاصة وهي العاصمة الثانية لفارس .

اما خالد بن الوليد فكانت خطته هجومية على الفرس وانه يهاجمهم اينما صادفهم وخطته للهجوم هي :الهجوم على الجيش الفارسي بكوكب جيشه (القسم الاكبر)وبعد الاشتباك معهم يهجم كمينان كان خالد قد نظمها على جناحي الفرس فكان الكمين الايمن بقيادة بسر بن ابى رهم والكمين الايسر بقيادة سعيد العجلي على ان يهجم الكمينان فى وقت معين عينه خالد .

المعركة في الثانية عشر من شهر صفر السنة الثانية عشرة للهجرة رتب خالد قواته (عدا الكمينين) بقلب وجناحين فلما اقترب الجيشان

اقتتلا قتالا شديداً هو اعظم من قتال الثنى وبدأت المعركة بهجوم الجيش العربى المسلم واستمر القتال حتى ظن الفريقان ان الصبر قد افرغ .

وفي هذه الساعة التى يظن فيها الجندي ان صبره قد نفد تزلزل معنوياته ، ويحتاج الى قائد يعرف كيف يوقظ الهمم ، وخالد يعرف ذلك ، فبرز امام الصفوف ، فقاتل في الولجة ، وبارز رجلا من اهل فارس من اشجع رجالهم فقتله .

وطال القتال بين الفريقين ،وكاد الجيش العربى ان ينسحب ،وفي هذا الموقف الحرج بالنسبة للمسلمين ، خرج الكمينان من وجهين، فزلزل الجيش الفارسي (١) وشعر قادته بخطورة موقفهم ، اذ أن المسلمين يقاتلونهم قتالا شديداً ، وهذه قوات اخرى ظهرت على جناحيهم ، ففقدوا معنوياتهم واربكتهم المباغتة ، فانهزم الجيش الفارسى موليا أدباره للمسلمين ، فاخذهم خالد من بين ايديهم والكمين من خلفهم ، وكانت وقعة شديدة عليهم حتى ان الرجل منهم لم ير مقتل صاحبه ومضى الاندرزغر قائد الجيش الفارسي في هزيمته الى الصحراء فمات عطشاً .

استخدام الاحتياط

ويظهر من المعركة ان خالداً كان يستهدف ان يشرك الفرس جميع قطعاتهم في القتال مع كوكب جيشه قبل ظهور الكمينين ولذا عين وقتاً لظهورهما في ساحة القتال ، فلما ظهر الكمينان لم يكن لدى القائد الفارسي قوات اخرى ، يستطيع بها من معالجة الموقف الجديد ولا يتيسر للقائد ان يسحب قسماً من قواته من القتال لمقابلة مثل

(٢) كان مع الفرس كثير من عرب السواد يقاتلون العرب المسلمين .

هذا الموقف ، ولهذا يكون عامل المباغتة اقوى فعالية ومدة تأثيره على العدو اطول . فسبب ذلك هزيمة الجيش الفارسى .

ولذلك يجب عدم اشراك جميع القطعات في المعركة ، وإنما يجب الاحتفاظ بقسم منها لمعالجة الطوارىء على ان لا يستخدم مبكراً في المعركة .

وقد احسن خالد صنعاً بعد ان اشتبك جميع الجيش الفارسى فى القتال ، وبذلك حاز نصراً كبيراً واندحر الجيش الفارسى اندحاراً فظيعاً ، وكانت المعركة اشد وقعا من وقعتي ذات السلاسل (كاظمة) والمذار (الثنى) فانفتح الطريق امام المسلمين الى الحيرة .

خطبة خالد — بعد انتهاء معركة الولجة قال خالد لجنده (الا ترون الى الطعام (١) كرفغ التراب ! وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله ، والدعاء الى الله عزوجل ، ولم يكن الا المعاش ، لكان الرأى ان نقارع على هذا الريف حتى نكون اولى به ، ونولي الجوع والاقلال من تولاه ممن اثاقل عما انتم عليه) فنبه خالد خواطر الجند العربي الذي رأى شدة الفرس وصلابتهم في القتال ، وأزال من افكارهم فكرة التثاقل فى قتال الفرس ، فاستهونوا امرها وشدوا عزمهم فيها .

معركة اليس

بعد معركة الولجة انفتح الطريق لخالد نحو الحيرة غير ان بكر وائل

---

(١) كرفغ التراب - مثل كثرة التراب

التي كانت تقاتل مع الفرس في الولجة ، وفقدوا كثيراً من ابنائهم كاتب قسم منهم الاعاجم ، واتفقوا على الثبات مجتمعين في اليس انتقاماً لاخوانهم ، وكان عليهم عبد الاسود العجلي ، وامر اردشير بهمن جاذويه ان يتقدم بجيشه مع من يجتمع به من فارس ونصارى العرب الى اليس ، ولكن بهمن جاذويه قدم جابان وامره بالاسراع الى اليس على ان يكف نفسه وجنده من قتال العرب ، حتى يلحق به الا ان يعجلوه ، وفي ذلك كان بهمن جاذويه مصيباً في رأيه ، اذ يجب ان لاتشترك قواته في معركة وهي غير كاملة التحشد والا ان قبلت المعركة وهي مجزأة اصبحت ضعيفة غير قادرة على احراز النصر في القتال .

فسار جابان الى اليس وانطلق بهمن جاذويه الى اردشير (١) ليحدث به عهداً وليستأمره فيما يريد ان يشير به .

تجمع الفرس وحلفائهم

مضى جابان حتى نزل اليس فنزل بها في صفر واجتمعت عليه المسالح التي كانت بازاء العرب وهي القوات التي كانت تحافظ على التماس بجيش المسلمين واجتمع اليه من نصارى العرب عبد الاسود من بني عجل يسانده جابر بن بجير وعبد الاسود مع تيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من اهل الحيرة .

ويظهر ان الفرس وحلفاءهم قد اكملوا تحشدهم ولم يكن يعرف ذلك خالد (كما سنرى) .

وهذا خير تجمع للقطعات لئلا يعلم عنه العدو شيئاً ، وهو ما يسعى اليه القادة دائماً ، ومما ساعد الفرس على هذا الكتمان ، هو عدم تمكن

---

(١) كان اردشير ملك الفرس مريضاً فعرج عليه بهمن جاذويه

المسلمين من الحركة بالبطائح ، ووجود قوات فارسية تحافظ التماس مع المسلمين فكانت حجاباً بينهم وبين قواتها الفارسية الرئيسية .

كما ان بكر وائل والنصارى كانوا يقاتلون مع الفرس فلم يبق مجال لخالد لاستطلاع حركات عدوه .

تقدم خالد

بلغ الخبر خالداً ان عبد الاسود وجابراً وزهيراً قد تجمعوا فيمن تأشب اليهم في اليس فنهد لهم وهو لا يشعر بدنو جابان (١) وجعل خالد همه القضاء على هؤلاء العرب الذين يقاتلون مع الفرس ضد العرب المسلمين فحنق خالد والمسلمون عليهم وحز في نفوسهم ان يعاديهم العرب .

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وكان خالد في تقدمه على تعبيته في الايام التي قبل هذه المعركة . وقد اتخذ تدابير الحماية ولما اقترب من عدوه علم بدنو جابان على رأس قوات فارسية فلم يبال بذلك .

في معسكر الفرس

عند وصول خالد بالمسلمين الى اليس كانت القبائل قد اعدت الطعام فاستشاروا جابان رأيه هل يعاجلوا المسلمين ام يغذوا الناس ؟ فقال جابان : ان تركوكم والتهاون بهم ، ولكني اظن انهم سيعجلوكم ويعاجلونكم عن الطعام . فعصوه وبسطوا البسط (٢) ووضعوا الاطعمة .

وهذا الرأى نوع من آراء القادة المترددين في قراراتهم فكان الواجب على جابان ان يتهيأ للقتال ولا يعطي المجال للناس بالتهاون فان تهاون المسلمون ولم يقاتلونهم فهو خير له وان عاجلوهم اللقاء

---

(١) هذا ما اشرنا اليه من اكمال تجمع قوات الفرس بدون علم خالد .

(٢) بسطوا البسط يقصد بها مائدة الطعام .

فيكون مستعداً لملاقاتهم ويظهر ان جابان كان متأثراً بوصية بهمن جاذويه فان كان كذلك فيكون من القادة الذين يتمسكون بنصوص الأوامر لا بمعناها ومغزاها وهذا النوع من القادة لا يحرز نصراً الا فيما ندر .

المعركة

كانت خطة خالد هجومية فعبأ قوانه بقلب وجناحين وبعد ان وصل وحط الاثقال ، توجه اليهم ووكل الى خواص يحمون ظهره ، فلما رأى جابان معاجلة المسلمين له وضع عبد الاسود العجلي وابجر على مجنبتيه وكان هو في القلب .

فلما وصل خالد برز امام الصف ونادى رؤساء القبائل التي تقاتل مع الفرس فنكلوا عنه الا مالك بن قيس فقد برز لمنازلة خالد فقتله خالد وحمل على الاعاجم ومواليهم وحمل معه المسلمون فاجهضوهم عن طعامهم ولكن ما لبث الاعاجم وحلفائهم ان ثبتوا في المعركة وهم يأملون دنو بهمن جاذويه اليهم بقوات جديدة غير ان المسلمين صبروا لهم وهم مطمئنين ان النصر من عند الله يؤتيه لاولى العزم الذين يجاهدون في سبيله فهو ينصرهم ويثبت اقدامهم .

فاشتد القتال حتى بلغت من الشدة ان قال خالد (اللهم ان لك على ان منحتنا اكتافهم ألا استبقي منهم احداً قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم) .

كما قال بعد فتح الحيرة (قاتلت يوم مؤته فانقطع في يدى تسعة اسياف وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم في فارس وما لقيت قوماً من

اهل فارس قوماً كاهل اليس «١»

وهكذا ثبت الاعاجم وحلفاؤهم في قتال المسلمين يدافعون عن مصالحهم غير ان صبرهم نفذ تجاه صلابة المسلمين الذين اشتروا الحياة الآخرة بالحيـاة الدنيا فولوا ظهورهم للمسلمين فركبوهم واخذوا يأسرونهم .

المطاردة واحتلال امغيشيا

وبعد ان انكسر الفرس وحلفاؤهم أمر خالد مناديه فنادى في الناس (الاسر الاسر لاتقتلوا الا من امتنع) فطاردوهم يوماً وليلة وطلبوهم الغد وبعد الغد وهذا يدل على ان المطارده استمرت ثلاثة ايام متوالية فلم يترك خالد العدو ولم يمهله فيثبت للقتال في موقع آخر وكان من نتيجة هذه المطاردة السريعة ان دخل المسلمون امغيشيا (منشيا) بدون قتال . اذ وجدها المسلمون خالية من السكان لان الفرس اخلوها فتركها اهلها وتفرقوا في السواد وكانت مصرا كبيراً كالحيرة . ينتهى اليها فرات بادقلى واليس من مسالحها .

وقد شابهت هذه المطاردة مطاردة طاوزند عام ١٩١٥ فى حرب العراق بين الاتراك والانكليز فتمكن من احتلال العمارة من دون قتال وبعدد قليل من الجنود (٢) .

الغنائم

وقد غنم المسلمون من امغيشيا كثيراً من الغنائم ، حتى انه لم يصب المسلمون ما بين ذات السلاسل وامغيشيا شيئاً مثلما اصابوه اذ بلغ سهم الفارس الفاً وخمسمائة سوى النفل الذى نفله خالد الى اهل

(١) وقد جاءت الخيل بالاسرى افواجاً مستأسرين يساقون سوقاً وقد وكل بهم رجالا يضربون اعناقهم فى نهرهم وقد جرى ماء النهر ثلاثة أيام احمر فطحنت الارحاء (جمع رحى) طعام الجيش ثلاثة ايام والماء احمر (الطبري ٤ ص ١٠)
(٢) حرب العراق العراق ١٩١٥ م - ١٩١٨ م

البلاء من رجال المسلمين .

وقد امر خالد بن الوليد بهدم امغيشيا ، فهدمت كلها ونرى ان خالداً كان مصيباً في هدمها اذ ان جميع الاهلين ، قد اشتركوا في مقاتلتهم ويذكر الطبري ان قتلاهم كانوا سبعين الفاً (١) وتركها جميع اهلها مما يدل على معاداتهم الشديدة ، وان بقاءها مصراً كبيراً يجعل الامل لاهلها بالرجوع اليها فتكون مركزاً من مراكز المقاومة الفارسية ولكن بهدمها انتهى امرها فلم يعد يذكر عن مقاومتها للمسلمين .

اسد العرب ارسل خالد بن الوليد الغنائم الى ابي بكر الصديق وبالخبر مع رجل يدعى جندلا من بني عجل ولما بلغ الخبر ابا بكر الصديق قال يخبر معشر قريش بالخبر الذي اتاه (يامعشر قريش عدا اسدكم على الاسد فغلبه على خراذيله . اعجزت النساء ان ينشئن مثل خالد)

وحق لابي بكر ان يدعو خالدا اسد قريش فهو اسد العرب الذي لازال غالباً ولم يغلب وفي هذه المعركة تمكن ان يطعم طعام عدوه لجنده .

الخسائر يذكر الطبري ان خسائر الفرس المحالفين لهم بلغت ٧٠٠٠٠ قتيل ومع اننا نميل الى ان جميع اهل امغيشيا خرجوا للقتال مع القبائل ولكن الخسائر لم تكن هذا العدد فيما نرى اذ لابد ان يكون الجيش الفارسي وحلفاؤه اضعاف هذا العدد ولم تكن فارس بوضع داخلي يساعدها على سوق هذا العدد تجاه المسلمين وان كان هذا الجيش هو الجيش الرابع الفارسي ، قد يعد بعض من يدرس المعركة ، ان

---

(١) الطبري جـ٤ ص ١١

شدة خالد

عمل خالد في قتل الاسرى كان نوعا من الشدة ، وانا نتفق بأنهـا شدة ، غير انها فى رأينا ضرورية جداً لنجاح الجيش العربي المسلم في تحرير العراق فاجبار القبائل العربية الموالية للفرس ، ان تلقى السلاح ، وتترك الفرس لوحدهم تجاه المسلمين فيسهل عليهم القضاء على قواتهم ، وهذا ما كان يريده خالد بن الوليد لأنه بعد معركة اليس تمكن من احتلال الحيرة بسهولة ، ولا تقاس هذه الشدة بقسوة المتحاربين في القرن العشرين الذين يسوقون المدنيين للموت آلافاً عدا المحاربين .

معركة اليس فاصلة

ويمكننا ان نعتبر معركة فاصلة بين خالد والفرس باعتبار ان هدف خالد ، كان الحيرة فانه بمطاردته للفرس ثلاثة ايام متتالية ، وعدم افساح المجال لهم ، ليقفوا في محل آخر ، ليدافعوا عن الحيرة ، انفتح الطريق الى الحيرة للمسلمين ، فلم يبق للفرس قوات اخرى قادرة على الوقوف امام المسلمين ، الا المسالح المنتشرة ، وليس لها قابلية على مقاتلة الجيش الاسلامي سوى حامية الحيرة الفارسية ، وهي ضعيفة اذا ما تركت وحدها ، تجابه الجيش العربي المسلم بقيادة خالد بن الوليد . على ان الوقت لم يتهيا للفرس لارسال قوات أخرى ان خالداً اسرع في تقدمه نحو الحيرة (كما سنرى) وتمكن من احتلالها .

التقدم نحو الحيرة

الداخلي في الموقف فارسي

لم يبق امام المسلمين سوى حامية الحيرة وهي ضعيفة كما أشرنا الى ذلك ولذا بات إحتلال المسلمين للحيرة (١) امراً مفروغاً منه لأن موقف فارس الداخلي غير مستقر فان بهمن حاذويه الذي ذهب الى اردشير لم يتمكن من مواجهته لمرض الم به فكان غير مقدور له من تجهيز حملة قوية ضد المسلمين وكان حكام المقاطعات الفارسية لا يساعدون بعضهم الا بامر الملك وهو مريض كما ان عدم استقرار الوضع في المدائن لم يسهل للقادة العسكريين مطاليبهم بسرعة فلم يعد بامكان هؤلاء القادة ان يدافعوا عن المملكة فسهل على الجيش الاسلامي القضاء على القوات الفارسية في جميع معاركه وكان الفرس بوضع المدافع في جميع هذه المعارك .

تدابير مرزبانه الحيرة

وكان حاكم الحيرة الفارسي ازمان كسرى الازاذبة وقد بلغ نصف الشرق فلما اخرب خالد أمغيشيا علم أنه غير متروك وانه لابد لخالد والمسلمين ان يتقدموا نحوه وخاصة لم يبق امامهم من القوات التي تتمكن من الثبات امام المسلمين ولذلك تهيا للحرب فخرج وعسكر خارج الحيرة بين الغريين (٢) والقصر الابيض وقدم ابنه امامه وامره

---

(١) على ثلاثة اميال من الكوفة (راجع معجم البلدان ج ٣)

(٢) الغريان بناء ان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر سيدنا علي بن ابي طالب ﴿ رض ﴾ والقصر الابيض من قصور الحيرة .

ان يسد(١) الفرات واوصاه أن لا يشترك بمعركة جدية مع العرب وهذا يدل على ان حاكم الحيرة اراد ان تكون القوة التى امامه قوات ستر لقواته التى سيتقدم بها من الحيرة فيحافظ ابنه التماس بقوات المسلمين ويراقب حركاتهم .

فلما وصل ابن حاكم الحيرة الى فم فرات بادقلي ، فجر الانهار ، فسلك الماء غير طريقه وارسل مفرزة خيالة امامه لتكون ستاراً بينه وبين المسلمين .

تقدم خالد

اما خالد بن الوليد فانه لما انهى معركة أمغيشيا ، جمع السفن التي تركها الفرس، فحمل فيها الرجال والاثقال ، وسارت الخيالة بموازرة النهر .

ولم يبتعد خالد عن أمغيشيا الا قليلا ، حتى فوجيء بجنوح السفن على قاع النهر ، فقال الملاحون ان اهل فارس فجروا الانهار فسلك الماء غير طريقه ، فلا يانينا الا بسد الانهار .

سرعة القرار

وفي مثل هذا الموقف يجب ان يكون قرار القائد سريعاً وصحيحاً وكان لزاماً على خالد اما ان ينزل رجاله عن السفن وفي هذا اضاعة الوقت ، وهو ما يتطلبه حاكم الحيرة للدفاع عنها ، وقد يصلهم مدد آخر .

او ان يستفيد خالد من الخيالة وهي الصنف السريع الحركة في قواته فيباغت الفرس في فم فرات باد قلي ، ويسد الماء عن الاتجاهات الأخرى ، ويوجهه في المجرى الذى تسير فيه سفنه ، وفي هذه الحالة تكون قوته التي يتقدم بها ضعيفة وقد يلاقي قوات فائقة ،

---

(١) يقصد تغيير مجرى الماء .

ويحتاج الى سرعة كبيرة لكتمان حركته عن عدوه .

ويظهر ان خالد اعتمد على سرعة الحركة وعامل المباغتة ، فقرر تنفيذ المسلك الثاني فتعجل (١) في خيل نحو ابن الازاذبه التي كانت تحفظ السد .

فلما وصل الى فم العتيق (المقر (٢) باغت مفرزة خيالة كان إبن الازاذبة ، قد اخرجها امامه ، فقتلها خالد باجمعها ولم يترك احداً منهم يرجع بالخبر الى قواته وبعد انتهائه منه استمر في تقدمه من فوره نحو فم فرات بادقلي فباغت قوات بن الازاذبه التي كانت تحتمل السد فاقتتلوا بها وتمكن المسلمون من تشتيت هذه القوات وقتل فيها بن الازاذبه وسد الانهار فسلك الماء سبيله فتمكنت السفن من الاستمرار في المسير .

وبذلك تكون السرعة في الحركة والمباغتة هما العاملان اللذان مكنا خالد من الانتصار على هذه القوات وتشتيت شملها كما يظهر ان الفرس كانوا مطمئنين الى ان العرب بمسافه بعيدة عنهم . فامنوا وضعفت تدابير الحماية لديهم .

انهيار مقاومة الفرس

علم حاكم الحيرة بوصول خالد بن الوليد الى فم فرات باد قلي وعلم بمقتل ابنه وتدمير قواته في حين بلغه نبأموت اردشير فلم يبق له امل في الدفاع عن الحيرة لذا عبر الفرات الى الضفة اليسرى تاركا الحيرة حيث لا قبل له بمقابلة القوات المتقدمة نحو الحيرة وبهذا بقيت

---

(١) اسرع في التقدم بالخيالة . راجع الطبري ج ٤ ص ١٢ .

(٢) المقر (فم العتيق) موضع قرب فرات بادقلي من ناحية البر من جهة الحيرة (معجم البلدان ج ٨) .

الحيرة بلا قوات تدافع عنها ماعدا اهلها الذين كانوا في الحصون[١] فدخلوا وتحصنوا فيها وهكذا انهارت مقاومة حكومة فارس امام خالد .

احتلال الحيرة

وبعد ان انتهت خيالة المسلمين من سد الانهار ، وتوجيه الماء الى مجرى الفرات الذي فيه سفن المسلمين، تقدم خالد بخيالته التي وصل بها فم فرات باد قلي ، فنزل الخورنق منتظراً وصول باقي القطعات التي كانت على السفن .

وبعد وصولها تقدم خالد نحو الحيرة فوجد زعماءها قد ادخلوا الناس في الحصون ، وتحصنوا بها ورأى انهم مصممين على الدفاع عن المدينة ويذكر الطبرى ان خالداً امر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر اهله ويقاتلهم وفي هذا يكون خالد قد قسم الحيرة الى قواطع وعين مفارز أو كل الى مفرزة منها محاصرة قاطع من هذه القواطع ومقاتلة اهلها من حيث لم يكن لها سور تحتمى به .

فكان ضرار بن الازور : يحاصر القصر الابيض وفيه [٢] اياس بن قبيصة الطائي .

وضرار بن الخطاب : يحاصر قصر العدسيين [٣] وفيه عدى بن عدي المقتول .

---

(١) كانت الحصون عدة بنايات متقاربة وليست الحصون بناية واحدة .

(٢) من اشراف طى ومن فصحائها المشهورين . ولاه كسرى بعد المنذر كما كان قد ولاه الحيرة قبل ذلك بعد ممات المنذر وقبل حكم ابنه النعمان (ابي قابوس) وهو الذى قاتل العرب في يوم ذي قار .

(٣) قصر العدسيين بالكوفة في طرف الحيرة لبنى عمار بن عبد المسيح والعدسيون من كلب (البلاذرى ص ٢٤٥) .

ضرار بن مقرن المزني : يحاصر قصر بني مازن وفيه ابن اكال .

المثنى بن حارثة الشيباني : يحاصر قصر بن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح .

فدعوهم يوماً واجلوهم يوماً (١) وذلك على القاعده العربية في دعوة الناس فانهم يدعونهم للاسلام او الجزية او القتال فابي اهل الحيرة الا القتال .

وقال خالد الى امرائه (لا تمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر ولكن ناجزوهم ولا تردوا المسلمين عن قتال عدوهم (٢))

وكان اول من انشب القتال ضرار بن الازور وكان على قتال اهل القصر الابيض . لأنهم رفضوا الاسلام والجزية وأختاروا المنابذة . ونادى اهل القصر (عليكم الخزازيف (٣)) فلما سمع ضرار هذا النداء قال لرجاله (تنحوا لا ينالكم الرمي ، حتى ننظر في الذى هتفوا فيه) ويظهر انهم هجموا على الحصون لمقاتلة اهلها ، وهم متحصنون ، فلم يلبث ان امتلاء رأس القصر من رجال متعلقي المخالي (٤) يرمون المسلمين بالخزازيف فقال ضرار ارشقوهم ، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل ، فاعروا رؤوس الحيطان ، بثوا غارتهم فيمن يليهم ، وصبح امير كل قوم اصحابه بمثل ذلك فافتتحوا الديار والديارات وأكثروا من القتل ، فنادى القسيسون والرهبان يا اهل

---

(١) امهلوهم يوماً ليختاروا احدى الثلاث .

(٢) الطبري جـ٤ ص ١٢ .

(٣) الخزازيف هي المداحى من الخزف ،

(٤) المخالي جمع مخلات ، وهي ما يوضع فيه علف الدابة ، وهي (العليقة) .

القصور : ما يقتلنا غيركم ! فنادى اهل القصور : يا معشر العرب قبلنا واحـــدة من ثلاث ، فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً (١) .

وعلى هذه الصورة اضطر أهل الحيرة على النزول على شروط المسلمين الذين عرفوا كيف يقاتلون العدو المختص في الحصون .

فخرج رؤساء الحصون الى من يحاصروهم ، وجاؤوا بهم الى خالد ، فلما حضروا لديه (٢) قال خالد لهم :

الصلح

ويحكم ما انتم ؟ اعرب فما تنقمون من العرب ؟ ام عجم فما تنقمون من العدل والانصاف ؟ (٣)

فقال عدى : بل عرب عاربه وأخرى متعربة .

فقال خالد : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا امرنا ؟

فقال عدى لند لك على ما نقول : انه ليس لنا لسان الا بالعربية (٤) .

قال خالد : صدقت . اختاروا واحدة من ثلاث : ان تدخلوا في ديننا ، ولكم مالنا وعليكم ما علينا ، نهضتم وهاجرتم ، وأن اقمتم في دياركم ، أو الجزية أو المنابذة والمناجزة ، فقد والله اتيتكم بقوم هم على الموت احرص منكم على الحياة .

فقال عدى بل نعطيك الجزية .

---

(١) الطبري ج ٤ ص ١٢

(٢) وفي رواية انه كلم جماعة كل حصن على حده .

(٣) الطبرى ج٤ ص ١٣

(٤) وهذا دليل على ان الفرس لم يتمكنوا من التأثير على هذه المدينة العربية وانما بقيت محافظة على عروبتها بالرغم من سيطرتهم عليها .

فقال خالد : تبالكم . ويحكم ان الكفر فلاة مظلة . فاحمق العرب من سلكها .

فصالحوه على مائة الف وتسعين الفا ، وتتابعوا على ذلك (١) ، واهدوا له هدايا ، وبعث بالفتح والهدايا الى ابي بكر الصديق مع الهذيل الكاهلي ، فقبل ابو بكر الهدايا من الجزاء ، وكتب الى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، وخذ ما عليهم فقوى بها اصحابك .

وكانت الجزية التى اخذت من الحيرة أول جزية دفعت بالعراق هي والقريات التى صالح عليها بن صلوبا ، أما المعارك التي حدثت في العراق بعد ذلك ، فلم يك فيها صلح وكان ما يحصله الجيش ، هو غنائم يغنمها المسلمون .

كتاب الصلح

وكتب خالد كتاب الصلح لاهل الحيرة وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم (٢)

(هذا ما عاهد خالد بن الوليد عديا ، وعمرو بن عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، واياس بن قبيصة ، وحيرى بن اكان . وهم نقباء اهل الحيرة فامروهم به . عاهدهم على مائة وتسعين الف درهم ، نقبل في كل سنة جزاء عن ايديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسيسوهم الا من كان منهم على غير ذى يد . حبيسا في الدنيا . تاركا لهـا ، وعلى

---

(١) صلح الحيرة أول صلح في العراق ، وأول جزية يأخذها المسلمون ، ولذا ظن البعض ان خالداً تص الحيرة رأساً وهذا رأي مغلوط .

(٢) راجع الطبري جـ٤ ص ١٤ .

المتعة ، فان لم يمنعهم ، فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وأن غدروا بفعل او بقول ، فالذمة منهم بريئة . كتب في شهر ربيع الأول سنة اثنى عشر هجرية) .

فقال القعقاع في سلم اهل الحيرة :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة … وأخرى بأثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزا … وبالثنى قرني قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت … على الحيرة الروحاء احدى المصارف
حططناهم منها وقد كاد عرشهم … يميل به فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأو … غبوق المنايا حول تلك المحارف
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا … الى الريف من أرض العريب المقانف

اهمية الحيرة

لا بد لمن يدرس تاريخ حرب العراق وازيختلج في ذهنه لماذا كان هدف ابو بكر الصديق احتلال الحيرة ولم يكن هدفه غيرها ؟ وليس من المعقول ان يعطى الخليفة هذا الهدف ، فيقول لقائدة جيشيه ان من يسبق الى الحيرة فهو الامير جزافاً ، وإنما كان ذلك لاهمية الحيرة .

اهمية موقعها السوقى

فالحيرة تقع على بعد ثلاثة اميال جنوب الكوفة(١) وتبعد عن النجف مسيرة ساعة للفارس الى جنوب شرقية ، وتشاهد اليوم آثارها ودياراتها فى ناحية الحيرة (٢) في لواء الديوانية في العراق

---

(١) معجم البلدان - كوفة -

(٢) كانت تسمى سابقاً ناحية الجعارة وقد احسنت الحكومة باعادة اسمها على ان يعود مجدها .

الحديث . وأن الناظر على الخريطة يرى لأول وهله اهمية هـذا الموقع السوقي ، فالحيرة كانت في نقطة تتصل بها الطرق من جميع الاتجاهات ، فهي تتصل بالمدائن من الشرق عبر نهر الفرات ، وتتصل شمالا في هيت ، وتتصل في الانبار على جسر الانبار ، وتتصل بالشام من الغرب (١) وفى دومة الجندل ،وحايل ،والرياض في جزيرة العرب ، وفي الابله (البصرة) في العراق ، وفي كسكر في السواد ، وفى النعمانية على دجلة ، ومن هذا تتضح اهمية السيطرة على هذا الموقع السوقي المهم ، وحق لابي بكر الصديق ان يعتبرها هدفا لجيشين ، يتقدمان نحو العراق ، فهي قلب العراق ، واقرب منطقة مهمة الى المدائن .

كانت الحيرة مدينة كبيرة ، وكانت عاصمة دولة اللخميين ، وقد بلغت في مجدهـا وعظمتها ، انها كانت تضاهي القسطنطينية والمدائن (٢) وكانت ترد اليها منتجات البلاد المحيطة بهـا فهي بموقعها الجغرافى قاعدة للتموين ، ولها القابلية على اعاشة القطعات العربية التي تقصدها ، ولا سيما ان الفرس قد كانت لهم حاميات فارسية ، وكتائب (٣) عربية في الحيرة ، يعيشون من منتجاتها ومخزوناتها ، ولهذا كانت قاعدة تموين رئيسية كما هي اهم قاعدة سوقية قابليتها

(١) راجع المسالك والممالك - خردزابه
(٢) راجع حضارة العرب - غوستاف لوبون
(٣) الكتائب العربية الشهباء والدوسر

على ان احتلال الحيرة ذو صبغة معنوية للعرب ، فهم الذين يتغنون بها باشعارهم ، وفي المثل العربي (ان نوم ليلة في الحيرة خير من الدوا (١)) ولما احتل الفرس الحيرة ، وفقدت حريتها (ضرب بنيه دهقان الحيرة المثل) .

اما الشعراء وذووا الحاجات يتقربون الى ملوكها المناذرة ، فذاع صيتها .

ولا باس من ذكر وصف لها ليتبين اهميتها المعنوية للعرب :

فهي (الحيرة) في اللسان الذي ادلمه البر في الريف بالقرب من الملطاط (٢) حيث طاب الثرى ، ورق الهواء ، وغذب بالماء . نرى سهلا وشته الطبيعة بالريحان ، وزينته بشقائق النعمان ، واجادت عليه بخصب حدث به كل انسان . . . . . هناك مسرح الريم والغزلان ، ومهتف اليمام ، ومناح الحمام ، واديرة النساك والرهبان ، ومهبط الوحي والالهام في ذلك الوسط الرائع الجمال ، كانت المدينة البيضاء الحيرة الروحاء (٣) . قائمة كعروس في مطارف دلالها ، مستندة الى مشرفة النجف ، ترمق بالعين الواحدة البحر ، وبالعين الاخرى بادية الشام ، وتطرب لانغام الكافر (٤) وهي راكبة جانبه الشرقي والغربي ، ونهرها منفوق من الفرات الى النجف

---

(١) الفرات الاوسط - مرزلي

(٢) معجم البلدان قاعدة عدي بن زيد هيج الداء في فؤادك حور * ناعمات بجانب الملطاط

(٣) المدينة البيضاء والحيرة الروحاء من اسماء الحيرة - ياقوت

(٤) الاغاني ج ٢١

نفقة تبع بامر الحارث بن عمرو الكندي .

وهذا يبين درجة حب العرب للحيرة ، وكيف ان احتلالها وطرد الفرس منها ذو اثر كبير في معنويات القبائل العربية في نجد والحجاز ، وفي نفوس الجند المقاتل .

وبلغ من اهتمام العرب في الحيرة ، ان ذهب الواقدي في ان خالد بن الوليد تقدم نحو الحيرة اولا على طريق فيه الثعلبية (١) . كما ان فارس كانت تقدر هذه القيمة للحيرة ولذا كانت ترسل القوات باتجاهها دائماً لاستعادتها ، فالمسيطر على الحيرة ، يؤمن سيطرته على المنطقة الكائنة غرب الفرات باجمعها .

وهي عدا هذا مهمة للقوات العربية في قتالها في سورية كما سنرى .

فترة تنظيم وادارة ومعاهدات

تمكن خالد بن الوليد في خلال فترة وجيزة جداً تساوي شهرين ونصف شهر تقريباً من ابتداء الحركات في كاظمة ، ان يحتل الهدف الذي عينه الخليفة ابو بكر الصديق ، وسبق عياض بن غنم ، فكانت هذه الحرب التي قام بها على فارس ، هي حرب صاعقة لم تبلغها الجيوش من قبل خالد ، وعلى الرغم من تنوع الالات الحديثة وتطور السرعة في الجيوش الحالية ، فلم يبلغ جيش من جيوش القرن العشرين نسبة ما بلغه خالد بن الوليد يوم كان الفارس هو

---

(١) الفرات الاوسط - موسيل . المغازي - الواقدي

اسرع الصنوف في الحروب .

وبعد احتلال الحيرة بقي خالد فيها منتظراً اوامر الخليفة الجديدة، فيما يجب ان يعمله ، وخاصة ان الجيش الذي قاده عياض بن غنم للتقدم نحو شمال العراق ، قد توقف في دومة الجندل لان القبائل قد قطعت طريق تقدمه . (١)

ولم يبق خالد في الحيرة ساكناً وانما هو قام بما يلي من الاعمال :

العمل الاول : عمل عسكري لترصين موقع الحيرة .

العمل الثاني : عمل اداري وهو تنظيم شؤون البلاد التي تم فتحها، وعين لها من الجيش من يقوم بمراقبة تطبيق المعاهدات مع الاهلين والنظر في امورهم .

العمل الثالث : عمل سياسي وهو المخابرة مع رجال فارس الخاصة منهم والعامة ، وعقد المعاهدات مع من جاء اليه يعلن الطاعة .

ترصين موقع الحيرة

وهذا العمل الاول هو لترصين الموقع الذي يتطلب القاء الرعب في نفوس الفرس ، واستطلاع حركاتهم لاخذ الحيطة تجاه كل عمل قد يقومون به ، ويتطلب ترصين موقع الحيرة السيطرة على الطرق الرئيسية التي يحتمل ان تتقدم عليها قوات فارس نحوها ، ولهذا وضع

---

(١) كان هذا المحذور في خطة القيادة العامة في المدينة المنورة ، وقد تكون القيادة قد اعتمدت على قابلية الجيش ومقدرته على تطهير المنطقة ، والتنكيل بالمعادين في طريقه ، ولكن تنقص هذا الجيش - قيادة خالد بن الوليد مع احترامنا الى المجاهد عياض بن غنم الصحابي الكريم

خالد بعض الامراء الذين كانوا في جيشه بالثغور وكانت بالسيب ، فكان ضرار بن الازور ، الخطاب والمثنى بن حارثة ، وضرار بن مقرن ، والقعقاع بن عمرو ، وبسر بن ابي رهم ، وعتيبه بن النهاس على هذا الثغور فنزلوا السيب في عرض سلطانه . (١)

وقد امرهم خالد بن الوليد بالغارة والالحاح ، فمخروا ماوراء ذلك الى شاطي دجلة»(٢ وهكذا كانت هذه الهجمات الاستطلاعية التي تقوم بها مفارز خالد ، تفيد المسلمين في معرفة حال الفرس وقواتهم ، وتؤثر على معنوياتهم ، وخاصة على سواد الشعب الذي يسمى الجيش العربي المسلم ليستميله ، اكثر من رؤساء القوم المختلفين فيما بينهم حول الملك .

كما كانت هذه الحركات كحركات الازعاج التي تقوم بها قوات الجيوش الحديثه .

وفي احدى غارات المثنى ، تمكن من الوصول الى سوق بغداد ، فاغار مع رجاله على السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة ، فملأ المسلمون ايديهم من الصفراء والبيضاء ، وما خف حمله من المتاع ، ثم رجعوا الى السيلحين فالانبار (٢)، ورجوع المثنى الى هذا الاتجاه ، يدل على ان حاميته كانت في منطقة الانبار على مقربة من الحامية الفارسية التي في الانبار .

---

(١) الطبري ج ٤ ض ٩٧

(٢) فتوح البلدان البلاذري ص ٢٧٤

تعيين العمال اما العمل الثاني فكان تعيين خالد بن الوليد العمال الذين سيقومون بتطبيق المعاهدات - المعقودة بين الدهاقين وغيرهم وجمع الجزية والنظر في شؤون الاهلين ، ومنع الفرس من التحرش بهم ، وتعليم من يعلن اسلامه احكام الدين ، ولذا ارسل عبد الله بن وثيمة النصرى باعلى الفلاليج ، وجرير بن عبد الله على بانيقا وبسما يا وبشير بن الخصاصة على النهرين ، فنزل الكويفة ببانبورا ، وسويد بن مقرن المزني الى تستر ، فنزل العقر ، فهي تسمى عقر سويد واط بن اط الى روذ مستان ، فنزل على نهر سمين باسمه (نهر اط) .

وهكذا أمن خالد ادارة المناطق التي تم فتحها او التي تم الصلح مع اهلها

المفاوضات والكتب وكان العمل الثالث هو عقد المعاهدات مع من جاء بالصلح ، وارسال الكتب الى الخاصة والعامة ، فالمعاهدات ، فقد جاءه دهاقين الملطاطين ، واتاه زادين بهيش ، ودهقان فرات سريا ، وصلوبا بن نسطونا بصيبري ، واتفقوا على الفي الف جزية تدفع المسلمين فكتب لهم الكتاب .

بسم الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاد بن بهيش وصلوبا بن نسونا ان لكم الذمة وعليكم الجزية وانتم ضامنون حرب من نقبتم (١)

(١) انتدبتم عنه

عليه على الفي الف تقبل في كل سنة ، ثم كل ذي يد سوى ما على نيقياد بسما ، وانكم قد ارضيتموني والمسلمين، وانا ارضينا كم واهل البهقباذ الاسفل، ومن دخل معكم البهقباذ الاوسط ، على اموالكم ليس فيها ما كان لآ ل كسرى ، ومن مال ميلهم ، شهد هشام بن الوليد . القعقاع عمرو . جرير بن الله الحميري . بشير بن عبد الله الخصاصية . وحنضله بن الربيع . وكتب سنة ١٢ هجرية في صفر . (١)

ولم يكتف العمل السياسي بمفاوضات من جاوه اليه وعقد الصلح معهم وانما كتب كتبا اخرى ، وكان الفرس ما زالوا مختلفين فيما بينهم بعد موت اردشير حول تعيين الملك الذي سيخلفه على العرش. المراسلات مع الفرس

ومع ذلك فقيادة الجيوش الفارسية ، قدمت بهمن جاذويه الى بهر سير . (٢) ليكون بين العرب والمدائن ومعه الازاذ به (٣) في اشباه له .

فكتب خالد نوعين من احدها كتاب الى الخاصة ، وآخر الى العامة يدعوهم فيه الى الدخول في الاسلام .

فكان كتاب الخاصة :

---

(١) الطبري جـ ٤ ١٧

(٢) من طساسيج المدائن ، وقد تكون احدى قرى المدائن السبع على الضفة الغربية لدجلة مقابل طاق كسرى .

(٣) حاكم الحيرة الذي فر منها قبل وصول خالد بعد قتل ولده

بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد
الى ملوك فارس .

اما بعد . فالحمد الله الذي حل نظامكم ، ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ' ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم ' فادخلوا فى امرنا ندعكم وارضكم ' ونجوزكم الى غيركم ' والا كان ذلك وانتم كارهون . على غلب ' على ايدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

اما كتاب الخاصة فكان :

بسم الله الرحمن الرحيم .
من خالد بن الوليد

الى مرازبة فارس اما بعد ، فاسلموا تسلموا ' والا فاعتقدوا من الذمة وادوا الجزية ' والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمرة .

جمع الخراج وقد تمكن خالد من جمع الخراج من المناطق التي دخلت بسيطرة المسلمين ' وفى رواية سيف ان الخراج جبي لخالد فى خمسين ليلة .

وهكذا اثبت خالد بن الوليد القائد الفذ فى قيادة القوات ، انه اداري حازم وقدير ' ولم تعترض الخلافة على تدابير خالد التي اتخذها في عمله في العراق ' وهكذا كان خالد قد جمع السياسة والقيادة فى شخصه ' والسياسة والقيادة يجب ان تتوحد خططها لتؤدي الغاية والا ان اختلفتا ، فلا يسهل على القيادة العسكرية النجاح .

الفَصل الخَامِسْ

انقاذ عياض فتح الانبار. فتح عين التمر . قسوة خالد مع العرب .
الموقف الحربي في العراق . بعد مسير خالد . الحصيد .
الخنافس . المضيخ . الثنى والزميل . معركة
الفراض . حج خالد . نتائج فتوح
خالد في العـــــراق



انقاذ عياض

موقف عياض

كان عياض بن غنم قد خرج من المدينة متجهاً الى دومه الجندل (الجوف) يستبرئها ، ثم يتقدم نحو المصيخ باتجاه هيث لفتح المنطقة ثم يتجه جنوباً باتجاه الحيرة ، ثم يقف احد الجيشين فيها ، ويتقدم الآخر نحو المدائن .

غير انه عندما وصل الى الجوف وقفت القبائل امامه ، ومنعته من التقدم ، فكان لزاماً على الخلافة ان تتخذ التدابير لتسهيل تقدم عياض ، ولم يكن لديها قوات متيسرة لانفاذها لنجدته ، غير ان خالد بن الوليد قد وصل هدفه واحتل الحيرة ، وأن اهل فارس ما زالوا مختلفين فيما بينهم حول تعين الملك ، ولم يجدوا من يولوه

الامر من ذوي القرابه لكسرى (من العائلة المالكة (١)) وموقف فارس هذا ؛ وان خالداً انهى عمله واحتل الحيرة . وعدم تيسر قوات أخرى لدى مقر الخلافة ، جعل الخليفة الاول يأمر خالداً بن الوليد بالمسير الى دومة الجندل لانقاذ جيش عياض بن غنم من ورطته .

الموقف عند وصول الامر

عندوصول امر الخليفة ابى بكر الى خالد بن الوليد بالمسير لانقاذ عياض في دومة كانت القوات الفارسية والعربية كما يلي .

كان للفرس جيش بقيادة بهمن جاذوية في بهرسير وهي مقدمة القوات من المدائن ولهم حامية في الانبار (٢) وأخرى بعين التمر وثالثة بالفراض وهذه الحاميات تهدد قوات المسلمين .

موقف قوات العرب

اما قوات المسلمين فكان القسم الاكبر من الجيش في معسكر الحيرة اما باقي القوات فهي حاميات تركها خالد في المذار والابلة والحفير وحاميات الثغور التي كانت تحافظ التماس مع الفرس باتجاه الشرق وتغير في السواد (٣)

وتقدم خالد بن الوليد باتجاه الانبار باتجاه عين التمر وفتحها ايضاً وقد اقام خالد بكربلاء اياما فشكي اليه عبدالله بن وثيمة من

---

(١) انشيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه الى كسرى بن قباذ ليخلوا له الملك ولا يزحمه احد الا انه بعد موته وموت ابنه اردشير حدثت حركة انتقامية من اهل فارس فقتلوا كل من كسرى بن قباذ وبهرام جور ولذا بقوا مختلفين فيما بينهم حول تعيين الملك .

(٢) الانبار . قرب موقع الصقلاوية الحالي على ضفة الفرات الشرقية اليسرى وكانت تتصل بالضفة الغربية - اليمنى - للنهر على جسر ويذكر موزلي في كتابه الفرات الاوسط ان بقربها مسجداً يسمى مسجد علي .

(٣) راجع ترسين موقع الحيرة نفس الكتاب .

الذباب فقال له خالد (اصبر فاني انما اريد ان استفرغ المسالح التي امر بها عياض . فنسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين ان يؤتوا من خلفهم ، وتجيئنا العرب آمنة غير متعتعة ، وبذلك امرنا الخليفة ورأيه يعدل بنجدة الامة (١)

ولهذا نجد ان خالد بن الوليد قد امن منطقة الحيرة وطرق مواصلاته معها عندما تقدم نحو عياض فتكون الحاميات العربية في مامن من حركات الفرس على جناحها الايسر . كما انه بهذا العمل الذى طهر به منطقة القوات القريبة من الحيرة وتشتيت شمل الحاميات الفارسية ابعد الخطر عن الحيرة من حيث اصبحت قوات بهمن جاذويه في بهرسير وهي اقرب مناطق التحشد للجيش الفارسي ومما يخفف من خطرها هو الاختلاف في المدائن وأن نهر الفرات بين هذه القوات وبين الحيرة .

وهذا العمل يدل على ان خالد بن الوليد كان يعرف خطة القيادة العربية العامة ويدل على صحة تقدير موقفه بصورة دقيقة .

رأى خالد في انفاذ عياض

جاء في الطبري ان خالداً اقام في الحيرة في الفترة بين فتحها ومسيره الى الشام اكثر من سنة يصعد ويصوب القطعات وانه قال للمسلمين (لولا ماعهد الى الخليفة . لم اتنفذ عياضاً وكان قد شجى واشجى بدومة ما كان دون فتح فارس شيء انها لسنة كانها سنة نساء) .

وكان قدعهد الخليفة اليهما ان يأتي خالد العراق من اسفله وعياض

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٩ وقال رجل من اشجع فيما شكى بن وثيمة .

لقد حبست في كربلاء مطيتي وفي العين قد عاد غثا سمينها

اذا رحلت من مبرك رجعت له لعمر ابيها انني لاهينها

من فوقه وأيهما سبق الى الحيرة فهو امير عليها .

وأمرهما ان اجتمعتما بالحيرة ان شاء الله ، ففضتما مصالح ما بين العرب وفارس ، وأمنتم ان يؤتي المسلمون من خلفهم ، فليقم بالحيرة احد كما وليقتحم الآخر ، وجالدوهم عما في ايديهم ، واستعينوا بالله . . . الخ . (١)

وقد استهدف الخليفة بخطته هذه ، الا يعزل جيش من جيوش المسلمين في العراق ، فيسبب مشاكل كثيرة للدولة الاسلاميه ، وهي في بدء نهوضها .

كما ان التقدم بفارس من دون اتخاذ تدابير الحماية ، وتأمين خط المواصلات الطويل ، وتشكيل قاعدة ثابتة للحركات ، يستند اليها الجيش في اعماله ، مما يجعل الجيش الذي يقتحم فارس الى المدائن منعزلا ، ويسهل القضاء عليه .

غير ان خالداً وقد سبر غور فارس قال ما كان دون فتح فارس شيء ، وله ان يقول ذلك وقد ذكرنا ان الموقف الداخلي في فارس لم يكن على ما يرام . فالاختلاف حول الملك ، وتنازع النبلاء (الدهاقين) وعدم تيسر القوات الكافية لفارس لقتال المسلمين ، كل ذلك مكن الجيش الاسلامي من ضرب القوات الفارسية منفردة وعدم اعطاء مجال لفارس ، لتجهيز جيش كبير لقتال العرب .

وقد رأينا حتى الآن كيف ان خالداً اعتمد على سرعة الحركة بالنقل من محل لآخر مما ساعده على ان تكون المبادأة بيده وضرب

---

(١) الطبري جـ ٤ ص ١٩٠ .

هذه القوات منفردة .

ويثبت رأي خالد ان فارس لما توحد أمرها ونصب الملك وذهب هو الى الشام لنجدة الجيوش العربية فيها في قتال الروم قد اتخذ العرب وضعاً دفاعيا في فارس .

وبينما كانت حامياتهم (حاميات العرب) تغير على المدائن وبغداد اصبحت وراء نهر الفرات (غرب الفرات) مما سبب فرصة للفرس الذين استغلوها وجهزوا حملة كبيرة بقيادة رستم يخوضوا والعرب معركة شديدة في القادسية ولو لم يذهب خالد الى الشام او انه استمر بتقدمه لكانت نتيجة اخرى .

غير ان القوة التي لدى خالد كانت (١٨٠٠٠) مقاتل وهذه القوة ترك منها حاميات في الابلة والمذار ، والحفير ، فهل كان بامكانها الثبات في المدائن اذا تمكن من فتحها ؟

وبالطبع ان تقدم خالد ، وأمكان ضربه القطعات الفارسية المتهيئة في نهر سير سهلا ، ولكن الثبات في المنقطة من دون وجود قوات أخرى فيه صعوبة كبيرة لهذه القوة وحدها لذا كان رأى الخليفة أبي بكر هو عدم التقدم ، مالم يصل الجيشان الى الحيرة رأياً مصيباً .

فلو تمكن جيش عياض من التقدم باتجاه الحيرة ، ووصلها في وقت مناسب ، لما كان دون فتح فارس شيء ، ولذا سار خالد لانقاذ عياض المحاصر في دومة الجندل (الجوف) .

موقف عياض عند مسير خالد اليه

كان على عياض بن غنم ان يتقدم من شمال العراق،فلما وصل دومة كان اكيدر والقبائل من بني كلب ، وبهراء ، وغسان قد اجتمعوا في دومة ، ليقاتلوا عياضاً ويثأروا من المسلمين ، وقد تكاثر عددهم وكان لزاماً على المسلمين ان يطهروا دومة من كل قوات معادية لهم لأنها في وسط الصحراء ، وأنها على راس وادي السرحان المؤدي الى الشام وتتصل بنجد عن طريق حايل الى الرياض ، وتتصل بالحجاز عن طريق تبوك ، فالعلا (الحجر) الى المدينة وتتصل بالعراق عن طريق حايل - ثعلبية الحيرة . او عن طريق سكاكه وادى عرعر - الحيرة .

وتتصل بالشام عن طريق وادي السرحان الى بصرى .

فهي في موقع جغرافي مهم جداً للعرب . سواء في حركاتهم في العراق او الشام ومن يسيطر عليها يتمكن من السيطرة على جميع بادية السماوة (بادية الشام) .

الوليد بن عقبة

وقد ارسل الخليفة ابو بكر الصديق الوليد بن عقبة مددا الى عياض ، ليعاونه في مقاتلة القبائل . غير ان عددها قد كثر بالقبائل التي نفرت من العراق الى دومة ، فلم ير عياض ومعاونه (الوليد بن عقبة) بدأ من الاستنجاد بخالد ولهذا قال الوليد لعياض (الرأى في بعض الحالات خير من جند كثيف . ابعث الى خالد فاستمده)فلم يتوان عياض فكتب الى خالد يستحثه لمساعدته .

فتح الانبار

لم يبق من الحاميات الفارسية القريبة الى الحيرة سوى حامية الانبار الفارسية وعين التمر (كما ذكرنا) فسار خالد الى الانبار .

فلما وصل خالد الى المدينة تحصن اهلها فيها ، وكان يحيطها سور حوله خندق ، فحاصرها المسلمون وطاف خالد بالخندق فقال لرماته (انى أرى اقواماً لا علم لهم بالحرب . فارمو عيونهم ولا توخوا غيرها) فباشر الرماة برشق النبل فكثر في اهل الانبار الاصابات في عيونهم ولذلك سميت معركة (ذات العيون (١))

فراسل حاكم الانبار الفارسى واسمه (شيرزاد) خالداً وطلب منه الصلح على شروط قدمها فلم يرض خالد الاعلى حكمه هو .

جسراً من الابل

ثم امر خالد بذبح الابل الضعاف وأمر برميها فى محل ضيق في الخندق فاصبح من اجسامها جسراً عبر عليه المسلمون الى المدينة ، وهكذا كانت الابل تحملهم في اسفارهم وتسقيهم من البانها وتكسيهم من اوبارها . وتكون جسراً لهم في اجسامها .

فتقدم المسلمون وقاتلوا اهالي الانبار في الخندق ، واضطروهم على اللجوء الى حصنهم ، فراسل شير زاد خالداً على الصلح فصالحه خالد على ان يخليه ويلحقه بما منه في جريدة خليل ، ثم كاتب اهل كلواذى (٢) وصالحها .

وهكذا امن خالد الجناح الايسر لقواته التى كانت امام قوات فارس ، وأصبحت المنطقة حتى دجلة مجالا لعمل الخيل العربية المسلمه ، فسيطروا على طريق الانبار - هيت ، وعلى الجسر الموصل بين ضفتي الفرات الشرقية والغربية في الانبار .

---

(١) في رواية انهم فقدوا الف عين الطبري ج ٤ ص ٢٠

(٢) كلواذي احدى طساسيج بغداد مقرها جنوب بغداد بين الكراد ومعسكر الرشيد في منطقة المسبح الحديث في بغداد .

ولما استتب الأمر لخالد في الانبار ترك فيها حامية بامرة الزبرقان بن بدر ثم توجه نحو عين التمر (١) وهناك طريقان اليها :

فالطريق الاول من الانبار الى عين التمر رأسا وهذا الطريق قصير غير ان ماءه قليل .

اما الطريق الثاني فهو طويل ويمر بكربلاء غير أن ماءه كثير .

ونعتقد أن خالداً عقب الطريق الاول رغم قلة الماء الى عين التمر .

وكان على حاميتها الفارسية (مهران بن بهرام جوبين) في جمع عظيم من الفرس . مع عقه بن ابي عقه في جمع عظيم من العرب من القبائل النمر وتغلب واياد ، وقد اجتمع عليهم قسم من القبائل التي قاتلها خالد في العراق ، فلما قدم خالد الى عين التمر وسمعوا به قال عقه لمهران (العرب اعلم بقتال العرب . فدعنا وخالداً) .

فقال مهران صدقت لعمري (لانتم اعلم بقتال العرب . وانكم مثلنا في قتال العجم) .

فخدعه مهران واتقى به خالدا وقال دونكم وان احتجتم اعنا كم) (٢)

غير ان مهران اخطأ بهذا التدبير لانه قسم قوته الى قسمين ،

---

(١) بين شثاثة والرحالية ، وتشاهد آثارها حتى الآن ، وتسمى بنفس الاسم - عين التمر -

(٢) لام الفرس مهران على تقديمه عقه لقتال خالد لوحدة فقال لهم مهران دعوني فني لم ارد الا ما هو خير لكم وشر لهم ان قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيه بهم فان كانت لهم على خالد فهي لكم وان كانت الاخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن اقوياء وهم مضعفون .

وقدمها ضعيفة الى خالد ، وكان عليه ان يلقى جيش خالد بجيش كبير قوى وهو خير له ، ومما زادفي خطأه انه لزم العين بحاميته الفارسية ولم يتهيا للقتال ، فكان بينه وبين عقه روحه أو غدوه ، وهي مسافة تقارب مرحلة يوم للقوات .

فنزل عقه وعبأقواته ، فكان هو في القلب ، وعلى الميمنة بجير بن فلان ، وعلى ميسرته الهذيل بن عمران ، وكان موضعه على طريق الكرخ

المعركة

فتقدم خالدوهو في تعبية ، ثم عين جنوده وقال لمجنبتيه (اكفونا ماعنده فاني حامل عليه ووكل بنفسه حوامي (١))

وبينما كان عقه يسوي صفوفه للقتال ، حمل خالد واحتضنه ، واخذه اسيرا ، فانهزم صفه من غير قتال ، فركبهم المسلمون ، واكثروا فيهم القتل وبهذا تمكن خالد من تدمير جيش عدوه ، باختطافه (قائده عقه) وهذه الحادثة الفريدة في القتال . ترينا مقدرة خالد التي جعلته ان يكون القائد الخالد ، لم يجسر احد من القادة غيره على مثل هذا العمل ، ويقدم على اختطاف القائد من بين جنده ، وتذكرنا بما نقراه عن ابطال العالم في الازمان القديمة .

وقد سعت الجيوش المتحاربة في القرن العشرين الى هذا النوع من الحرب وخاصة في الحرب العالمية الاخيرة حيث حاول الانكليز اختطاف رومل وكما اختطف الالمان موسوليني ، غير ان هـــذا الاختطاف لم يكن كالعمل الذي قام به خالد من حيث ان اختطاف خالد لهذا القائد(عقه)من بين جنده ، وهو يسوي الصفوف لم يقم به غير

---

(١) الطبري جـ٤ ص ٢١

خالد ، مما يدل على عزيمة لاتبارى ومقدرة غير محدودة واعتماد على النفس لم ينافسه فيه قائد قبله وبعده

وبهذا وحده انهى خالد بن الوليد المعركة فلم يكلف جيشه القتال مع عدوه فكان خالد بن الوليد لوحده جيشاً يباري جيشاً .

وحق لام خالد ان تقول انه كان يساوي الف الف من الرجال عند وفاته .

المطاردة

ثم طارد الجيش الاسلامي المنهزمين وعقبهم حتى الحصن فدخله اعداؤهم وتحصنوا فيه . اما الحامية الفارسية لما سمعت بما حدث لعقه تركت عين التمر وانهزمت فوصل خالد وحاصر الحصن فسأل الامان من خالد فابى الا ان ينزلوا على حكمه فاذعنوا له وسلموا بلا قيد او شرط .

فقتل خالد عقه وعمر بن الصعق واهل الحصن فكان خير جزاء لهؤلاء العرب الذين قاتلوا العرب دفاعا عن الفرس .

ثم ارسل خالد الاخماس من الغنائم مع السبي الى المدينة المنورة بيد الوليد بن عقبه الذي ارسله الخليفة ابو بكر الصديق مدداً الى عياض بن غنم فاشار على عياض ان يستنجد خالداً فلما وصله رسول عياض كتب خالد الرسالة التالية الى عياض .

من خالد

الى عياض

اياك اريد . البث قليلا . تأتك الحلائب . يحملن آسادا عليها القشائب . كتائب تتبعها كتائب .

فكانت هذه الرسالة من اخصر الرسائل العسكرية ، واغناها

مادة تخلدت هذه الرسالة ، خلود خالدها .

فتح دومة

تقدم خالد بجيشه بعد ان ترك في عين التمر حامية بامرة عويم بن الكاهل الاسلمي وخرج في تعبيته التي دخل فيها عين التمر ودومه تقارب ٣٠٠ ميل ، قطعها خالد في مسيرة عشرة ايام معقباً وادي الابيض ووادي عرعر فلما بلغ القبائل خبر مسير خالد اليهم ، اختلفت فيما بينها ، فقال (اكيدر بن عبد الملك) الى (الجودى بن ربيعة) وهما رئيسا القبائل المعادية التي تقاتل عياض .

(انا اعلم الناس بخالد ، لا احد ايمن طائراً منهم ، ولا احد في حرب ولا يرى وجه خالد قوم ابداً ، قلوا او كثروا الا انهزموا عنه ، فاطيعوني وصالحوا القوم) فلم يطيعوه . (١)

وكان اكيدر يعرف خالداً جيداً منذ وقعة دومة عند ما ارسله الرسول (صلعم) فعرف مقدرته وشدته فنصح لاصحابه ان لا يقاتلوه غير ان هؤلاء لم يكتفوا من الليث بريحه حتى يذوقوه فتركهم اكيدر منصرفاً عن دومه. الا ان الله كتب له الا ان تكون منيته على يد خالد ، فارسل خالد من القي القبض عليه وجيء به اليه فضرب عنقه .

فلما وصل خالد الى دومة ، جعل القبائل بينه وبين عياض، فخرج الجودي ومعه وديعة لقتال خالد وخرج ابن الحدرجان وابن الايهم لقتال عياض فلم يتمكنوا من الثبات في المعركة طويلا ، فهزمهم المسلمون ، فرجع الفارون الى الحصن يطاردونهم ولم يكن الحصن كبيراً ، فلم يسعهم جميعاً ، فبقى قسم منهم خارج الحصن .

---

(١) الطبرى جـ٤ ص٤٣

وكان اللذين بقوا خارج الحصن قسم كبير من كلب فقال عاصم بن عمرو :

بنو تميم وبنو كلب

(يابني تميم حلفاء كم كلب امروهم واجيروهم ، فانكم لاتقدرون لهم على مثلها) فاسر بنوا تميم كلبا واجاروها .

فاقبل الجيش الاسلامي على الذين خارج الحصن ، فقتلهم وسد بهم باب الحصن ، الا اسارى كلب فانهم نجوا من القتل ، لان عاصم قد امنهم ، فقال خالد لبني تميم (مالي ولكم . اتحفظون امر الجاهلية وتضيعون امر الاسلام ؟) .

فقال عاصم (لاتحسدهم العافية ، ولا يحوزهم الشيطان (١)) فكان رداً لطيفاً من عاصم لخالد .

ثم طاف خالد بالحصن ، فامر فقلع بابه واقتحم المسلمون، فقتلوا المقاتلة وسبوا الشيوخ .

وبعدها استقر خالد بجيشه مدة من الوقت ، ليريح جيشه من معاركه التي دخلها مستمراً ، ويعيد تنظيمه ، ويريحه من المفاوز التى قطعها في حروبه .

حادث تميم

وحادث تميم في معركة دومة يدلنا على تمسك القبائل بروابط الجوار والحلف ، فمع ان بنى تميم قوم اعلنوا اسلامهم ، وارتبطوا بالمدينة بروابط الاسلام ، نراهم ياسرون كلبا ويجيرونها من سيف خالد ، فينجون من القتل بسبب الحلف الذي كان بينهم فى الجاهلية تاركين ما يأمر به الخليفة وراء ظهورهم ، ولم يكن خالد يتبع هذه الخطة ، وأنما كانت خطته تطابق رأي الخليفة ابي بكر الصديق في

---

(١) الطبري ج٤ ص ٢٢

ضرورة قطع دابر الفتنة ، تلك الفكرة التي كانت اخف منها لدى عمر بن الخطاب ، فسبب أختلافاً في الرأي في هذا العمل ، ولكن هذه الشدة في القتال هي التي قضت على رؤوس الفتنة ، ووحدت الجزيرة ولأن كان في سيف خالد رهق فانه هو الذي مهد للعرب ان يزيلوا الامبراطوريات ، وان نحن آمنا بضرورة عدم القسوة مع ابناء اوطن عندما يخلون بالأمن غير ان الانسان قد يضطر الى تجريد السيف لتأديبهم لا لافنائهم فان حادث بني تميم مع كلب دليل على صحة نظرية خالد ، لكي تندمج القبائل الى حضيرة الاسلام اندماجاً كلياً معنى ومبنى .

قسوة خالد مع العرب

نرى من المعارك التي مرت في العراق والجزيرة ، ان خالداً كان يقسوا مع العرب اكثر من قسوته مع الفرس ، وقد يقول البعض انه من الممكن ان يكون عمله اقل شدة واكثر ليناً .

غير ان رجوع الاكيدر وجماعته في دومة الجندل ووقوفهم امام عياض ، يثبت ان هنالك نفوساً لا تميل الى الطاعة والنظام ، وانها مكلومة مالت الى الانتقام فثارت على جيوش المسلمين بالرغم من علمهم ان الامة كانت بحرب مع الفرس ، ومقبلة على حرب مع الروم لتطهير الهلال الخصيب .

والواجب على الامة ان دخلت الحرب ضد عدو خارجي ، أن تكون حالتها مطمئنة ، والشعب يؤيد الجيش ، ويحفظ خطوط مواصلاته ، ويحميه من كل طعنة خلفية ، وأن كل حركة يقوم بها مارق ، تؤثر في النصر ويجب عدم الرحمة به .

وحركة الاكيدر هذا وجماعته الذين وقفوا بوجه عياض اخرت

فتح العراق ، وجعلت جيش خالد يترك واجبه الرئيسي في الفتح، ويرجع الى دومة لانقاذ جيش محاصر مع ان عدوه امامه قد بلغ به الضعف حداً يؤمن به النصر سريعاً ، والفرصة مواتية ، ولكن القوات مشغولة بالامن الداخلي .

فلو وصل عياض الى الحيرة في الوقت المناسب لبقي احد الجيشين فيها وبذلك يقتحم الآخر ، فتكون الحيرة قاعدة ثابتة للجيش لادامة زخم التقدم في فارس ، ولاسرع العرب في احتلال المدائن في أول ايام الفتح ، وتجنبت الامة معارك القادسية ، وبذلك تكون معركة القادسية هي نتيجة لتأخير جيش عياض .

نعم قد يكون لسفر خالد الى الشام تأثير في هذه المعركة ، ولكن لو وصل جيش عياض، لرأينا ان هذه المعركة ان حدثت ، لكانت باسم آخر ، ونقصد ان تكون في غير هذا الموقع ، وبتجنب العرب الخسائر التي خسروها في المعارك التي سبقت القادسية بعد مسير خالد الى الشام

هذا هو سر قسوة خالد مع هؤلاء العرب اعداء الوطن الذين يعيشون داخل البلاد فيكونون خطراً على الجيوش العربية المقاتلة اشد من خطر العدو نفسه ، والامة عليها ان تقضي على العدو الداخلي قبل اقدامها على الحرب خارج حدودها .

وبهذا يكون الارهاق الموجود في سيف خالد دواء ناجعاً في هؤلاء المارقين الذين يستغلون الفرصة للمروق على الطاعة ، امثال طليحة ، ومالك بن نويرة ، ومسيلمة الكذاب ، والاكيدر فان هؤلاء قد اثبتوا بحركاتهم العصيانية التي قاموا بها أنهم كانوا لا يرومون غير مصالحهم ، ومن ينظر مصلحته فقط ويترك مصلحة

الامة ، فماله من دواء الا ازهاق روحه ، فلا يعرقل اعمال الجيش في الحرب ، وهذه الحرب العالمية الأخيرة تظهر بجلاء ، كيف ان الامم المتحاربة كانت تسوق المدنيين الى الموت بالآلاف ، بحجة انهم يعرقلون مساعي الجيش ، عدا انهم استخدموا حرب الاباده في معاركهم مع الجند ، ومع ذلك فان قسوة خالد لم تشمل المدنيين ولم يستخدمها الا مع اناس كان في قتلهم صلاح الامة ، وهم رؤساء الفتنة .

الموقف الحربي في العراق بعد مسير خالد

عندما شعرت القبائل الموالية للفرس بحركة خالد الى دومة الجندل كانت الفرس حول توحيد جهودها لطرد الحاميات العربية من العراق.

فخرج رزمهر، وروز به من بغداد يريدان الانبار ، واتمدا حصيداً والخنافس ، ويظهر ان خطتهم كانت استعادة الانبار اولا، ثم الاجتماع بالحصيد والخنافس .

فكتب آمر حامية الانبار بذلك الى القعقاع بن عمروا قائد حامية الحيرة ، وقد خلفه خالد قبل مسيره الى دومة .

القعقاع يتخذ التدابير

فما وردت رسالة الزبرقان ، الا وإتخذ القعقاع التدابير اللازمة لايقاف قوات (رزمهر) و(روزبة) فبعث عبد بن فدكى السعدى وامره بالحصيد ، وهو الاتجاه الشمالي الذي يحتمل تقدم القبائل منه الى الحيرة (وخاصة قبيلة تغلب) وبعث عروة بن الجعد البارقي ، وأمره بالخنافس .

وقد اعطاهم الأمر (ان رأيتما مقدما فاقدما (١)) فخرجا فحالا بينها وبين الريف الذي كان الفرس يقصدونه .

اما القائد الفارسي رزمهر ، فيظهر انه قدر موقفه ، فرأى انه لا بد ان ينتظر ، حتى يتم تحشد القبائل من ربيعة ، ثم يزحف نحو الانبار والحيرة

فلما وصل الخبر الى خالد في دومة ، وكان في فترة الاستراحة ، اسرع بالتقدم نحو العراق ، وعلى مقدمته الاقرع بن حابس ، ومعه عياض بن غنم ، فلما وصل العراق وجد ان القعقاع قد اتخذ التدابير لمعالجة الموقف .

وما أن ذاع خبر وصول خالد بن الوليد الى عين التمر إلا وأسقط في ايدي الفرس وحلفاءهم ، فهم قد ظنوا ان الموقف ساعدهم على استرجاع البلاد التي حررها خالد ، ولكن هذا الأمل قد ضاع ضياع القمر في ليلة المحاق ، فهذا اسد العرب قد جاءهم ، وقد انضم الى قواته وقوات عياض بن غنم ، وازدادت السيوف التي تقاتلهم .

خطة خالد

كانت خطة خالد هي ارسال المفارز لتطهير المناطق من العدو ، ويبقى الجيش في عين التمر ، ولما وصل كتاب امرؤ القيس الكلبي بنزول الهذيل بن عمران في عسكر بالمصيخ ، وربيعة بن بجير بالثنى اقسم خالد (ليبغتن تغلب في دارها (٢)) ويظهر ان الهذيل كان قد تكاتب مع الفرس للثأر من المسلمين بعد حركة خالد الى دومة ، ولكن تجمعه قد تأخر .

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٣
(٢) الطبري ج٤ ص ٢٥

ابدل خالد القعقاع بن عمرو بعياض ، ليبقى في الحيرة ، وارسل معركة الحصيد
القعقاع بن عمرو نحو الحصيد على الضفة الغربية من الفرات ، فلما رأى (روزبه) ان القعقاع يطلبه ، استنجد برفيقه رزمهر الذي حضر المعركة بنفسه ، فاشتبك الجيشان ، فما لبث الفرس ان انهزموا ، وقتل قائدهم .

الخنافس
وعندما تحرك رزمهر لانجاد رفيقه في الحصيد ترك المهبوذان في جنده في الخنافس على امل الرجعة اليه ، غير ان المفارز العربية سارت بوقت واحد للقضاء على هذه المفارز ، فلما شاهدت حامية الفرس تقدم القوات اليها ، انهزمت الى المصيخ حيث يعسكر الهذيل بن عمران ، فاستلم ابو ليلى الخنافس من دون قتال .

ومما ساعد المسلمين على القضاء على هذه المفارز الفارسية ، هو سرعة العمل الذي اتصف به جيش خالد . فهاجمها .

ولم يتيسر الوقت للقبائل حتى تجتمع ، لان تنقلها يكون بطيئاً بسبب نقلها الظعن والمواشي معها ، ولهذا يتطلب لها وقتاً كبيراً للتجمع .

ويظهر ان الحاميات الفارسية وحلفائها ، قد اخطأت الحساب ، وظنت ان خالدا بعيداً عن انجاد القوات العربية ، فتقدمت الى الحصيد والخنافس من دون ان تنتظر اجتماع القبائل ، غير ان خالدا جاءها بسرعة لم يتصورها ، فاذاقهم العذاب .

مضيخ بن البرشاء
بعد ان انتهت المفارز التي ارسلها خالد لتطهير الحصيد والخنافس من عملها ، كتب خالد اليهم ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها الى

المصيخ (١) ويظهر ان كل رتل عقب طريقاً خاصاً به ، فسار خالد الوليد من عين التمر الى الجناب في منطقة عشيرة كلب ، وتقع على بعد ٢٧ كم شمال وشمال غرب عين التمر ، وتسمى (عين عصيبة) ومن الجناب الى البردان ، وفيه مورد مياه واسع على نفس اتجاه الجناب بمسافة ١٠ كم عنه ، ثم الى الحنى ، وهو على مسافة ٦٠ كم عن البردان الى المصيخ .

وفي هذا المسير ركبوا الابل ، وجنبوا الخيل ، وهذا اسلوب عربي في التنقل الى مسافات بعيدة ، فعندما يقطعون مسافة يركبون الابل ويجنبوا الخيل ، وعندما يقتربون من الساحة ، يركبون الخيل .

ومن الحنى اغار خالد على المصيخ من ثلاث تجاهات ، وفيه الهذيل فلم يفت منهم الا الهذيل مع نفر قليل .

عمر يحاسب خالداً

ويذكر ان رجلين من المسلمين كانا ينزلان مع هذه القبائل في المصيخ ، قتلا اثناء الغارة ، فوصل خبرهما الى ابي بكر الصديق فوداهما ، فاعتد بها عمر على خالد ، وذكر ذلك لابي بكر الصديق ، يضيفها الى قتل مالك بن نويرة ، فقال له ابو بكر (كذلك يلقى من ساكن اهل الحرب في ديارهم (٢)) فمن الذي يميزها ان كانا معروفين بين هذا الجمع ، واذا لم يكونا معروفين فمن الصعب تمييزهما ، واعتقد ان عمر بن الخطاب ، يعرف ماينال من يساكن أهل الحرب

---

(١) بين حوران والقلت معجم البلدان وحوران تقع على ١٦٠ كم شمال غرب عين التمر والقلت يقع على ٧٥ كم جنوب شرق عقله حوران يسمى بئراً ابو قتله والمصيخ يكون في محل ما بينهما (الفرات الاوسط - موسيل).

(٢) الطبري ج ٤ ص ٢٥

في ديارهم ، غير انه وهو ممن يؤخذ عنه الفقه ، وانه يؤمن بان الله ناصر دينه ومنجز وعده ، لا يرضى بشدة خالد ، ولذلك اخذ يعترض لدى الخليفة ، ويحسب ذلك خطأ على خالد .

كان ربيعة بن بجير التغلبي قد ترك الثني والبشر متهيئاً لقتال المسلمين واعد روزبه وزرمهر والهذيل فلما اصاب خالد من اهل المصيخ وملأ البر من اشلاء القتلى قدم امامه القعقاع وابا ليلى وتواعد وإياهم ليلة للغارة على ثلاثة اوجه كما فعل بالمصيخ وخرج خالد يعدهم من المصيخ فنزل حوران ثم الرفق ثم الحماد ثم الزميل وهو البشر والثنى معه (١) .

فبدأ بالثنى واجتمع خالد واصحابه وبيته من ثلاثة اوجه فجردوا فيهم السيوف ولم يفلت مخبر من ذلك الجيش الذي استعد ليقاتل خالد فاستبى الشرخ وبعث بالخمس الى الخليفة مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني .

وكان الهذيل قد التجأ الى عتاب بن فلان وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة اوجه (سبقت اليهم الخبر عن ربيعة) وهذا يدل على سرعة خالد وانه قد استفاد من سرعة الحركة اقصى حدود الاستفادة وبذلك أبر خالد بقسمه (ليبغتن تغلب في دارها) فقسم الفىء وأرسل الاخماس مع الصباح بن فلان المزني .

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٥

معركة الفراض

بعد انتهاء خالد من معركة الثنى والزميل ، عطف الى الرضاب وبها هلال بن عققة وقد ارفض عنه جمعه فلم يلق بها كيداً .

وبعدها تقدم خالد الى الفراض (١) وكانت معاركه هذه في شهر رمضان ، فافطر في هذا الشهر حيث اتصلت المعارك فيه .

وكان بالفراض حامية رومانية تجاه حامية الفرس فلما جاءها خالد حميت الروم واغتاظت واستعانوا بمن يليهم من مسالح اهل الفرس وكان هؤلاء حانقين على العرب فاستمدوا تغلب واياد والنمر فامدتهم القبائل العربية بمقاتليها ثم ناهدوا خالداً حتى اذا صار الفرات بينهم وبين خالد قالوا اما تعبروا الينا او نعبر اليكم فلم يوافق خالد على العبور الى الضفة اليسرى (الشرقية) وكان مصيباً في ذلك فقال لهم بل اعبروا الينا لان عبوره اليهم يجعل النهر بينه وبين البادية التي يقاتل هو على حافتها .

العبور

طلب الفرس والروم وحلفاؤهم من القبائل العربية ان تتنحى عن النهر حتى يعبروا ولكن خالداً قال انهم لا نفعل ولكن اعبروا اسفل منا فعبروا للنصف من ذى القعدة سنة ١٢ هجرية .

فقال الفرس والروم بعضهم لبعض (احتسبوا ملككم . هذا رجل يقاتل عن دين وله عقل وعلم والله لينصرن ولنخذلن) .

شهادة من اعداء خالد بحق خالد وشهادة العدو اصدق من شهادة الصديق والحق ان خالداً وجنده كانوا يقاتلون عن عقيدة ثابتة آمنوا بها بعد ان درسوها جيداً فاعتنقوها مؤمنين بصحتها ولكن

---

(١) الفراض او الفرضة ، وتكون بين عنه والبوكمال حالياً ، ولعل القائم حصيه هي مكانها ، وهي على حدود الفرس والروم .

الفرس والروم لم ينتفعوا بما عرفوه عن خالد فذاقوا مرارته كما انهم دخلوا المعركة وهم يفقدون اهم عامل من عوامل النصر (هو الايمان بالنصر) ذلك الذى يقاتل به خالد بن الوليد والايمان بالنصر هو الاساس الذى تستند عليه المعنويات فى ساحة المعركة فيشتد العزم ويثبت الجند .

المعركة

عبر المتحالفون الفرس والروم والعرب اسفل من خالد فى جنوب شرقي الفراض ويظهر انهم كانوا يستهدفون قطع خط مواصلات خالد مع الحيرة فلما تتاموا (كمل عبورهم)قالت الروم للفرس والعرب (امتازوا حتى نعرف اليوم ماكان من حسن او قبيح) يرومون ايقاد الحماس في نفوس المقاتلين ولكن هيهات ان يقظوا نفوساً فقدت معنوياتها تجاه العرب بقيادة خالد بن الوليد فنشبت المعركة بين الجيشين وقد كان قتالا شديداً انتصر بنتيجته المسلمون فلما رأى خالد بن الوليد تخاذلهم قال لجنده (الحوا عليهم ولا ترفهو عنهم (٢)ويظهر ان خالداً اراد ان يجعل هذه المعركة فاصلة بين حاميات الفرس والروم وبينه فالح العرب عليهم فلم يعطوا لهم الفرصة وخالد يعرف كيف يخلق المواقف لعدوه فلا يتركه يستريح فاختل نظامهم حتي ان صاحب الخليل من جيش خالد كان يحشر منهم الزمرة برماح اصحابه فيقتلونهم ،دلالة على ان قادة الفرس والروم قد فقدوا سيطرتهم على قطعاتهم ، وقد يكونوا قد لاذوا بالفرار وقد بلغت المعركة من الشدة آخر مراحلها ا .كثرة القتلى من اعداء خالد (٣)

(١) الطبري ج ٤ ص ٦

(٣) روى الطبري ان القتلى كانوا ١٠٠٠٠٠ قتيل وفيه كثير من المبالغة .

يظهر لنا من هذه المعركة اعتماد خالد بن الوليد على نفسه، وعلى جنده ومقدرته على القيادة التي بها أمن النصر على الروم والفرس وحلفائهم من العرب مما وغيره من القاده يسعى لضرب كل فريق من اعدائه على حدة، ويحتفظ بعلاقات حسنة مع الفريق الآخر، وأن خالداً لم يكن ليجهل ذلك، غير انه لم يكن يريد المداورة واللف، فمن هم هؤلاء الفرس؟ ومن هم رجال القبائل تجاهه؟ انه قد خبرهم جيداً وعرف مقدرتهم كما انهم عرفوه، غير ان الروم قد سمعوا بامد العرب، ولكنهم لم يذوقوا بأسه، فلما نزل تجاههم بالفراض، حنقوا عليه هذا التحدى لهم من قبل المسلمين، وهم الذين انتصروا على الامبراطورية الفارسية، فاقبلوا على اعدائهم القدماء وصالحوهم، فلم ينل ذلك من عزم خالد وانما اراد ان يلقنهم درساً لاينسوه، فيمهد للجيوش العربية التي تتقدم الى الشام، فيضرب احدى حامياتهم، فينتبهوا الى هـذا الاتجاه.

خالد في البيت الحرام

وبعد ان انتهى خالد من معركة الفراض، اعطى استراحة الى قواته لمدة عشرة ايام، لاعادة التنظيم وتامين المنطقة، واراحة هذا الجيش الذي استمر بمعارك متلاحقة مع عدوه هذه الفترة اصدر اوامره بالانسحاب الى الحيرة في ٢٥ ذي القعدة، ووضع خطة لرحيل القطعات من الفراض، بأن قسم الجيش الى عدة اقسام، ولم ينقله مرة واحدة لان المنطقة امينة، ولا يوجد فيها من يجرأ على التعرض للقطعات ولذا كانت راحة القوة اهم ما يلاحظ في هذا التنقل

اما خالد فانه بقي في الساقة واعلم الناس انه سيصل الحيرة معها ويظهر ان المدة التى حددها ليجتمع الجيش بأكمله في الحيرة تقارب الشهر

وذلك لانــه اصدر اوامره للتجمع في الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وتحركت المقدمة وافهم الناس انه مع الساقة (١) ولما تحركت المقدمة الى الحيرة تحركهـو الى مكة لاداء فريضة الحج وتبدأ . مناسك الحج في ليلة ٩ / ١٠ ذي الحجة وتستمر هذه المناسك ايام عيد الاضحى الاربعة اي الايام (١٠و١١ و ١٢و١٣) ذي الحجة ويوم ١٣ يكون خالد في مكة ثم رجع الى الحيرة ودخلها مع الساقة.

ولا يعلم بحجه الا القليل الذين اخبرهم بذلك وقد عقب في سفره الى مكة طريقاً من طرق اهل الجزيرة ولم ير اعجب منه . ولا اشد على صعوبته منه حتى اتى مكة بالسمت مع عدة من اصحابه ويذكر الطبري انــه بمسيره من الفراض كان قد استعرض البلاد متعسفاً متسمتاً فقطع طريق الفراض ـ ماء العنبري ـ ثم اتى مثقباً وانتهى الى ذات عرق فشرق منها فاسلمه الى عرفاة فتأتي له ما لم يتأتي لدليل وسمى ذلك الطريق (الصد) .

والمسافة بين الفراض والبيت المحرم تساوي ٨٥٠ كيلو متراً (٢) قطعها في الفترة بين ٢٦ ذي القعدة و٩ ذي الحجة اي بمدة لا تتجاوز ١٤ يوماً وعلى هذا قد سار يومياً ٦١ كيلوا متراً في الذهاب الى مكة اما في الرجوع فانه رجع الى الحيرة وقطع هذه المسافة حسب المراحل وتكون بمدة لا تتجاوز عشرة ايام وعلى هذا تكون المدة التي خصصها خالد لتجمع الجيش في الحيرة لا تتجاوز ٢٨ يوماً .

وبهذا اثبت خالد بن الوليد انه القائد الذي يوجد في عدة امكنة

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٦

(٢) راجع الفرات الاوسط ـ موسيل

بوقت واحد .

عتاب وعقاب لم يشعر الخليفة ابو بكر الصديق بحج خالد الا بعد ان رجع الى الحيرة فكتب اليه يعاتبه: (سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك . فانهم قد شجوا . واشجوا . واياك ان تعود لمثل ما فعلت فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك . ولم ينزع الشجى من الناس نزعك . فليهنك ابا سليمان النية والحظوة . فاتم ما يتم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر و تخذل . واياك ان تدل بعمل فان الله له المن وهو ولي الجزاء [٣]) .

وبهذا فان خليفة رسول الله يعاتب قائد قواته على حجة بيت الله الحرام بغير اذن من الخليفة ويعاقبه على فعله بارساله الى الشام فهنالك الجند العربي بحاجة الى قائد جبار يعرف الحرب وخدعها جربها وخضها وخاض غمارها فعرف كيف يستغل المواقف فيها اذا ما تاجج اوارها . فينتصر بها ؟ ! .

ان ابا سليمان قد انهى الواجب في العراق واقتطع حوض الفرات حتى الفراض وطهر دومة الجندل فاصبح بامكان المدينة تجهيز الجيوش لفتح الشام وضمها الى الامبراطورية العربية وبال الخليفة مطمئن الى ان الجناح الايمن للهلال الخصيب امين بعد فتوح خالد .

ولم يقتصر الخليفة على هذا وانما يطلب اليه ان يتم عمله ولا يأخذه الغرور فيجب ان لا يشعر بالكبر وعند ذلك يحتقر عدوه فينام عنه ويخسر .

---

(٣) الطبري ج ٤ ص ٢٦

انما اراده ان يقوم بعمله وهو منتبه متيقظ وهكذا كان ابو سليمان فانه وان قال (ماكان دون فتح فارس شيء) الا انه حذر منتبه فلم يسمح لعدوه ان يقوم بعمل من دون ان يتخذ التدابير تجاهها .

نتائج فتوح خالد في العراق

١ ـ اقتطاع حوض الفرات من ساحل البحر حتى الفراض من فارس فتحررت من الحكم الساساني المستبد الى حكم العرب العادل الرحيم وزوال الظلم عن الشعب .

٢ ـ اعتداد الجيش الاسلامي والفرد العربي بنفسه وايمانه بمعنوياته وقابلياته واعتقادهم بان في مقدورهم ضرب جيوش الامبراطوريتين الفارسية والرومانية وتوحيد العرب تحت راية الاسلام فاعتقدوا ان لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم .

٣ ـ تدريب الجيش العربي على أساليب القتال المنظم ومن قبل لم يكن لهم الا نظام القبائل منذ زوال حكم الحميريين والانباط وزوال حرية المناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام .

٤ ـ زوال حكم الاقطاع في الاراضي المفتوحة وبداية حماية حق الفرد وحريته ، بزوال الاقطاعيين .

٥ ـ جعلت الامة العربية مهابة الجانب من الفرس والروم ولم تكن قبيل ذلك في نظر هاتين الامتين الا امة بدوية لا دين لها ولا ملك يوحد بينهم ولا حصن يحميهم ولكن بفضل هذه الفتوح

عرف الروم والفرس ان للعرب دينا يدينون به ونظاماً يرعونه وملكا يوحد بينهم . فاذا بهم يحسبون لها الحساب فسعى الروم الى اقامة الحاميات على حدودهم خوفاً من العرب . حيث اصبح يحسب حسابهم في الكيان الدولي .

٦ - كان للغنائم الكثيرة التي غنمها الجيش الاسلامي اثر فعال في الدولة العربية الناهضة فقد ساعدت الاخماس مقر الخلافة على تجهيز الجيوش لمنازلة الروم في سورية بتيسير السلاح والمال واثرت في الفرد العربي فجعلته يلبي دعوة الجهاد بنفس مطمئنة فسهل على القيادة العربية في المدينة اعمال الفتح .

٧ - تنبه الفرس الى الخطر الذي لم يكونوا يتوقعونه فقد اصبح على مقربة من عاصمتهم المدائن ولا بد لهذا الجيش الذي احتل الحيرة والانبار ووصلت طلائعه طساسيج المدائن ان يتقدم بكامل قواته نحو الشرق فيقضي على الامبراطورية الساسانية ولذلك نراهم قد جد جدهم فتركوا الخلافات فيما بينهم وتهيئوا لمنازلة هذا الجيش الغازي واسترجاع البلاد التي احتلتها فكانت نتيجة ذلك معركة القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند حتى تم تدمير الجيش الفارسي نهائياً وتشتيت ملك فارس وسنأتي على ذلك بعونه تعالى بكتابنا في فتح العراق .



الفصل السادس

المفاوضات في المدينة . موقف القوات الاسلامية عند اعلان الجهاد . خطة الفتح الجديدة التحشد . موجز حركات الارتال . خالد في طريق الشام . طريق مسير خالد . فتح بصرى . اثر تعويز خالد في الموقف .



المفاوضات في المدينة

بينما كان جيش خالد بن الوليد يقوم بحركاته في العراق والارتال العربية قاربت الانتهاء من اعمالها في جنوب الجزيرة العربية من حرب الردة ، كان رجال الخلافة والصحابة الكرام في المدينة يفكرون في عمل آخر لتحرير العرب في سورية .

وبعد أن عاد عكرمة بن ابي جهل بقواته منتهيا من واجبه رأى قادة الفكر الاسلامي ان هذه القوات هي اول قوة عربية متفرغة للقتال وجاهزة للحرب (١) فدعا الخليفة ابو بكر الصديق عليا بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وباقي الصحابة الكرام من تلامذة رسول الله

---

(١) بهذا يكون الخليفة قد رجع عن فكرته بعدم ارسال الذين لم يثبتوا على اسلامهم لفتح الاقطار ولا بد أن يكون الموقف الداخلي في الجزيرة أصبح مساعداً للسماح لهم بالاشتراك في الفتح .

(صلعم) وذكر لهم يستعيدهم الذكرى الى خطة النبي (صلعم) في الفتح ووعده لهم بانهم سيملكون الشام والعراق ذاكراً لهم عمله (صلعم) في هذا السبيل قبل ان يختار جوار ربه الكريم مذكراً اياهم بواجبهم وهم اصحاب محمد للعمل على تنفيذ خطته (صلعم) وقال (والعرب بنو ام واب وقد اردت ان استنفرهم الى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للابرار ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين)

رأي عمر

فقال عمر بن الخطاب (والله ما استبقنا الى شيء من الخير الا سبقنا اليه قد والله ! اردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت فما قضى الله ان يكون ذلك حتى ذكرته الآن . فقد اصاب الله بك سبل الرشاد سرب الخيل اليهم في اثر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله عز وجل ناصر دينه ومعز الاسلام واهله ومنجز ما وعد رسوله)

وقال عبد الرحمن بن عوف .

رأي عبد الرحمن بن عوف

(يا خليفة رسول الله ! انها الروم وبنو الاصفر حد حديد وركن شديد والله ! ما أرى أن تقحم عليهم الخيل اقحاماً ولكن تبعث الخيل فتغير في ادانى ارضهم ثم تبعثها فتغير فترجع اليك ثم تبعثها فتغير فترجع اليك فاذا فعلوا ذلك مراراً اضر بعدوهم وغنموا من ادانى ارضهم فقووا بذلك على قتالهم ثم تبعث الى اقاصي اهل اليمن والى اقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جميعاً. فان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت بعثت على غزوهم غيرك) .

وفي هذين الرأيين خطتان يحسن بنا مناقشتها .

فان عمر بن الخطاب يريد ان يبدأ الزحف باتجاه الشام زحفاً جدياً من اول الأمر ولا تعطي الفرصة فيه للرومان بالتهيؤ للحرب اوان تكون فترة في القتال يستفيد منها العدو بارسال الخيل والرجال في اثر الرجال والجنود تتبعها الجنود وباستمرار الزخم يتمكن العرب من فتح سورية وتحريرها من الرومان فاذا توقفت الحملة الاولى تقوم الحملة الثانية بعضدها بالهجوم فلا يحصل التوقف فأن الله عزوجل ناصر دينه ومقر الاسلام واهله .

ولا يفوتنا ان نذكر كذلك الاعتقاد الذي يؤمن به عمر بن الخطاب فان الله (ناصر دينه ومقر الاسلام واهله) كما يؤمن به رجال صدر الاسلام ، فلما رأى عمر بن الخطاب تعلق الجند بخالد ، وانهم مؤمنون بالنصر ، ما دام هو الذي يقود المعركة ، وعلم انهم افتتنوا به خاف ان يفتتن بهم خالد ، فعزله عمر بن الخطاب عن القيادة ليثبت للناس ان الله تعالى (منجز ما وعد رسوله) . سبب في عزل خالد

وانه لا بد ان يورثهم ارضهم وديارهم سواء كانت القيادة لخالد ام لغير خالد .

أما عبد الرحمن بن عوف فقد كان حذراً فيما ارتآه من حيث أراد أن ترسل القوات فتغير على اطراف الشام فترجع . ثم تغير وترجع وتستمر الغارة بدفعات متوالية .

وهذه الفكرة هي نوع من السوق البدوي للقبائل العربية . فأن القبائل تستهدف الغادرة على اطراف بلاد الروم والفرس ثم تنسحب مع غنائمها الى البادية محتمية بها .

وهذه الخطة تعطى الفرصة للرومان للتهيؤ للحرب ولا تتفق مع اسس الحرب فلا تؤمن الغاية التي تستهدفها القيادة العربية في المدينة المنورة فأن العرب في حربهم في سورية مع الروم في هذه المرة تختلف عن حروبهم في الماضي القريب فهم يريدون ان يملكوها كما ملكوها من قبل فيضموها الى الحضيرة العربية ويطردوا الرومان منها نهائياً .

واذا كان العرب لم يدرسوا اسس الحرب كغيرهم من الامم فأن التجارب التي حصلوا عليها من الحوادث السابقة قد نبهتهم الى الخطة الصحيحة .

ولذلك لم يتبع الخليفة هذه الخطة وانما عمل براى عمر بن الخطاب فاعلن الجهاد في الجزيرة تمهيداً لهذا الهجوم .

الموقف العام لقوات المسلمين

عند اعلان الجهاد



كان موقف القوات الاسلامية عند اعلان الجهاد كما يلي . -

في العراق (١) كانت قوات خالد بن الوليد تقوم بحركاتها ضد قبيلة تغلب في غرب الفرات (من عين التمر حتى الفراض) ومنشغلة في تطهير المنطقة من قوات فارس وقد قاربت الانتهاء من عملها .

في الجزيرة (٢) اما في انحاء الجزيرة العربية المختلفة فقد تمكن عكرمه بن ابي جهل والمهاجر بن امية ان يقضيا على المرتدين في جنوب الجزيرة

العربية فى المناطق التي بقي فيها القتال بعد مسير خالد بن الوليد الى العراق (١) وقد جاءت الانباء تبشر بقرب عودة المجاهدين من انحاء الجزيرة الاخرى .

(٣) اما شمال الحجاز فكانت القيادة العربية العامة قد ارسلت خالداً بن سعيد في سبعة آلاف من المقاتلين الى لحماية لحدود من تحرشات الروم . شمال الحجاز

وقد علم خالد بن سعيد أن للروم بعض الاستحضارات في جنوبي سورية خوفاً من ان يقعوا فيما وقع فيه الفرس قبلهم لئلا تباغتهم الجيوش العربية فأرسل خالد بن سعيد المعلومات الى ابي بكر الصديق فاخذ الخليفة بالتفكير في ذلك ويستشير اصحابه وبينما هو في ذلك اذ وردته رسالة تنبئه في اجتماع الروم ومن والاهم من قبائل العرب من بهراء وكلب وسليم وتنوخ ولخم وجذام وغسان يستأذنه فيه في منازله الروم علّه ينتصر عليهم فيكون خالد الشام كخالد العراق فكتب اليه الخليفة (اقدم ولا تحجم واستنصر الله) .

فتقدم خالد بن سعيد وانتصر على من لاقاه من الروم وحلفاءهم وغنم منهم فكتب الى الخليفة بذلك فكتب اليه (تقدم ولا تقتحم حتى لا تؤتي من خلفك) .

غير ان خالد بن سعيد اخذته نشوة النصر فاعتز بنفسه واغتر بنصره فقام بحركة واسعة النطاق لا تتفق وموجوداته ولم يكن حذرا فتقدم نحو الشام فهزم جيشاً للروم وطلب مدداً من الخليفة فارسل

---

(١) في اليمن وحضرموت وكنده والبحرين .

اليه رداء بقيادة عكرمة بن ابي جهل (١) .

هزيمة باهان

وكان امام خالد بن سعيد باهان فلما تقدم انسحب باهان امامه مستدرجاً اياه الى داخل البلاد الشامية فلما اصبح خالد بن سعيد بجيشه على مقربة من مرج الصفر في شرقي بحيرة الجليل (طبرية) ارتد باهان فهاجمه بجنده وقطع عليه خط رجعته (٢) فقتل سعيد بن خالد بن سعيد الذي كان على مقدمة الجيش فلما احس خالد بن سعيد بحركة عدوه ، واحاطته له ترك ميدان المعركة في كتيبة من اصحابه هارباً الى المدينة فتمكن عكرمة بن ابي جهل ان يصد باهان وانقاذ بقية الجيش من ضغط الروم والانسحاب .

الخليفة يحجز خالد بن سعيد

كان علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب قد طلبا من الخليفة ان لا يولي خالد بن سعيد قيادة الجيش لانه رجل فخور يحمل امره على المغالبة والتعصب فخالفهما ابو بكر الصديق وولاه القيادة فلما وصله خبره في هزيمته قال (كان عمرو وعلي اعلم مني بخالد ولو اطعتهما فيه واتقيته) .

ولم تنته الهزيمة بخالد بن سعيد عن (ذي المروة) فحجزه الخليفة ابو بكر فيها . لئلا يوهن الناس وبقي فيها حتى تولى الخلافة عمر بن الخطاب فسمح له بدخول المدينة على ان فشل خالد بن سعيد قد حمس الرجال واستنهض الهمم لانقاذ الشام .

مالية الدولة

اما الحالة المالية في الدولة العربية فكانت تساعد على تجهيز الحملة الى الشام لان اخماس الغنائم التي غنمها خالد بن الوليد وبعثها الى

---

١ - جيش البدال راجع الطبري جـ٤ ص ٢٩ .

٢ وهذه هي خطة السوق الرومانية فان الرومان يتركون القبائل العربية تتقدم في البلاد الشامية حتى تطول مواصلاتها وتبتعد عن البادية فتقوم عند ئذ بتدميرها.

المدينة المنورة واستثمار معادن الجزيرة حيث استخرج الذهب في منطقة بني سليم قد جعل الدولة العربية احسن حالا من حالها عند ارسال القوات الى العراق .

خطة الفتح الجديدة وأثرها

وبعد حادثة خالد بن سعيد تحمس الخليفة ابو بكر في فتح الشام واستشار الصحابة الكرام فوافقوه على المباشرة بالفتح والقيام بهجوم واسع في اتجاه الشام وتطهيرها قبل ان يؤثر اخذال جيش خالد بن سعيد في معنوية الشعب وقبل ان يستغل الروم هذا الانتصار ضد الاسلام فاعلن الخليفة الجهاد في اليمن والحجاز ونجد وباقي اجزاء الجزيرة واوقف النجدات الى العراق فاصبحت الخطة الجديدة دفاعاً في العراق وهجوماً في سورية .

اثر تبديل الخطة فى العراق

كان لتبديل خطة الخلافة اثر كبير في فتح العراق لأنها لم يتوقف تأثيرها على عدم ارسال النجدات واتخاذ خطة الدفاع وإنما اضطرت الخلافة الى سحب نصف الجيش المقاتل في العراق وأرسلته الى الشام وعلى رأسه خالد بن الوليد فاصبحت القوات ضعيفة فى العراق فاضطرت على توقيف حركاتها الا من مناوشات بسيطة وقد كان عامل آخر قد زاد في ضعفها وهو ان فارس اتحدت فعينت الملك وبهذا اضطر الحاميات الى ان تنسحب الى غرب الفرات وهذا الذى ساعد كثيراً على حدوث معركة القادسية .

وفارس بعيدة قواتها عن الحجاز وبينها وبينه صحراء نجد اما

الروم فهم متصلون بالحجاز من شماله وقد يكون هذا الخطر عاملا مهما في تبديل الخطة.

المحتشد

ما ان وصل نداء الخليفة الى مناطق القبائل والاقطار، حتى لبت النداء مسرعة بقلوب فرحة، مستبشرين بفتح الشام، فجاء البشير يسبقها الى الخليفة يبشره بتلبية الدعوة.

ولما اقتربت القبائل من المدينة، خرج اهل المدينة يستقبلونهم، فاقبلت حمير بالدروع الداوودية، والبيض العادية والسيوف الهندية وامامهم ذو الكلاع (١) ينشد

اتتك حمير بالاهلين والولد ... اهل السوابق والعالون بالرتب
اسد غطارفة شوس عمالقة ... يردوا الكماة غدا في الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا ... وذو الكلاع دعا في الاهل والنسب
دمشق لي دون كل الناس اجمعهم وساكنيها ساهويهم الى العطب (٢)

ثم اقبلت مذحج اهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم قيس بن هبيرة ينشد

اتتك كتائب منا سراعا ... ذوو التيجان ادعى من مراد
فقدمنا امامك كي ترانا ... نبيد القوم بالسيف النجاد

ثم اقبلت طي وأمامها حارث بن مسعد الطائي وتبعتها الازد ثم بنو عبس فكنانة وتتابعت قبائل اليمن.

---

(١) يذكر الطبري ان ذا الكلاع وصل المدينة قبل ان يرسل الخليفة جيش البدال.
(٢) هذا احد عوامل النصر فان الرسول قد بشر العرب بفتح الشام ويروى الواقدي انه قال (اذا اقبلت حمير ومعها نساءها تحمل اودها فابشر بنصر الله على أهل الشرك) فتوح الشام الواقدي. وتأويل ذلك في رأينا هو توحيد جهد العرب.

خطة الهجوم : ولما كمل تحشد القوات في منطقة المدينة شكل منها الخليفة اربعة ارتال للهجوم على سورية وآخر في الاحتياط .

الارتال للهجوم

١) الرتل الاول — بقيادة يزيد بن ابى سفيان وقوته اربعة آلاف مقاتل وخصص له طريق التقدم المدينة — تبوك — البلقاء وهدفه الاخير دمشق

٢) الرتل الثانى — بقيادة شرحبيل بن حسنة وقوته سبعة آلاف مقاتل وطريق تقدمه المدينة تبوك — الاردن وهدفه بصرى عاصمة حوران .

٣) الرتل الثالث بقيادة ابي عبيدة عامر بن الجراح وقوته سبعة آلاف مقاتل يعقب طريق المدينة تبوك — البلقاء وهدفه حمص .

٤) الرتل الرابع بقيادة عمرو بن العاص وقوته سبعة آلاف مقاتل وطريق تقدمه المدينة — الوجه العقبـــة (ايلة) وهدفه فلسطين .

٥) الرتل الخامس بقيادة عكرمة بن ابي جهل وقوته ستة آلاف مقاتل وهو ردء لها ويقوم بواجب الاحتياط العام المحلى بالنسبة للقوات كما يحمى خط مواصلات القوات مع المدينة عند الحاجة .

وكان الخليفة يرسل القوات التي ترد الى المدينة تباعاً حتى وصلت في معركة اليرموك مع قوات خالد بن الوليد اربعين الف مقاتل .

نظرة فى خطة الهجوم

من دراسة طرق تقدم الارتال واهدافها يظهر لنا

١) ان خطة الخليفة كانت الهجوم بعدة ارتال ولكل رتل هدفه

الخاص به وتتقدم على طرق متوازية وبجبهة واسعة وهذا مما يسبب جعل القوة ضعيفة في كل مكان ولذا امرهم الخليفة بالتساند والتشاور فيما بينهم ليخفف نوعما من هذا الخطر .

٢) ان الخطة هاجمت الاقسام القريبة من الصحراء ولم تهاجم الاقسام الساحلية في سورية ، سوى رتل عمرو بن العاص ، وهذه الخطة التي اتبعها ابو بكر الصديق هي خطة السوق العربي ، وهي مقاتلة اعداءهم على ادنى حجر من البادية فان كانت لهم فان البلاد تحت رحمتهم وان كانت الاخرى فهم يرجعون الى البادية مستفيدين من سرعة حركتهم .

السوق الروماني

اما الرومان فان خطتهم السوقية تستند على جر العرب الى داخل البلاد وتدميرهم في داخلها ، لئلا يتمكنوا من الافلات الى البادية فكان الرومان يسمحون للمهاجمين العرب بالتقدم داخل البلاد حتى يبتعدوا عن قواعدهم وتطول خطوط مواصلاتهم كما طبقوا ذلك مع خالد بن سعيد ، مستندين على قواعدهم ويحركوا الحاميات الرومانية من عدة اتجاهات نحو القوات المتقدمة في سوريه فيشتتوها وقد طبقوا هذه الخطة فتقدمت الجيوش العربية قبل اليرموك ، واحتلت الشام وحمص ، ولم تلاق الارتال العربية مقاومة شديدة ، ولما أراد الروم تطبيق خطتهم ، لم ينجحوا لان القادة العرب انتبهوا لما بيته الرومان لهم فانسحبوا الى اقرب منطقة للبادية فان نجحوا في المعركة فهم سيحتلوا البلاد ثانية ، وان كانت عليهم ، فانهم ينسحبون الى الحجاز ، ويستعدوا ليعيدوا الكرة : يساعدهم على ذلك سفينة الصحراء (الجمل) الذي برعوا في استخدامه اكثر من الرومان .

٣) ويلاحظ في خطة الهجوم ، ان رتل عمرو بن العاص كان هدفه فلسطين ، وهذا يعني حماية الجناح الايسر للقوات العربية التي تتقدم في سورية ، خوفاً من قيام الرومان بحركة من هذا الجناح ، فتقطع خط رجعة القوات ومواصلاتها مع المدينة ، وقد تكون الضربة التي تلقاها خالد بن سعيد هي التي نبهت القيادة العربية الى هذا الاتجاه ، فاتخذت هذا التدبير .

٤) ويلاحظ أيضاً في هذه الخطة ، ان الارتال تتقدم الى اهدافها غير موحدة القيادة ، وانما كان عليها ان تتساعد ، ويتشاور قادتها فيما بينهم ، او ان اجتمعوا فقائدهم صاحب المنطقة التي اجتمعوا فيها ، غير ان السوق العربي كما ذكرنا يهاجم المناطق القريبة من الصحراء ، والصحراء تجبر القيادة العربية على عدم سوق جيش كبير على طريق واحد وان الرومان يريدون استدراج القطعات العربية الى منطقة انطاكية للتهيوء للمعركة الفاصلة فلم تشتبك الارتال بمعارك فاصلة في حركاتها الاولى .

٥) وقد كانت الارتال تتقدم على خطوط متوازية وجبهة واسعة وبينها وبين رتل عمرو بن العاص بحر الميت ونهر الاردن وهذا سبب عدم امكان التعاون فيما بينها .

غير ان القيادة العامة لم تنس تأمين احتياط لهذه القوات ليكون متهيأ لمعالجة المواقف الطارئة واعطت القيادة الوصايا اللازمة للارتال وافسحت لهم حرية العمل .

موجز حركات الارتال

اصدر الخليفة ابو بكر الصديق اوامره الى الارتال بالتقدم، فتحرك يزيد بن ابي سفيان وتبعته الارتال الاخرى كل منها نحو هدفه.

تقدم الرتل الاول بقيادة يزيد بن ابي سفيان وما ان وصل منطقة فلسطين حتى علم ان على جناحه الايسر، يتقدم رتل روماني بقيادة قائد منطقة غزة (سرجيوس) بقوة ثلاثة آلاف مقاتل، وكان رتل عمرو بن العاص الذي كان مسؤولا عن فلسطين، لايزال بعيداً عنه، حيث اسرع يزيد في تقدمه، لذلك افرز قوة بقيادة ابي امامة الباهلي، لتقوم بمشاغلته لكي لايقطع خط رجعته، فتمكن ابو امامة من الانتصار على سرجيوس بمعركة دامية في موقع عربة (١) وانهزم الرتل الروماني باتجاه غزة، فطاردته فرسان العرب ولحقت بها في موقع (داثن) (٢) وتمكنت من ابادتها في شهر ذي الحجة سنة ١٢ هجرية المصادف ٤ شباط سنة ٦٣٤ ميلادية.

وفي هذا الوقت كانت الارتال الأخرى تتقدم في اتجاه اهدافها على الجناح الخارجي الأقرب الى البادية.

---

(١) العربة على وادي العربة في منتصف المسافة بين البحر الميت وخليج العقبة.

(٢) داثن على مسافة ١٢ ميل من غزة - الطبري جـ٤ ص ٣٩.

فتمكن ابو عبيدة من الانتصار على قوة رومانية في بلدة مآب ، واستمر بتقدمه . أما رتل عمرو بن العاص ، فتقدم في فلسطين حتى وصل الى ارض الداروم من دون مقاومة ، لان فرقة يزيد قد قضت على مقاومة العدو فيها .

واستمرت الارتال بغاراتها في سورية بحرب سريعة ، فنجحت في هذه الغارات نجاحاً منقطع النظير ، فتمكن يزيد بن ابي سفيان من محاصرة دمشق ، واحتل ابو عبيدة حمص .

وكانت سياسة العرب مع الاهلين مبنية على الرحمة والعدل مما ساعدهم على هذا النجاح ، غيران هذا النجاح ،لم يدم طويلا ، فلم تتمكن الارتال العربية من الثبات في مناطقها ، لأن الجيش الروماني كان قائماً بالتحشد في منطقة انطاكية . خطة الروم

وترك حماية الحدود على الحاميات الرومانية والقبائل الموالية لهم ولذا كان تقدم الارتال سريعاً ، اذ انها لم تشتبك بمعارك فاصله مع الرومان وعدم وجود قوات امامهم ،تضطرهم الى مقابلتهـــا جعلت العرب يستهدفون احتلال المدن .

فلما اتم الجيش الروماني اكمال تحشده في انطاكية وجمع قوة قدرها (٢٠٠ر٠٠٠) مقاتل ، تقدم الرومان نحو الجنوب برتلين رئيسيين ، احدهما من اتجاه انطاكية بالقوات التى تجمعت فيها ، مع من التحق اليها من عرب غسان ، ولخم وغيرها من القبائل الموالية للرومان . اما الثاني فقد تقدم باتجاه عمرو بن العاص ، وقوته كما تذكر المصادر العربية لا تقل عن سبعين الفا . الرتل الاول

وقد استهدف الرومان مقاتلة الفرق العربية الاربع منفردة للقضاء

عليها ، و بذلك ينفتح المجال امامهم الى الحجاز .

خطأ الروم

وقد اخطأ الرومان في السماح لقوات العرب بالتقدم نحو سورية ، حتى وصلت الى الاقسام الداخلية فيها ،واعتقدانهم ظنوا ان العرب سيتبعون اسلوب القبائل القديم في النهب والسلب ، و بذلك تقع النفرة بين الغساسنة والسكان الى التعلق بالامبراطورية لحمايتهم من العرب .

غير ان العرب جاؤا بفكرة اخرى غير ما ألفه الرومان والغساسنة منهم ، فقد جاؤا في حركتهم هذه محررين لا غازين يرومون تأسيس امبراطورية تضم الشام الى الدولة العربية ،واخراج الرومان منها نهائياً ، فعرف السكان انهم قوم لا يظلمون ، رحماء عادلون ، يعفون عن المنكر والبغي ، فارادهم الناس ولم ينفروا منهم .

وهكذا اخطأت القيادة الرومانية ، اذ بينما كانت تأمل ان يقوم السكان باعمال معادية تجاه العرب إذ بها تجابه حركات معادية من السكان .

نظرة في خطة الروم

بينما ان خطة الروم كانت تستهدف ضرب الارتال العربية الاربع على انفراد ولذا قدموا رتلين باتجاهها ، احدها وهو الرتل الرئيسي من اتجاه حمص بقوة (٢٠٠ر٠٠٠) روماني عدا من انضم اليهم من القوات الموالية من الأرمن ، ومن الغساسنة ، وآخر بقوة (٧٠ر٠٠٠) (١) جندي باتجاه فلسطين ، وكانت هذه الخطة صحيحة ، وخاصة ان الارتال العربية تقدمت بجبهة واسعة ، يصعب تعاونها فيما بينها .

---

(١) الطبري ج٤ ص ٢٩

خطة العرب

وكان المؤمل ان تنجح هذه الخطة في القضاء على هذه الأرتال ، وأعطاء العرب درساً قوياً لئلا يعودوا بعـــدها لمهاجمة سورية ، والتحرش بالامبراطورية ، غير ان العرب انتبهوا الى هذا الموقف الدقيق في الوقت المناسب فكاتب القادة بعضهم بعضاً فكتب عمرو بن العاص الى ابي عبيدة (ان الرأي لمثلنا ، أن نجتمع فاننا اذا اجتمعنا لا نغلب على قلة ، وأن تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلهـا لـكثرة عددها (١)

رغبة السكان في حكم العرب

فكتبوا الى الخليفة بذلك ، فوافقهـم على الاجتماع ، فباشرت الارتال العربية ، تنسحب من المدن التي احتلتها للاجتماع في محل واحد في اليرموك ، فلما انسحب أبو عبيدة من حمص ، رد الى اهلها الجزية التي كان قد اخذها منهم وقال لهم (يا اهل حمص . قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فانتم على امركم) فاجاب هؤلاء (لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولتدفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم) .

وكذلك فعل اهل سائر المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا (ان ظهر الروم وتباعهم ، صرنا الى ما كنا عليه ، والا فانا على امرنا ما بقي للمسلمين عدد) .

عدل وظلم

في وقت واحد وفي قطر واحد جيشان يحتربان ، احدها عربي مسلم يريد نشر العدل والسلام ، والطمأنينة بين الناس ، يبشر بالهدى ودين الحق لا يظلمون ولا يغدرون ، تركوا للناس حرياتهم ، وقد

---

(١) راجع الطبري ج٤ ص٤٠ .

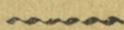
ولدتهم امهاتهم احراراً ، فاحترمهم الناس .

وآخر يقاتل ليبقى مسيطراً على الناس ، فيعيش معه الظلم ، والجور والاستبداد بامور الناس ، يظلم القوى الضعيف ، وكانت الشعوب قد فقدت املها بحكوماتها ، وأخذت تتطلع الى حكم اصلح ، وذلك هو حكم العرب ، فساعد ذلك العرب على طرد الرومان نهائياً من سورية .

تجمع الارتال في اليرموك

وقد تمكنت الارتال العربية من الانسحاب ، فاجتمعت في اليرموك من دون اى ازعاج لها ، أو تحرش بها من قبل القوات الرومانية ، الا عمرو بن العاص اذ كان امامه رتل روماني ، ولم يتيسر له الوقت للاجتماع باصحابه بعد ، وهكذا اضطرت القيادة الاسلامية في المدينة الى ان تصحح الخطا الذي كان في خطة الفتح في التقدم بقيادة غير موحدة ، وأرتال متفرقة .

خالد في الشام



بينما كانت الجيوش العربية في الشام منتظرة اوامر الخليفة ، ويطلبون منهم مدداً لقواتهم ، كان جيش خالد بن الوليد في العراق ؛ قد اكمل تجمعه في الحيرة وقد انتهى من تطهير ضفة الفرات الغربية .

فلما طلب قادة الفرق العربية في الشام امداداً لقواتهم ، وابلغوه ان الروم قد جدوا في العمل وقالوا (والله لنشغلن ابا بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخيوله) تنبه الخليفة الى ان القوم بحاجة الى قائد قدير ، خبر الحرب وجربها ، وعرف دخائلها فلم ير غير خالد لها ، فقال

(والله ! لأنسين الرم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد) فكتب الـكتاب الذي ذكرناه سابقاً (١) ، وأمره بان يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فاذا فتح الله على المسلمين الشام . فارجع الى الى عملك .

خالد يضيق بهذا التعيين

فلما وافاه كتاب الخليفة قال : هذا من عمل الاعيسر بن ام شملة حسدني أن يكون فتح العراق على يدي ، وهذا القول يدل على الخلاف بين هذين الرجلين ، وكان الخليفة قد عرف بان خالداً ،سوف يضيق صدراً بنقله من ساحة العراق ، وهو يأمل ان يفتح العراق ، ويديل دولة فارس ، فكتب اليه الخليفة (فاذا فتح الله على المسلمين فارجع الى عملك في العراق - وبذلك هدأ ثورته النفسية .

طرق مسير خالد

امتثل خالد اوامر الخليفة ابي بكر الصديق ، فامر بالرحيل الى سورية ، وسلك طريقاً لم يسلكه قبله احد فقطع الخليج المقفر الذى يفصل بينه وبين جند المسلمين في الشام وعرضه (٥٠٠) ميل ، يضم بين كثبان بعض اقسامه الموت المحتم ، واتصل بالمسلمين في الشام في الوقت المطلوب .

وهناك روايتان في تعيين هذا الطريق :

الرواية الأولى : ان خالد بن الوليد ، سار من الحيرة الى دومة الجندل ثم طعن في البر الى قراقر ، ثم قال كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم ، فاني ان استقبلتها حبستني من غياث المسلمين (٢) .

---

(١) راجع خالد فى البيت الحرام - نفس الـكتاب - .

(٢) الطبري جـ٤ ص ٣٩ - ٤٠ -

وبذلك يكون خالد قد ركب طريق الحيرة - الجوف - وادى السرحان - قراقر ، ثم فوز الى سوى لوجود حاميات رومانية على القسم الشمالي من وادى سرحان .

الرواية الثانية : شخص خالد من الحيرة في ربيع الآخرة سنة ١٣ هجرية ، فلقيه عدو بصندودا ، فظفر بهم بن حرام الانصاري ، ولقي جمعاً بالمصيخ والحصيد عليهم ربيعة بن بجير التغلبي ، فهزمهم وسبى وغنم ، وسار ففوز من قراقر الى سوى ، فاغار على اهل سوى واكتسح اموالهم ..... ثم اتى ارك فصالحوه ، ثم اتى تدمر فتحصنوا ، ثم صالحوه ، ثم اتى القريتين فقاتلهم وظفر ، ثم اتى حوارين فقاتلهم وهزمهم ، وقتل وسبى واتى قسم . . . .) .

ونميل الى تأييد الرواية الأولى في مسيره من الحيرة الى دومة الجندل (الجوف) ثم عقب وادي السرحان الى قراقر ، ومنها فوز الى سوى للاسباب التالية :

(١) ان السرعة تتطلب من خالد ، ان يسير الى اليرموك للاجتماع بالعرب في أقرب طرق يسلكه ، وطريق دومة امين وليس فيه من القوات المعادية ما يقف في سبيله ، ويسبب تأخيره .

(٢) ان خالد لم يكن يعرف موقف القوات العربية عند ما كان في الحيرة (كما سنرى) ولا موقف القوات الرومانية ، فلا بد له ان يسلك الطريق الامين .

(٣) انه طلب طريقاً يخرج به من وراء الروم ، لئلا يعيقوه عن وصول المسلمين بسرعة ، وأن تقدمه بموجب الرواية الثانية سيمر باراضي قبائل معادية ، هي تغلب التي كان يقاتلها في العراق

ولا بد من أن يشترك معها في قتال ، وهذا يتطلب وقتاً لا ، يريد خالد اضاعته الا اذا كان مضطراً ، ولجهله بموقف القوات العربية والرومانية ، لن يتجه هذا الاتجاه في مسيره الى الشام .

(٤) لم نجد في دراستنا منطقة العراق موقعاً يسمى قراقر ، وانما يوجد الآن بئر بهذا الاسم (كراكر)«١» في شرق الأردن ، وعلى رأس وادي السرحان ، والمسافة بينه وبين سوى مسيرة خمسة ايام على الجمل ، وقد قطعها (كلوب باشا) على البعير .

(٥) ان طريق دومة ـ وادي السرحان ، يتيسر فيه الماء بكثرة لأن في دومة واحة كبيرة ، وفي وادي السرحان آبار كثيرة ، وهو طريق القوافل الى سورية ، ولا يحتمل ان يركب خالد هذا المركب الخشن بالتفويز ، اذا لم يكن مضطراً ، ولهذا فالأقرب الى الصواب ان يعقب هذا الطريق .

(٦) ان السبب الذي جعل خالداً يفوز بجيشه من قراقر الى سوى هو الحاميات الرومانية التي في الرأس الشمالي لوادي السرحان ، تلك التي تركتها قادة القوات ، والفرق العربية عند تقدمهم الى سورية ، وهذه الحاميات قد تقف في طريق تقدمه ، وتحبسه عن غياث المسلمين ، على ان هذا الطريق يمر الى بصرى ، وقد يكون خالد قد استخبر بوجود حاميات رومانية فيها ، عند ما كان يتقدم في وادي السرحان الأمر الذي اضطره الى التفويز .

٧ اعتقد ان اصحاب الرواية الثانية ، قد خلطوا بين تفويز خالد وبين معاركه التطهيرية في ضفة الفرات الغربية ، ضد قبيلة تغلب ،

---

(١) يعتبر مؤيدوا هذه الرواية ان قراقر على وادي حوران شرق الرطبة .

فان معظم المناطق التي ذكرت فيهـا المعارك ، جرى تطهيرها قبل التفويز .

(٨) قد يقال ، إن خالداً أرسل النساء والعاجزين الى المدينة قبل حركته ، أو اثناءها ، فلماذا لم يصحبهم الى دومة ، ومن هناك يرسلهم الى المدينة ؟ولهذا الاعتراض وجه ما ، غير ان طريق الحيرة الثعلبية فيد ، اقرب من هذا الى المدينة ، واسلم للقوافل .

عزم خالد

سار خالد من الحيرة الى دومة الجندل (الجوف) ثم طعن في البر راكباً وادي السرحان الى قراقر ، وأرتوى منها ، وكان خالد قد سأل اصحابه (كيف لي بطريق اخرج به وراء الروم ، فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ؟) .

فكلهم قال لا نعرف الا طريقاً ، لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذ الراكب ، فاياك ان تغرر بالمسلمين ، فعزم خالد عليه ، ولم يجبه الا رافع بن عميرة على تهيب شديد .

تشجيع الجيش

فقام خالد فيهم وقال :

(لا يختلفن هديكم ، ولا يضعفن يقينكم ، واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية ، والاجر على قدر الحسبة ، وأن المسلم لا ينبغي له ، ان يكترث بشيء ، يقع فيه مع معونة الله له)

فقالوا : (انت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك) فطابقوه ، ونووا ، واحتسبوا ، وعزموا على ما عزم عليه خالد .

وهكذا ايقظ خالد فيهم العزم ، فطابقوه ، وهم يعرفون مقدرته ، ويؤمنون بحسن تدبيره ، والجند اذا عرف من قائده ، ما عرف جند خالد بن الوليد من خالد ، فانهم يتقدمون نحو الشدائد بنفوس

مطمئنة ، وجنان ثابت .

فكيف بالجند المسلم وقائده خالد بن الوليد ؟! وهم يعتقدون ان الله قد جمع له الخير ، فكيف لا يطابقوه على رأيه ؟! وهو الذي قادهم الى النصر في جميع معاركه مع الفرس ، بل عرفوا كيف انه كفاهم معركة عين التمر بنفسه ، باختطاف قائد عدوهم ، وشاهدوا القادة يتساقطون امامه والجيوش تفر من امامهم بقيادته لاسمه حتى اصبح اسمه والنصر كلمتان مترادفتان .

والجندي اذا اعتمد على قائده ، لا يتوانى عن العمل في هذه المفازة التي تضم بين كشبانها ، وفي مجاهلها الموت المحتم ، ولكن ليس لجيش خالد ، فان هذا الجيش يقوده القائد الذي لم يغلب ، يقوده خالد الذي كتب الله له الا أن يكون النصر في ركابه في معاركه ، وهو الآن يدخل معركة مع الصحراء فهل لا يغلبها ؟

الدليل يحذر

وبالرغم من أن رافعاً قد أجاب خالداً ، ولكن ليس له نبوغ العبقري المنفرد في عصره بعبقريته .

فقال رافع : خلف الاثقال واسلك هذه المفازة ان كنت فاعلا؟

فقال خالد : وقد كره أن يخلف احداً (لا بد ان نكون جميعاً)

فقال رافع : والله ! إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغرور مخاطر بنفسه ، انها لخمس ليال جياد لا يصاب فيها ماء على مظلتها .

قال خالد : ويحك . انه والله ! أن لا بد من ذلك ، أنه قد اتتني من الأمير عزمة ، فمر بامرك .

قال رافع : استكثروا من الماء ، من استطاع منكم ان يصر اذن

ناقته على ماء فليفعل ' فانها المهالك الا ما دفع الله .

فامرهم خالد .فتروو للشفة لخمس . وأمر صاحب كل خيل بقدر ما يسقيها .

فظمأ كل قائد من الابل الشرف الجلال ما يكتفي به ' ثم سقوها العلل النهل . ثم صروا آذان الابل وكعموها ' وخلوا ادبارها ' ثم ركبوا من قراقر مفوزين نحو الشرق اولا ثم الى الشمال الى سوى فلما ساروا يوماً افتظموا لكل عدة من الخيل عشرة من الابل فمزجوا ما في كروشها من الماء بما كان من الالبان ثم سقوا الخيل وشربوا للشفة جرعاً ' ففعلوا ذلك اربعة أيام .

وبالنجم هم يهتدون

فقال محرز بن حربش المحاربس لخالد : اجعل كوكب الصبح على حاجبك الايمن ، ثم امه يفض الى سوى

وبهذا كان خالد وجيشه يسير على النجم ، أما في عصرنا ، فان الفيناص من الوسائط المفيدة جداً في المسير في الصحراء مع الخرائط .

الرفارة

وفي اليوم الخامس (وهو الذي ينزل به خالد على سوى نفذ الماء واجهد الناس العطش ' فخشى خالد حر الشمس ، ان يؤذيهم ، وقد عطشت دوابهم .

نادى خالد راف فقال له :ويحك يا رافع ما عندك ؟

فقال رافع : خير . ادركتم الردى ، وانتم على الماء ' وشجعهم وهو متحير ارمد (١) ، قد أضر ضوء الشمس الساطع في الصحراء عينيه (٢) .

---

(١) الطبري ج٤ ص ٤١

(٢) تاريخ العرب مطول - حتى ج١ ص ٣٠٢

فقال رافع : أيها الناس . انظروا علمين كانهما ثديان .

فأتوا عليها وقالوا علمان !

فقام عليها وقال : اضربوا يمنة ويسرة بعوسجة كقعدة الرجل فوجدوا جذمها .

فقالوا جذم ولا نرى شجرة .

فقال احتفروا حيث شئتم ، فاستشاروا اوشالا واحساء (١) رواء ، فشربوا حتى رووا . وامنوا الماء الى المتأخرين .

فقال رافع : أيها الأمير ! والله ! ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردته الأمرة وانا غلام مع ابي .

فاستعدوا ثم اغاروا على سوى والقوم لا يرون ان جيشاً يقطع اليهم وبعدها (بعد سوى) اتصلت المنازل .

فقال ابو احيحة الوشنى :

لله عينا رافع انى اهتدى   في مهمه مشتبه الى سوى

والعين منه قد تغشاها الروى   معصوبة كانها ملآن ثرى

حتى قال :

فوز من قراقر الى سوى   والسير زعزاع فما فيه ونى

خمس اذا ما سارها الجيش بكى   في اليوم يومين دداً وسرى (٢)

---

(١) الحسو : الارض الصلبة القراقر ويطلق على المياه التي تستخرج من بين الرمال في الوديان .

(٢) يقصد مسير في النهار وسرى في الليل .

خالد يهاجم

ثم اغار خالد من سوى على مضيخ بهراء ، فصبح المضيخ والنمر وهاجم وانهم لغارون ،وأن رفقة لتشرب في وجه الصبح ، وساقيهم يغنيهم (١) فباغتهم خالد في وجه الصبح .

اما الرومان فلما وصلتهم انباء خروج خالد الى سوى ، واغارته على مضيخ بهراء قدروا الخطر الذي جاءهم على خطوط مواصلاتهم،

تدابير الروم لمواجهة خالد

وكانت حركة خالد هذه خطرة عليهم ، فهم بينما يواجهون القوات العربية ، ويعملون الفكرة على تدميرها ، أذ بقوات خالد متوجهة نحو الشام ، لذا ارسلوا قوات خفيفة سريعة الحركة من مقاتلي الغساسنة لملاقاته ' ويكونون بينه وبين جيش المسلمين .

فلما علم خالد بن الوليد ' لم يكن له بد من مهاجمتهم ، ليفتح طريقه الى جيوش المسلمين ' فباغتهم خالد في مرج راهط في يوم فصحهم فغنم منهم ' وأرسل بسر بن أبي ارطاة العامري ' وحبيب بن مسلمة الفهري ' فاغاروا على قرى دمشق وغنموا منها ' واستمر خالد بتقدمه ' حتى وصل الى ثنية العقاب 'وركز فيها راية الرسول

---

(١) وقال ساقيهم :

الا عللاني قبل جيش ابى بكر ... لعل منايانا قريب وما ندرى

الا عللاني بالزجاج . وكرروا ... على كميت اللون صافية تجري

الا عللاني من سلافة قهوة ... تسلي هموم النفس من جيد الخمر

اظن خيول المسلمين وخالداً ... ستطرقكم قبل الصباح من البشر

فهل لكم في السير قبل قتالهم ... وقبل خروج المحصنات من الخدر

الطبري جـ٤ ص٤٥ -

واعتقد ان ذكر البشر من الاسباب التي جعلت البعض يعتقد ان قراقر كانت في بادية الشام في العراق وهذا غير واقع .

(العقاب) التي سميت الثنية باسمها ساعة .

فتح بصرى

ثم اتجه خالد الى بصري (اسكي شام) فوجد شرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان يحاصرانها ، فعتب عليهم توغلهم بارض العدو فقالوا له ان ابا عبيدة ارسلهم فقال خالد : رحم الله ابا عبيدة انه لا يعرف فن الحرب .

وقد اضطر اهل بصري لطلب الصلح ، وفتحت ابوابها للمسلمين فكانت أولى مدينة يفتحها خالد في الشام (١) .

وبعد فتح بصرى ، تقدم خالد الى اليرموك ، واجتمع بالقوات العربية هناك .

ونظراً لوجود رتلين عربيين يحاصران بصرى ، ولم تقاتلهم الا حاميتها يظهر لنا ان الرومان لم يتجمعوا حتى ذلك الوقت في اليرموك كما ان بعد فتح بصرى حدثت معركة اجنادين قبل اليرموك ، ولذا نعتقد ان خالداً عقب السفوح الغربية لجبل حوران (جبل الدروز) لا السفوح الشرقية منها .

أثر تعويز خالد

بظهور خالد بهذه الصورة المفاجئة خلف القوات الرومانية حدب اربابها ، وأضطرها على افراز قوات لتواجه رتل خالد في مرج راهط ، فتمكن خالد من مباغتتها في يوم فحصها ، فدمرها وفتح طريقه نحو الجنوب ، ليجتمع بارتال العرب الأخرى ، وهذا مما جعل القيادة الرومانية ان تكون حذرة من هذا الاتجاه .

كما انه تمكن من مصالحة اهل المناطق التي مر بها ، وخاصة بصرى الواقعة على حافة جبل الدروز الغربية ، وكائنة على جناح القوات

---

(١) الطبري جـ٤ ص ٤٢ .

العربية الايمن ، عندما كانت في معركة اليرموك ، وبذلك أمن خالد عدم تحرش هؤلاء (من بصرى) بالقوات العربية الأمر الذي جعل الجناح الايمن الخارجي للعرب والمسلمين امينا ، فلم يضطروا لافراز قوات لمراقبة هذا الجناح ، ولو لم يؤمن خالد هذه المنطقة لسبب بعض المشاكل للقوات العربية .

اما المدة التي تمكن بها خالد من قطع الخليج المقفر ، فكانت ثمانية عشر يوماً من يوم تحركه من الحيرة ، حتى مرج راهط ، فوصل الشام في الوقت المناسب ، بالرغم من قيامه ببعض المحاربات البسيطة من سوى الى مرج راهط ، ومحاربته حلفاء الرومان الغساسنة في مرج راهط .

الطرق المتيسرة لخالد

لم تكن الطرق الميسرة سوى تجاهات مثبتة ببعض النقاط فى الصحراء ، وكانت هذه الاتجاهات هي .

(١) الطريق الاول طريق الحيرة سالكاً وادي الفرات الى دير الزور ، ومنهـــا الى السخنة ، فيركب السفوح الجنوبية لسلسلة المرتفعات الممتدة من شمال السخنة الى تدمر ، ثم يسلك السفوح الشمالية لنفس السلسلة الى دمشق .

(٢) طريق الحيرة ـ عين التمر ـ وادي حوران ـ تدمر ـ الشام .

(٣) طريق الحيرة ـ عين التمر ـ وادي الابيض ـ وادي عرعر ـ

دومة الجندل - وادي السرحان - بصرى - الشام .

(٤) طريق الحيرة - الثعلبية - فيد - المدينة ثم يسلك طريق الارتال الى الشام .

الطريق الاول :

وهذا الطريق طويل ، ويمر في وسط البلاد الشامية ، ولا بد ان يجابه خالد فيه قوات معادية ، فتؤخره عن الاجتماع بالمسلمين في بلاد الشام ، كما ان هنالك عدة قلاع رومانية عليه ، لانه الطريق الذي سلكته الجيوش الفارسية والرومانية في حركاتها منذ القدم ، فلا يمكن لخالد ان يسلكه ، لأنه يمر وسط بلاد العدو ، وهو قد لام القواد العرب في بصرى لتوغلهم في ارض العدو ، غير ان المياه على هذا الطريق متوفرة في المنازل .

الطريق الثاني :

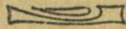
وهذا الطريق اقصر من الأول غير ان المياه فيه اقل ، وفيه نفس المحاذير التي في الطريق الأول ، ولا نعتقد ان خالداً عقبه .

الطريق الثالث :

وهذا الطريق امين ، وليس فيه ما يعيق تقدم المسلمين ، وان المياه عليه متوفرة في وادي عرعر ، ووادي الابيض ، والجوف ، ووادي السرحان ، كما انه اقصر من الطريق الأول وأطول من الثاني ، وهو ما نعتقد ان خالداً سلكه في مسيره الى الشام كما نرى

الطريق الرابع :

طريق طويل ولا يحتمل ان يركبه خالد ، لأن الغاية التي يستهدفها خالد هي الوصول الى الشام ، والاجتماع بالمسلمين باسرع وقت . غير انه أرسل عليه القوافل والعوائل التي لا حاجة للجيش المقاتل بها الى المدينة المنورة .

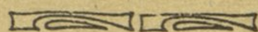


الفَصل السَّابِع

تدابير خالد . تدابير نابليون .
تدابير الاتراك .
تدابير الانكليز .



حركات التفويز



التفويز هو قطع المفازات (الصحارى) وقد سمى العرب الصحاري التى لا ماء فيها مفازة وتسمى ايضاً (المهلكة) والصحاري معدومة المياه او نادرة جداً فيها . خالية من السكان الا من المستطرقين سواء القبائل او الافراد .

وفى موسم الشتاء والربيع عندما تسقط الامطار ، يتمكن الناس من التنقل فيها ، بسبب توفر الماء في البرك والوديان ، وتيسر العشب الذي يطلبه البدو لرعي حيواناتهم .

اما في الصيف ، فيصعب التنقل فيها لعدم وجود الماء في معظم مناطق الصحراء .

وقد تمكن خالد بن الوليد ، أن يفوز من قراقر الى سوى

بجيش قوته ، لا تقل عن تسعة آلاف مقاتل «١» ، ولم تحدث فيه أية خسارة ، سواء بالرجال أم الحيوانات .

فما هو السر الذي جعل خالد بقطع هذه المفازه من دون خسارة ولا زال الكثيرون يعدون هذا الحادث ما هو الا حادث روائي ويقف عندها تفكير الكثير من كتاب التاريخ ، اذ كيف تمكن خالد من عبور هذه المنطقة المهلكة ، ودليله يقول : انها المهالك الا ما دفع الله ، ولم يتمكن قائد من التغويز في مفازة ما ، وينجح النجاح الذي احرزه خالد بن الوليد في قطع الصحراء .

فما هو السر الذي جعل خالد يتفوق هذا التفوق الذي لم يبلغه غيره ؟

ذلك ما نسعى الى شرحه في بحثنا هذا .

قوة الحملة

وقبل ان نذكر شيئاً عن التدابير التي اتخذها خالد ، علينا ان نبت في قوة الحملة التي قادها خالد في هذه المفازة .

ذكر المؤرخون ارقاماً مختلفة وغير متقاربة ، فقيل ان قوة هذه الحملة خمسمائة مقاتل ، أو تسعمائة ، أو ثمانمائة مقاتل ، وقيل انها تسعة آلاف أو عشرة آلاف «٢» .

ولمعرفة مقدار الحملة نعود الى قوة الفرق العربية في الشام ، فان مجموع هذه الفرق كان يساوي (٣١٠٠٠) مقاتل مع رتل عكرمة بن ابي جهل ، وكان يتقدم نحوها رتلان من الروم قوة الأول - (٢٠٠٠٠٠) مقاتل رومي ، ما عدا من التحق به من الموالين ،

---

(١) وفي رواية عشرة آلاف مقاتل

(٢) راجع معظم مصادر التاريخ

يتقدم من تجاه حمص ، وقوة الرتل الثاني (٧٠٫٠٠٠) مقاتل ، يتقـــدم في فلسطين ، فاستنجدت الفرق العربية بالخليفة ابي بكر الصديق طالبه مدداً لها ، فاضطر الخليفة لانجادها بنصف الجيش الاسلامي في العراق (١) . فحاجة الفرق العربية الى زيادة عددها لا للقائد فقط ، فالاقرب الى الواقع ان تكون الفرقة العربية التي سار بها خالد من العراق لا تقل عن (٩٠٠٠) مقاتل باية حال ، وهذا المدد هو الذي جعل القوات العربية في اليرموك تبلغ (٤٠٫٠٠٠) مقاتل كما تؤيد ذلك مصادر التاريخ .

تدابير خالد في التفويز

لم تكن قابلية الجندي العربي في تحمل المشاق ، او معنويات الجيش العالية ، والتفاني في سبيل المبدأ ، والعقيدة ، هي التي جعلت الجيش العربي ، يفوز وينجح في قطع هذه المفازة ، ولم تحصل فيه خسارة واحدة .

انما كان لكفاءة خالد الادارية ، فقد اتخذ خالد التدابير التالية قبل المباشرة بالتفويز وهي :

الماء

(١) نقل الماء في بطون الابل وعلى ظهورها ، فقد اعطشوا الابل السمان لمدة سبعة ايام ، ثم اوردها الماء عللا ثم نهلا . اي انهم سقوا الابل الشربة الأولى قليلة ثم اسقوها الماء حسب قابليتها على الشرب وبذلك حافظوا على قابلية الابل على المسير .

ولم نجد عدد الابل التي اعطشوها ، وانما كان خالد قد امر قائد كل خيل ان يعطش عدداً من الابل ، يكفي ما تحرزه الماء لخيله لخمس ليال ، فظماء كل قائد من الابل الشرف الجلال ما به ثم سقوها

---

(١) راجع اوامر الخليفة الى خالد .

الملل بعد النهل ، وهذا يشير الى أن الماء نقل باكبر كمية ممكنة .

وبذلك كان كل جندي قد حمل معه من الماء ما يكتفي به لمدة خمس ليال ، واستفادوا من البان الابل ، والماء الذى في بطونها ، لاسقاء خيولهم ، ولم يكن الاسقاء ادرجة الارواء الكامل ، بل ما يكفى لحفظ قابلية الخيل على المسير .

وقد يقال ان الماء في جوف الابل ، يفقد طيبه ، ويغير خواصه فلا تشربه الخيل ، غير ان موسيل قد ذكر انه يندر من قبيلة الرولة من لم يشرب الماء من جوف البعير اذ ان البدوى يذبح بعيره عند العطش الشديد ، ليشرب ما في جوفه من الماء ، أو انه يمد عصى في حلق البعير ، فينزل الماء من جوفه ويشربه ، فاذا كان هـذا حال البدوى يشرب مما في جوف بعيره من الماء ، فبالاحرى أن يشربه حصانه .

العناية بالابل

كما كان الجيش يستفيد من اطعام الجند لحوم الابل التي يذبحونها لشرب مائها وبهذا استفادوا في تخفيف حمل الميرة معهم .

ولا يفوتنا ان نذكر ، أن الابل كغيرها من الحيوانات ، تحتاج الى عناية شديدة في اثناء التنقل وذلك :

(آ) تحاشي المسير في ساعات اليوم الحارة (وقت الظهيرة) فكان خالد يتجنب المسير في هذا الوقت ، والافضل ان تسير الجمال في الليل ، أو في برودة الصباح والمساء ، وخير الأوقات ان يكون المسير بين الساعة الرابعة بعد الظهر ، والساعة التاسعة قبل الظهر .

(ب) تحاشي ابقاء الجمال محملة مدة اطول من اللازم ، وينبغي تدريب الجنود على التحميل والتنزيل ، وأن لا تحمل الاثقال مدة

اكثرة من اربعة ساعات مرة واحدة ، وكان جيش المسلمين متدربا على ذلك .

كما يجب موازنتها جيداً ، وشدها بصورة لا تتعب الحيوان بلا لزوم .

(ج) لا تساق الابل اكثر من سيرها الاعتيادي ، للمحافظة على قابليتها في المسير ، ولها قابلية على المسير في الليل اطول من النهـــار .

(د) واعطاء استراحة للجمال خمسة الى ستة ساعات يومياً ، كلما امكن وذلك للاجترار ، وأن الوقت الذي يلي المسير الصباحي ، هو احسن الاوقات ، ويجب اطعام الجمال بالحبوب في اثناء الليل ممزوجة بالقش وبالطبع ان ذلك في اوقات الاستراحة .

(هـ) وتكون جمال البادية لها قابلية على تحمل العطش ، اكثر من الجمال التي تعيش في الارياف التي تستقي يومياً ، اذ ان جمال البادية تقاوم العطش في الصيف لخمسة ايام .

(و) يجب فحص ظهور الجمال واحمالها يومياً في أوقات الاستراحة والاهتمام بالجمال المجروحة .

(ز) يجب مراقبة « القراد » وتطهير الجمال منه ، وخاصة بين السيقان وبين ظلفي الخف .

(ح) يجب وقاية الجمال من الامراض الجلدية ، ويجب غسل كل بقعة في جلد البعير مشبوهة بالمرض . بالرماد ، ويضمد بمخلوط الكبريت والدهن او الشحم بنسبة ١ ـ ٤ واذا وجـــد الزفت فيستحن اضافته .

وهذه التدابير التي نبهنا عنها ، كان الجندي العربي يتبعها بنتيجة تجاربه في محافظة الابل .

الادلاء

٢ - من تدابير خالد انه اطمأن لوجود الادلاء ، وما رافع بن عمير الا احدهم ، ولوجود الادلاء اثر كبير في نجاح خالد ، وكان محرز بن حريش المحاربي من احذقهم في الدلالة على النجوم .

الرفادة

٣ - استفاد خالد من علم الرفادة (١) فقد استفاد في اليوم الخامس من الحسو والاوشال في الارض للشرب والاسقاء ، وكان العرب يتقنون الرفادة ، ويعرفون الارض التي يحفرون بها الماء ، بحيث يعرفون قرب الماء وبعده من نفس التربة التي يحاولون اخراج الماء منها ، فلم يجهدوا نفوسهم في الارض البعيد ماؤها ، ويظهر ان رافع بن عمير كان معتمداً على هذه الاحساء .

حمل الجند

٤ - لم يترك خالد جنده يسيرون على ارجلهم ، وانما حملهم على ظهور الجمال ، وبذلك تمكن من سرعة الحركة لجيشه ، وحافظ على قابليتهم البدنية ، وعلى كل قائد ان يبذل كل ما في وسعه لصيانة قوى جنده ، فالنصر بلا استثناء حليف الفريق الذي يتمكن من المحافظة على القوة الجسمانية اكثر من عدوه ، وبذلك يحافظ على القوى الادبية فيهم فينتصر ، اذا ما تساوت الكفاآت الاخرى .

التدريب

٥ - اما التدريب فلم يكن خالد ليحتاج له ، فقد تدرب جنده على العمل في الصحاري ، وقد سبق لنا ان بينا في الفصول السابقة ان العربي قد غالب الصحراء ، فغلبها بجده وصبره .

٦ - جنب الخيل في تنقله هذا ، وركب الجند الابل ، وبذلك

---

(١) الرفادة - معرفة المناطق التي يوجد فيها الماء .

حافظ على كفائتها في القتال ، فساعده هذا على الانتصار في عدة من المعارك قبل اجتماعه في اليرموك .

٧ - كان خالد يسير في الساعات المساعدة للمسير - وقت البرودة - فكان يسير مساء ويستمر في الليل بالسرى حتى الضحى فيترك جيشه يستريح وقت الظهيرة ثم يستانف المسير عصراً ولا يزال هذا المبدأ مرعياً في المسير في الجيوش الحديثة ، وبسير خالد هذا تمكن من قطع مرحلتين كل يوم ، فقطع المسافة في خمسة ايام فقال شاعرهم :

خمسا اذا ما سارها الجيش بكى　　في اليوم يومين رواحا وسرى

٨ - شجع جنده قبل المسير ، ولا بد انه كان يذكرهم بواجبهم في اثنائه ، فقد ذكر لهم ايمانهم بالله ، وانه ليس بتاركهم ، وهو معهم في كل حال ، وأنه قد وعدهم النصر ، وانه يريد بهم اليسر ، وبذلك رفع معنوياتهم ، فتشجعوا على المضي في التفويز ، والانسلال من بين طيات الموت المحتم - كثبان الصحراء ووديانها - .

٩ - لم يجبر احداً من جنده على المسير معه من الحيرة الى الشام كما انه ارجع الضعفاء والنساء الى المدينة ، وبذلك حافظ على كفاءة افراد الجيش البدنية ، فجاؤوا معه طائعين راغبين في الجهاد .

١٠ اتبع خالد الكتمان التام في حركته وتنقلاته ، فامن بذلك المباغتة التامة لاعدائه ، فجاءت حركته السوقية هذه حركة ممتازة في نتائجها التي ساعدته على الحصول على غايته السوقية منها .

١١ - ساعدت الفكرة التي يؤمن بها الجند العرب وقابليتهم البدنية خالد بن الوليد على اجراء هذا التفويز .

مقارنات

يحسن بنا مقارنة حركة خالد الحربية مع حركات حربية اخرى حدثت بعد مسير خالد هذا بمدة طويلة فقد حدثت ثلاث مسيرات سوقيه عبر صحراء سيناء ، وعرضها مئة ميل أولها مسير نابليون من مصر الى عكا عام ١٧٩٩ وثانيها مسير الانكليز عام ١٩١٥ فى خلال الحرب العالمية الاولى وثالثتها تقدم الانكليز الى فلسطين عام ٩١٥ - ٩١٨ .

صحراء سيناء

وسيناء شبه جزيرة يحدها البحر الابيض المتوسط من الشمال ، والبحيرات ، وقناة السويس غرباً ، وخليج العقبة والصحراء المتصلة بالبلاد العربية غرباً ، ويقطع هذه الصحراء ثلاثة طرق رئيسية من الغرب الى الشرق : -

طرقها

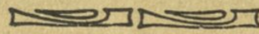
١ - الطريق الأول هو الطريق الساحلي ، الموازي لساحل البحر الابيض المتوسط ، وقدسلكت هذا الطريق امم كثيرة في مسيرها من الشرق الى الغرب ، ويبدأ من القنطرة الى ام كرش - تل حبوه بير الدويدار ، ثم بير النصف - بير قطية - بير العبد - نميلة مبروك - سنجة ابو تلول - تل ابو منزوع - رجم البرد ويل - بير المساعيد - مدينة العريش - البرج فشيخ زويد - خان يونس (الذي يتصل به الدرب المصري) ثم الى غزة .

٢ - الطريق الثاني وهو درب الحج المصري ، ويبدأ من السويس ويتجه شرقاً الى العقبة ، ومراحل هذا الطريق هي : - دبة وادي الحاج - جبيل حسن - قلعة نخل - بير العريض - مفرق العقبة - فقلعة العقبة .

٣ - الطريق الثالث ويبدأ من السويس - خان يونس - غزة ،

وتسلك هذا الطريق القوافل ، ومراحله هي : - السويس - وادي الطوال - باحة ام ضيان - عد الحملة - المقصبة - صنع المنيعي (١) .

تفويز نابليون



الموقف

بعد احتلال مصر اراد نابليون ، وحكومة فرانسة (حكومة الادارة) تدعيم مركز القوات الفرنسية في مصر ، ومنع مهاجمتها من قبل الاتراك ، ولها غاية التقـدم نحو الهند ، أو السير الى القسطنطينية .

لذلك قرر التقدم نحو سورية .

غرض الحملة

وكان غرض نابليون من التقدم نحو سورية ، ارغام الباب العالي (الحكومة العثمانية على بيان موقفها منه وحرمان الانكليز من الاستفادة من موانئ سورية (٢) . وقد تقدم نابليون في ١١ يناير عام ١٧٩٩ ميلادية نحو سورية ، فوصل القطية في ٩ فبراير ، ثم استولى على العريش ، واحتل غزة والرملة ، ثم حاصر يافا وفتحها ، وقتل ٣٠٠٠ اسير فيها ، ثم حاصر عكا غير انه رد عنها خائباً ، ثم رجع الى مصر ، واذاع بياناً أنه قتل خمسة آلاف من جنود الجزار باشا (٣) .

---

(١) صحراء سيناء - نعوم شقير .

(٢) الحملة الفرنسية .

(٣) والي عكا التركي .

تدابير نابليون ١ - امن « ٣٠٠٠ » جمل مع « ٣٠٠٠ » حمار لنقل حاجيات الجيش ، ويذكر الجبرتي ان الفرنساويين اخذوا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة ، والدقيق ، والعليق ، والبقسماط ، ثم رسموا على الاهلين عدة كبيرة من الحمير والبغال ، فخاف الناس على حميرهم ، وامتنع التعابون والبراسمة من الخروج وحصل للناس ضيق شديد ، هذا ولا بد أنه سبب نفرة السكان المصريين ، واذا ما علمنا ان نابليون كان يستند على مصر في تقدمه الى سورية ، يظهر لنا خطاءه في هذا الاسلوب في تأمين احتياجات القوة .

٢ - صادر طعام الاهلين لاجل تأمين الميرة المطلوبة لأعاشة جيشه البالغ « ١٣٠٠٠ » جندي ، منها « ١٠٠٠٠ » مشاة ، مقسمين على اربعة فرق و ٨٠٠ خيال و ١٤٠٠ مدفعي و ٣٤ مهندس و ٨٨ هجان .

٣ - ارسل الهجانة التي شكلها في مصر لمحاربة المماليك في مصر العليا ، وهذا يدل على جهل تام في خواص الصحراء ، فالجمل كما رأينا هو سفينة الصحراء ، وكان عليه ان يستصحب الهجانة معه ، ويترك غيرها من جند المشاة في هذا الواجب .

٤ - امن نقلية جمال ٢٠٠٠ جمل ، غير انه لم ينظمها جيداً ، مما يدل على عدم فهم مقرات قيادته ، ولم يعتن بادارتها واطعامها ، مما سبب موت الكثير منها .

٥ - شكل قاعدة امامية في القطية لمنع تقدم عدوه نحو مصر .

٦ - حفر آباراً كثيرة في الصحراء لاسقاء جيشه ، غير انه لم يكن لديه الا معلومات سطحية عن حالات الماء في صحراء سيناء ،

فبينما توجد مناطق فيها مياه صالحة للشرب اذ نجد الحملة بقيـــادة نابليون تحفر في مناطق متعددة ، وتستخرج مياهاً غير صالحة للشرب .

٧ ـ حمل الماء على ظهور الجمال لتأمين اسقاء جنده .

٨ ـ سار من مصر بملابس غيرموافقة مناخ فلسطين البارد ، ولم يتخذ التدابير لتأمين لباس للجنود يقيهم البرد في فلسطين . كما ان لباس جنده لم يكن موافقاً للصحراء ، سوى لباس الهجانة الذين ارسلهم الى مصر العليا .

٩ ـ يظهر ان التدابير لتأمين طعام الجيش غير كافية ، فاصبح طعام الجند قليلا ، حتى اضطروا الى ذبح الحمير والخيل ، ليأكلوا لحومها ، وقد بلغ بالجيش ان طبخ الحشائش ، والحيات والافاعي ليأكل الجند لحومها .

١٠ ـ قسم نابليون قوته الى اربعة اقسام وقدمها في الصحراء ، وكانت الحاجة الى المياه وقلتها تضطره الى ذلك .

١١ ـ قبل تقدم نابليون كان لديه نقص في التجهيزات والعتاد ، فاستفاد مما ينسج في مصر وصادر المواد النحاسية لاستعمالها في العتاد .

١٢ ـ فقد الجنرال كليبر وكان على المقدمة الاتجاه قرب شيخ زويد مما يدل على ضعف في الدلالة والتقدم في الصحراء يتطلب الدليل الحاذق ولا يصح الاعتماد على دليل واحد .

١٣ ـ كان يعرف نابليون وجماعته ان الرمال كثيرة في صحراء سيناء ومع ذلك لم يتخذ التدابير اللازمة لاجل تسهيل جر العجلات

والمدافع وانما كان يستخدم الجنود مع الخيل في جرها مما يسبب انهاكاً في قابليات الجنود البدنية فساعد هذا على الاخلال بالضبط.

١٤ - نقل قسماً من مدافعه على السفن لتسير بموازاة الساحل وذلك لاجل تسهيل نقلها وتقليل المتاعب في البر غير ان هذه وقعت غنيمة بيد الجيش الانكليزي الذي اعطاها للجزار باشا والي عكا فاستخدمت للدفاع عنها ضد نابليون « صاحبها ».

١٥ - كان يعتمد على مصر كقاعدة لجيشه غير انه ترك حاميات صغيرة فيها لمحافظتها فاستفاد الانكليز من الفرصة فنزلوا الى مصر فاضطر الى العودة مسرعاً اليها.

١٦ - كان من نتيجة عدم اتخاذ تدابير كافية لادامة الجيش والجوع والعطش ان انحل الضبط في حملة نابليون هذه فصوب قسم من الجند الرصاص على انفسهم فماتوا كما ان قسماً منهم ذبحوا حصان احد الضباط واكلوه وقاموا بثقب قرب الماء حتى ان قسماً منهم ثقبوا جود الجنرال كلبير ليشربوا الماء وبلغ الانحلال لدرجة ان الجنود اخذوا يسمعون الضباط كلمات جارحة كما انهم طالبوا برواتبهم وهم وسط صحراء سيناء لا للراتب لاجل ان يستفيدوا منه لأنهم اذا اخذوه فسيبقى في جيوبهم حتماً ولكن انحلال الضبط اوصلهم الى هذا الحد.

١٧) تقدم الفرنسيون وهم معتمدون على معلومات بسيطة في صحراء سيناء ولم يكونوا عارفين عن المنطقة التي يتحركون بها جيداً ويثبت ذلك ان احد الجنود اراد ان يحفر في الرمل قرب بئر مسعيد لاجل ان يجد رملا رطباً ليضع رأسه عليه من شدة العطش فوجد رملا

رطباً فحفر اكثر قليلا فخرج ماء صالح للشرب فشاع الخبر بين الجند فأخذ كل منهم يحفر وشربوا الماء .

١٨) وبعد فتح غزة يذكر ان الجند اخذ ينهب ويسلب في غزة على مرآى من نابليون نفسه .

١٩) قتل نابليون (٣٠٠٠) اسير في يافا ، واباح يافا لجنده مدة يومين فمثل الجند من الفضائع في يافا مالم يتصوره هو نفسه ، حتى كتب الى حكومة الدير كتوار (انه لم يتصور فضائع الحرب مثلما ظهرت في يافا)

وكان من نتيجة اعمالهم هذه ، أن اخذ السكان في مضايقتهم عند انسحابهم الذى لاقوا فيه صعوبتين ، وهما صعوبة تضييق العشائر والسكان ، وصعوبة قلة الموادالغذائية ، اذ لم يهيء ما يحتاجه الجيش فى العودة ، حتى ان نابليون اضطر الى رمي عدد من مدافعه في البحر كما اضطر الى احراق قسم من عجلاته لقلة الخيل .

وكانت نتيجة الحملة ان تكبد الجيش الكثير من الخسائر .

حادثتان

ولا بد ان نذكر هذين الحادثين حادث العرب في حمص وحادث نابليون في غزة ويافا ، اذ بينما يقول سكان حمص لابي عبيدة عندما انسحب منهم وأرجع اليهم اموالهم (لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم) لعدلهم ورأفتهم .

نجد ان جند نابليون ينهب غزة على مسمع منه ومرآى فلا يعترض عليهم مع العلم انه كان يدعى انه في عصر الحرية ، بل ارتكب هو افظع من ذلك حين قتل ثلاثة آلاف اسير في يافا بحجة انه ليس

لديه ما يطعمهم ، واذا ابقاهم مع الجند يخاف العدوى من الامراض اما ارسالهم الى مصر فمحذوره قلة الطعام لديه ، وخوفاً من وقوعهم بيد الانكليز اعدائه ، ولذلك اعدمهم الحياة .

ملكنا وكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم ابطح

وهكذا أظهر بطل الحرية في فرانسة ، وعبقرى الحرب في القرن الثامن عشر الذى عده الاوربيون اله الحرب أن الجيش الروماني في القرن السابع الذى كان ينقمون عليه ، وفضلوا العرب على حكمه بالرغم من قساوته وشدته ، اكثر رأفة وعدلا منه ، بنسبة التقاليد التى كانت مرعية في ذلك الزمان ، وهذه الحرب الاخيرة عام ٩٣٩-٩٤٥ اثبت الاوربيون بما قاموا به من اعمال ، يندى لها جبين كل بشر فاثبتوا انهم اكثر وحشية من الوحوش التى تعيش في الغابات ، وهم يدعون علينا التقدم بالعلم والتمدين .

تقويض الاتراك

غرض الحملة : الهجوم على مصر واحتلالها من الانكليز واعادتها الى حضيرة الامبراطورية التركية .

الموقف قبل الحملة : كانت العلاقات غير جيدة مع العرب فثورة في صنعاء والعسير وعدم الهدوء يشمل باقي اقسام الجزيرة العربية . وكان ينقص الاتراك « الجيش التركي » سكة حديد يستند عليها في تموين قواته من تركية وكانت المسافة بين ترعة السويس ورأس السكة « ٥١١ » كيلومتر منها مائة هي صحراء سيناء لذلك اتخذ الاتراك

عدة تدابير هي :-

تدابير الاتراك

١ - تقدم الاتراك بثلاثة ارتال قلب وجناحين على ان يسير القلب من بئر السبع الى الاسماعيلية بعشرة مراحل وكانت المرحلة يومياً « ٣٠ » كم فيقطع ٣٠٠ كم في عشرة ايام .

٢ - أمنوا ١٠٥١٤ جملا لنقل المؤنة والعتاد .

٣ - كدسوا الارزاق في بئر السبع ، وحفير العوجة ، ما يكفي للقلب لمدة شهرين ، وللجناحين لمدة ٢٨ يوماً .

٤ - امر مقر الجيش باستنباط المياه « حفر الآبار وتأسيس المستودعات للارزاق في الصحراء .

٥ - نظم ملاك خاص للبادية وفيه :-

«آ» حذفت الاشياء الزائدة والثقيلة من ملاك الجيش .

«ب» خصص للضباط خمسة كيلوات فقط من العفش .

«ج» خفض عدد الدواليب الى أقل حد ممكن .

«د» اخرج من هو من غير المحاربين من الحملة ، ولم يلحقوا بها كموظفي الحسابات ، والخدم .

«ه» لم تستصحب الخيم مع الجيش ، فكان الجنود ينامون في الفضاء ، سوى بعض الخيم للمستشفيات بنسبة مضربين لكل طابور .

٦ - الجراية : خصص لكل فرد ٦٠٠ غرام بقصماط و ١٥٠ غرام تمر و ٩ غرامات شاي .

٧ - القوافل : الفت خمسة كتائب هجانة لنقل الماء والارزاق ، وجعلت لكل كتيبة عدة زمر لحمل الماء والمؤن ، فكانت زمرة تحمل

من الماء والارزاق لمدة عشرة ايام فقط ما عدا ما يحمله الجندي .

٨ - تحميل الجمال : خصص لكل بعير يحمل الطعام كيسين شعير، وكيس واحد بقسماط مع زق ماء واحد ، كما خصص في كل زمرة ستة اباعر ، يحمل كل واحد منها (٢٠٠) كيلو من الماء ، ويلاحظ انهم لم يحملوه على الحجم ، كما خصص سبعة اباعر ، يحمل كل منها كيس شعير واحد ، وكيس تمر ، وتنكة شاي .

اما زمرة الماء فكان كل بعير يحمل ١٨٠ كيلو من الماء باوعية مختلفة الحجم .

٩ - وعلى كل زمرة ان تحمل مايسد حاجتها من الماء لمدة عشرة ايام للجنود والحيوانات .

١٠ - العتاد : تألف في رتل القلب ثمانية زمر لذخيرة البطريات الثقيلة ، وزمرتان لبطريات الصحراء ، وواحدة للمشاة .

وقد نقل لكل مدفع من مدافع (ابوس) ستمائة قنبلة ، وتتألف كل زمرة ذخيرة من ٨٧ بعير، ويحمل كل بعير اربعة قنابل للمدافع الكبيرة ، أو ستة عشرة قنبلة لمدافع الصحراء ، او ٢٥ قنبلة للمدافع الجبلية ، او اربعة صناديق للمشاة .

١١ - المسير : يبدأ المسير في الساعة (٥٣٠) صباحاً ، وتبدأ استراحة الظهيرة في الساعة (١٢٠٠) حتى الساعة (١٣٣٠) ويكون التعسكر في الساعة (١٤٠٠) الى (١٦٠٠) .

وقد سمح للجنود بفتح اربعة ازرار ، ويسامح الجنود في المسير. وقد كان سير الحملة التركية ليلا ، ويكون السكون نهاراً .

١٢ - ضاعف الاتراك عدد الحيوانات للفدان الواحد لتأمين جر

المدافع على الرمال ، غير انهم لم يتخذوا التدابير ، لتقوية تجهيزات الجر .

١٣ - استعملوا الالواح لاجل وضعها تحت العجلات لتأمين مسيرها على الرمال ، وكانت ترفع بعد مرور العجلات عليها، وتوضع امام العجلات مرة ثانية ، مما سبب انها كأ في العمل واضاعة وقت طويل وفي بعض المناطق التي يكثر فيها العشب ، كانوا يستفيدون من الاعشاب لوضعها تحت العجلات .

١٤ - ولتسهيل حركة الجنود ، فقد لبس كل جندي زوجين من الجواريب واعطى له حذاء بدون حاشية (حذاء خفيف)

١٥ - اتخذت تدابير الدلالة ، وامنوا الادلاء ، غير ان هـذه التدابير كانت ناقصة ، مما سبب اضاعة الطريق ، فاظل الرتل في الخبرة الاولى في ١٣ شباط حيث نهضوا سحراً وساروا مغلسين ، ففقدوا الاتجاه لبعضة ساعات .

المعنويات ١٦ - الضباط والائـمة يشجعون الجنود في المسير ، فرفعوا معنوياتهم حتى اصبحت بدرجة عالية ، فلم يبق مكان للتشجيع ومن جملة الوسائل لرفع معنوية الجنده و وعدهم بمنح مرتبات لعوائل الشهداء ، ومنحهم اراضي في مصر ، اما المتخاذل فكان جزاؤه القتل .

١٧ - لم يكن الجيش التركي مدرباً على القتال للاستيلاء على المعاقل ، فكان احد الاسباب في فشل الحملة .

تفويز الانكليز

كان الغرض من الحملة البريطانية عبر السويس منع الاتراك من التأثير على القناة ، ثم تطور هذا الغرض حتى اصبح الهجوم على الجيش التركي في سوريا واحتلالها .

وقد اتخذ الانكلتر التدابير التالية : -

١ - مدوا سكة حديدية طولها ١٤ ميلا من القنطرة ، حتى وادي الكوز مقابل غزة .

٢ - لاجل تموين القطعات بالماء ، مدوا خط انابيب للماء قطره (١٢) عقدة وقد استخدم الماء لاجل شرب القطعات ، وللمحركات لان الماء الموجود في الآبار كان مالحاً ، ولا يصلح للشرب اولاستعمال المحركات وكانت الانابيب قادرة على تجهيز (٠٠٠ ر ٦٠٠) غالون يومياً .

٣ - حفروا الآبار الكثيرة في صحراء سيناء لاستنباط الماء ، وقداستفادوا منها في اسقاء الارتال للقوافل والحيوانات (للحيوانات فقط)

٤ - استخدموا اطارات عريضة لعجلات النقلية ، وبذلك سهل عليهم جر المدافع والعجلات فوق الرمال .

٥ - جعلوا ١٦ حصاناً لجر المدافع ١٢ حصاناً لمدفع الصحراء ، و (٢٠) حصاناً لجر مدافع ٦٠ رطل .

٦ ـ استخدمت الزحافات لجر مدافع ١٨ رطل ، كما استخدمت الزحافات لنقل الجرحى ايضاً .

٧ ـ مدو الشبكات السلكية فوق الرمال ، وثبتوها بالأوتاد غير أن هذه الشبكات لم تكن لها القابلية على تحمل الوسائط الثقلية .

٨ ـ استخدموا عدداً كبيراً من الجمال للنقل ، فقد بلغ عدد في سنة ١٩١٦ (٢٠٠٠٠) جمل وفى سنة ١٩١٧ (٣٥٠٠٠) جمل وقد نظمت بسرايا كل سرية تتألف من (٢٠٠٠) جمل .

وقد استخدمت الجمال فى نقل الماء من رأس السكة الى القطعات فكان كل جمل يحمل فنطاسين من الماء ، سعة كل منها ٢/١٢ غالون بالاضافة الى الاستفادة منه كواسطة نقل .

٩ ـ نظراً لان الاطارات العريضة ، كانت تسبب تجمع الرمال فى وسطها فقد استعملت الاطارات المفلوقة .

١٠ ـ جهز الجنود باحذية سلكية ، لتساعدهم على المسير لئلا يعيقهم الرمل الذي يتساقط عليهم .

١١ ـ جند الانكليز بمساعدة السلطات المصرية (٥٦٫٠٠٠) شخص للاعمال العسكرية المختلفة ، فكان هذا احد عوامل ثورة المصريين فى عام ١٩١٩ بعد ذلك .

وبهذه تمكن الجيش الانكليزي من التفويز في صحراء سيناء بدون اى تعب للقطعات المحاربة ، وبذلك حافظوا على قابليتها في فى القتال فاداموا معنوياتها .

غير اننا نلاحظ ان اعمال مد السكة والانابيب استغرقت مدة طويلة جداً ، اضطر البريطانيون ، الى جلب انابيب الماء من اميركا .

كما لا ننسى ان الانكليز استفادوا من مدفعية الاسطول البحري الذي كان يسير مع القوات بموازاة الساحل بكامل حريته ، حيث لا يوجد اسطول معادي يحد من قابليته على العمل .

وقد اوردنا هذه الحركات الثلاث ، لتفويز قطعات سارت في صحراء سيناء ، لنتصور ما تحتاجه القطعات في حركاتها من الامور الادارية التي تشغل القادة اياماً واشهراً قبل القيام بالحركات وبذلك نتصور مقدرة قائدنا الخالد الذي تمكن من تفويز جيشه من دون اية خسارة ، فرحم الله خالداً الذي امتاز بين القادة بعبقريته الفذة في شؤون الحرب وادارة القطعات .

الفَصْلُ الثامِن

معركة اليرموك . الموقف السوقي قبل المعركة . اجنادين . التسلح . تنظيم الجيشين . الخيول القادة المعنويات . سرعة الحركة . التجمع في اليرموك وضع الجيشين . الجيش العربي . توحيد القيادة . المفاوضات . المناوشات الاولى . المعركة . على هامش اليرموك . اسباب خسارة الجيش البيزنطي . سبب انتصار العرب اثر معركة اليرموك . مرج الصفر .

معركة اليرموك

الموقف السوقي قبل المعركة

وصل خالد بن الوليد الى وادي اليرموك في ربيع الاول من سنة ١٣ هجرية ، والتقى باقسام الجيش العربي هناك . حيث اجتمعت باجمعها سوى فرقة عمرو بن العاص التي كانت في منطقة فلسطين ، يفصل بينها وبين الفرق العربية الاخرى نهر الاردن والبحر الميت .

وكانت هذه الفرق قد تقدمت من دون ان تلقى مقاومة شديدة كما ذكرنا ، وخاصة رتل عمرو بن العاص ولذا اتخذت القيادة الرومانية التدابير ، وخاصة بعد اكمال التحشد فقدمت رتلا بقوة ٢٠٠٫٠٠٠ روماني من انطاكية باتجاه حمص ، والتحق بهذا الرتل قوات كبيرة

من الغساسنة والارمن وتقدم رتل آخر بقيادة (تيودور) شقيق هرقل بقوة ٧٠٠٠٠ مقاتل فاجتمع هذا الرتل بثنية جلق (١) وانظمت اليه الحاميات الرومانية في فلسطين .

فلما شعر عمرو بن العاص بتقدم هـذا الرتل نحوه وقوته تبلغ عشرة اضعاف فرقته ، شرع بالانسحاب من جبهة فلسطين تدريجياً متجنباً الاشتباك في معركة معه .

اما الرتل المتقدم باتجاه حمص ، فقد وصلت مقدمته حمص واحتلت المدينة بعد انسحاب العرب منها واتجه الى (دمشق)

خطة خالد — هـذا هو الموقف عند وصول خالد بن الوليد ، واجتماعه بالفرق العربية وماكاد يتفهمه حتى كتب الى عمرو بن العاص ان يتقدم باتجاه رتل (تيودور) في جبهة فلسطين ، ويستدرجه اليه وانه سيعبر الاردن لمنازلة هذا الجيش وتدميره ، وعلى هذا تكون خطة خالد بن الوليد هي ترك قوات قليلة امام رتل حمص والعبور بجميع قواته الى فلسطين ، وتدمير جيش تيودور ، ثم الرجوع على الرتل الآخر وتدميره ، اى انه سيتحرك على الخطوط الداخلة .

مناقشة الخطة — كان خالد بين احد امرين تجاه ارتال عدوه المتقدمه نحوه وله ان يقرر احدى الخطتين :

الخطة الاولى : هي خطته التي اتبعها فكتب الى عمرو بن العاص ليستدرج عدوه اليه فيقبل معركة معه ويدمره قبل وصول الرتل

---

١ - جلق في منتهى سهل اسد رلون وذيل جبل السامرة ونعلها جنين التي كتب الله للجيش العراقي المسلم ان ينتصر بها على الصهيونيين في معركة فلسطين الاخيرة .

الآخر وهذه الخطة تتطلب قوات سريعة الحركة تتمكن من التقدم بسرعة ، ثم عليه ان ينهي المعركة مع هذا الرتل قبل ان يؤثر الرتل الروماني الآخر ويجب انلا يكون بين الارتال المتحركة على الخطوط الداخلة ما يمنع مساعدتها لبعضها ولكن هنالك نهر الاردن ، يفصل بين قوات المسلمين ، فهل سيتمكن خالد بن الوليد من التقدم وعبور الاردن والقضاء على عدوه في فلسطين قبل ان يؤثر رتل حمص فيتمكن بذلك من الاستفادة من الوقت ويزيل رتلا قوياً على جناحه الايسر وبذلك يضرب قوات عدوه منفرداً .

الخطة الثانية : ان يترك عمرو بن العاص يتخذ خطة المشاغلة تجاه رتل فلسطين ، ويتهيأ بالفرق الاخرى للدفاع تجاه الرتل المتقدم من حمص .

وهذه الخطة هي خطة دفاعيه محض ، لا يمكن تأمين النجاح فيها والنصر لايحصل الا بالتعرض .

كما انه بهذه الخطة يجعل جميع قواته بوضع الدفاع ، وضعيفة تجاه كلا الرتلين المعادين ، وكل من هذين الرتلين المعادين ، يتفوق على مجموع قواته . كما ان وجود العوارض بين قواته مما يمنع تعاون القوات فيما بينها .

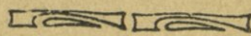
واذا نظرنا الى غاية رتل تيودور ، نراه يتقدم في فلسطين ، وقد يستهدف ان يتقدم الى جنوب البحر الميت حيث يظهر من اتجاه العربة ، وبذلك يقع بقواته على خطوط مواصلات الفرق العربية ، فيسهل على الجيش الروماني القضاء على قوة خالد بن سعيد في المعارك الاولى ، وان قوة رتل تيودور تساعد على ذلك .

واذا فرضنا ان عمرو بن العاص ، تمكن من الصمود تجاه القوة ومنعه من التأثير على خطوط المواصلات مع المدينة المنوره ، فان بقاء رتل عمرو بن العاص فى فلسطين هو وحده خسارة للجيش العربي حيث ان لهذه القوة فائدة كبرى في المعركة الفاصلة وعددها كبير جداً بالنسبة الى موجود الجيش العربي فعددها يبلغ سبعة آلاف مقاتل من مجموع اربعين الفاً .

ولم يغب هذان الموقفان عن حساب خالد بن الوليد ، فلا بد ان درسها جيداً .

ولذلك اتبع خالد الخطة الاولى ، وامر عمرو بن العاص بالتقدم نحو تيودور ليستدرجه اليه وسار خالد بالقوات العربيه ، وعبر نهر الاردن ليجتمع مع عمرو بن العاص ، ويقاتل تيودور في معركة اجنادين بعد ان ترك قوات اخرى لمشاغله الرتل الرئيسي فيما اذا اسرع بالتقدم من حمص حيث لازال هناك ، ولذلك فان قرار خالد هذا هو قرار خطير غير انه صحيح بالنسبة لهذا الموقف .

معركة اجنادين (١)



في يوم ٢٧ من جمادي الآخر سنة ١٣ هجرية الموافق ٣٠ تموز

---

(١) اجنادين : كوره في بيت جبرين ، وقيل انها بين جبرين واليرموك او انها بين بيت جبرين والرملة ، ويعتقد انها بين القدس واريحة الخالية ويدل على ذلك ان خالد تمكن بسرعة من الاتصال بعمرو بن العاص ، والاشتباك بالمعركة وتدمير جيش تيودور ، والعودة الى اليرموك قبل تقدم جيش الروم من حمص .

سنة ٦٣٤ ميلادية تمكن خالد بن الوليد من تحشيد قواته امام تيودور ، واشتبك معه بمعركة دامية ، تمكن بها خالد بن الوليدمن تشتيت الرتل الروماني فدخل قسم منه مدينة القدس وتحصن فيها .

ولم يطارد خالد عدوه ، ويستثمر النصر كما سنرى لان الموقف لا يسمح له بالاشتباك بمعركة طويلة الامدفي هذا الاتجاه لان رتل حمص بطريق تقدمه .

اختلفت المصادر العربية في قوة الروم فيذكر قسم منها انها قوة الروم كانت (٧٠٠٠٠) مقاتل وذكر البعض انها (٩٠٠٠٠) مقاتل او (١٠٠٠٠٠) مقاتل سرب هرقل اكثرهم والتحق اليهم قسم كبير من حاميات الرومان في فلسطين . (١)

اما المؤرخين الغربيين ، وخاصةمنهم المتعصبين للرومان فانهم يقللون عدد هذه القوة . (٢)

ونعتقد ان قوة هذا الرتل لا تقل عن (٦٠٠٠٠) مقاتل باي حال وذلك لان واجب هذه القوة كان النزول على خط مواصلات الفرق العربية التي كان عددها قبل ورود جيش خالد (٣١٠٠٠) مقاتل فلا بد ان يكون هذا الرتل قادر على الصمود وراء هذه القوة بينها وبين النجدات التي لا بد وان ترسلها المدينة لمساعدة الفرق الاسلامية ولو

---

(١) راجع الطبري جـ ٤ ص ٣١ ـ البلاذري ـ فتوح الشام الواقدي وابن عساكر وغيرهما .

(٢) الاب لامانس حيث يعتقد ان هذا الجيش ما هو الا حاميات رومانية غير مدربة ونعتقد ان في هذا مغالطة مقصودة .

كان ضعيفاً لما اضطر خالد للعبور اليه بمعظم قواته على ان الحاميات الرومانية التي كانت في فلسطين، قد شتتها ابو امامه الباهلي في معركتي العربة وداثن كما سبق ان بينا .

مقدمة النصر

لم نجد اسلوب المعركة التي جرت فيها موقعة اجنادين، وانما هنالك مناوشات فردية انتهت بالتحام الجيشين مع بعضها تمكن به الجيش الاسلامي بقيادة خالد بن الوليد من تدمير هذا الرتل الروماني وهذا الانتصار الذي احرزه خالد بن الوليد على جيش (تيودور) اخا هرقل الامبراطور الروماني، هو مقدمة الانتصار الذي احرزه خالد في اليرموك .

فقد تمكن من ضرب قوات عدوه منفردة فقضى على رتل فلسطين وشتت قوته التي التجأ قسم منها الى مدينة القدس المحصنة، يحتمى بها قبل ان يتمكن عدوه من مساعدة هذا الرتل ويؤثر في المعركة . ففاز بالانتصار السوقي على عدوه الذي كان يسعى ليضرب ارتال العرب منفردة ويحوز النصر لنفسه، على ان خالداً عبر بقواته بعد ان انتهت المعركة الى الضفة الشرقية لنهر الاردن، ولم يطارد القوات المنهزمة من الميدان لعدم مساعدة الموقف لذلك .

وهكذا تمكن خالد من تطبيق القسم الاول من خطته .

التسليح

تسليح الجيش الرومانى

كان الجيش الروماني ينقسم الى صنفين في معركة اليرموك .

(١) الصنف الاول وهم المشاة وهؤلاء مسلحين بالسيوف والرماح القصيرة (المزارق) والفأس ويستترون بالدرق وقسم منهم مدرب

على رمي النبال (النشاب) .

(٢) الصنف الثاني وهو صنف الخيالة ، ويتسلح هؤلاء بالسيوف والرماح ويستترون بالدرق ويلبسون الدروع كأن الفارس الروماني قطعة من حديد ولم يكتفوا بتدريع الفارس ' وانما درعوا فرسه ايضاً فلا يظهر منه الا قوائمه وحدقه .

ونشرح الان انواع هذه الاسلحة .

المزارق - الرمح القصير (المزراق) وهو خاص بالمشاة وطوله ثلاثة اذرع او بطول ستة اقدام مع اسنان فولاذية طولها ١٨ قيراطاً ، يرميه الجندى في المعركة على عدوه من مسافة تتراوح بين احدى عشر خطوة الى خمسة عشر خطوة ، واسمه في الرومانية (هاستا) ويستعمله جنود الصف الاول في القتال .

الرماح — . ويستعمل جنود الصف الثاني والثالث من صفوف القتال الرماح الطويلة ، ويبلغ طولها بين خمسة الى سبعة اذرع ، وتستعمله الخيالة ايضاً . كما ان للرومان رمح آخر هو رمح الاثنية (الاثنين) وطوله بين اثني عشر الى خمسة عشر قدماً ، ويستخدم لقتال الفيلة .

الفأس — ويستعمله جندى المشاة والجندى الراكب في العجلات وقد تكون هذه الفأس ذات حدين (رأسين) .

السيوف — والسيوف الرومانية ذات انواع كثيرة ،وقد تكون ذات حدين ، وهي مستقيمة ، وكانت هذه السيوف ضخمة وطويلة ومتينة ، لتكون لها قابلية على اختراق الدروع وقد التروس [١] .

---

(١) دائرة المعارف - وجدى كلمة (سيف)

ويتطلب استخدام هذه السيوف قابلية بدنية كبيرة في الجندي المقاتل .

الرماح النارية — وطول الرماح النارية بين اربعة أو خمسة اقدام ويتكون القضيب فيها من حديد، وبرأسه شعلة من النار ،وتستخدم للقذف على ابواب الحصون لاحراقها ، بعد رمي المواد المشتعلة عليها او لحرق الخيام والمعسكرات .

النبال — كما كان الرومان يستخدمون النبال للرمي على الاعداء، وخير اسلوب لرميها هو الرشق المستمر ، فكلما كثر الرمي فيها بصورة مجتمعة ، تكون مؤثرة فهي كحزم النيران التي ترمي من عدة بنادق في وقت واحد في العصر الحاضر .

العجلات والدبابات — ولم يستخدم الرومان العجلات أو الدبابات في قتالهم مع العرب في معركة اليرموك كما لم يستخدمها العرب ايضاً .

التدريع — كان المحارب الروماني ، يدرع بدروع قوية ، وخاصة الفرسان الذين لم يكن يظهر من اجسامهم الا عيونهم (الحدق) وقد كان في الدرع مفاصل تؤمن حركة المقاتل .

ولم يكتف الرومان بتدريع الفرسان فقط انما درعوا خيولهم ايضاً ولذا فان الفارس الروماني كان يدخل المعركة وهو مطمئن الى درعه الذي تدرع فيه مع حصانه ، غير ان النقص في هذا التدريع هو تحديد حركة المقاتل بصورة طليقة مما يسبب انقاص قابليته في القتال .

الترس — وهو المجن الذي عليه تدور الدوائر ، كما يقول مقاتلوا العرب ، فقد كان الرومان يستعملوه ويعملوه من الحديد ، مما يسبب

ثقلا على المقاتل .

القضيب — وهو عمود من حديد يستعمله الفارس على الاغلب وبعض المشاة لمقاتلة عدوه ، ويستعمل تجاه عدو مدرع بدرع ثقيل ، لا يؤثر فيه السيف ، او مع مقاتل لا تحصل منه غفلة عن مقتل

التسليح



تسليح الجيش العربي

اما الجيش العربي فكان ينقسم الى صنفين ايضاً .

«١» الصنف الاول وهو صنف المشاة ويتسلحون بالنبال والرماح القصيرة والسيوف .

«٢» الصنف الثاني الخيالة ويتسلحون بالسيوف والرماح الطويلة .

ونشرح انواع هذه الاسلحة التي كانت يستعملها الجيش العربي في اليرموك .

السيف — وهو سلاح القتال الرئيسي الذي برع به العرب في جميع حروبهم ، وكان السيف العربي ، مقوساً على الغالب وبعضها مستقيمة ، وقد أعتنى العرب بسيوفهم اعتناء كثيراً ، يدل على ذلك كثرة الاسماء التي سمى بها السيف وأشهرها السيوف اليمانية ، والهندية « المهندة » والسيوف المشارفية «١» وكان سيف خالد بن الوليد يعرف « بذى القرط » .

وكان قسم من هذه السيوف ذات حدين وخاصة السيوف اليمانية

---

(١) نسبة الى مشارف الشام

والمؤمل ان تكون هذه السيوف طويلة ، وضخمة ، ومتينة ، لاجل مقاتلة عدوهم المسلح بهذا السلاح .

الرماح — وهي على نوعين .

١ ـ الرماح القصيرة « الشائفة » يستعملها المشاة ، وقد يستعمل المشاة المزراق أيضاً « كما سبق ان ذكرناه في سلاح الرومان » .

٢ ـ الرماح الطويلة ويستعملها الفرسان دائماً ، وقد سبق وصفها أيضاً .

وكلا النوعين من هذه الرماح ، يتكون من قناة الرمح وهي من خشب البردى القوى وفي رأسه حربة حادة .

النبال — وكانت النبال « النشاب » مستعملة لدى العرب ، الا ان العرب لم يستعملوها بكثرة في حروبهم ، مع ان الرسول «صلعم» كان يشجعهم على استعمالها «١» ، فلم يستخدموها الا في الرمي على الحصون وفي حالات قليلة في المعارك .

الترس — والترس ملازم للسيف ، فلا بد للمقاتلين من استعمالها وكانت منتشرة بين المقاتلين العرب ، الا انها لم تكن من الصلب كما هي لدى الرومان وانما مصنوعة من جلد البقر المتين فيكون خفيفاً يخفف بعض الثقل عن المقاتلين .

التدريع — كان العرب يستخدمون الدروع في القتال ، فيلبسها المقاتلون ، الا انها لم تكن كدروع الرومان في القتال ، وقد كان العربي يفضل ان يقاتل بلا درع ، لان الدرع يعيق حركته حتى

---

(١) قال الرسول (اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي . ألا أن القوة الرمي . ألا ان القوة الرمي) .

ان ضرار بن الازور ، قاتل وهو بسراويله(١) فقط .

بعض اقوال العرب فى الاسلحة : يستحسن ايراد بعض أقوال العرب فى الاسلحة المختلفة لأنها تبين لنا درجة اعتمادهم عليها فى القتال .

اقوال فى الرماح :

١ ـ الرمح خوان ، وربما زاغ عن الطعن ، ويقول عمرو بن معدى يكرب عن الرمح . —

أخوك وربما خانك وانقصف .

٢ ـ النبال منايا منها المخطىء ومنها المصيب .

٣ ـ الترس وهي المجن الذى عليه تدور الدوائر .

٤ ـ السيف والجحف عليها تدور الدوائر .

تنظيم الجيش

كانت الخدمة فى الجيش الرومانى اجبارية على كل رجل يملك ما يقارب من عشرة آلاف فرنك ، ويتراوح عمره بين سبعة عشر الى خمسين سنة ، على ان الفرد الرومانى ، كان يفضل التطوع فى الخدمة على الخدمة الاجبارية ، فكثرة عدد المتطوعين فى الجيش الرومانى مما سبب اضعاف اللجيون . تنظيم الجيش الرومانى

وكانت الوحدة الرئيسية فى تشكيل الجيش ، هى اللجيون ، وكان

---

(١) فتوح الشام ـ الواقدى جـ١ ص٢٤ وما بعدها .

الجيش الروماني يتألف من ثلاثة او اربعة لجيونات وبعد اشتداد الحاجة ، اصبح عدد اللجيونات في الجيش ثلاثة وعشرين لجيونا ، وكان يتألف الجيش من لجيونين من الجند الروماني الاصيل ولجيونين من الجند الموالي للرومان ، او التابعين للسيطرة الرومانية .

اقسام المقاتلين وقد قسم الجيش الروماني الى اقسام بالنسبة لمقدرة الافراد ، وقدمهم في القتال ، فكانت هذه الأقسام اربعة هي : —

(١) وليـ (*we*) وهم المشاة الخفيف ، ويتكون من اصغر الجنود سناً ، وهم الجنود الاحداث في الخدمة العسكرية .

(٢) الهاستر (*haster*) وهم المشاة الثقيل من الجنود المدربين ، وسنهم اكبر من جنود قسم وليت .

(٣) البرنس (*princ*) وهم الشجعان الذين اشتهروا في الحروب .

«٤» تريير « *trier* » من الجنود الذين لهم خدمات جليلة في الحرب .

تأليف اللجيون — كان اللجيون يتألف من مختلف الاقسام الاربعة المارة الذكر ، وبذلك تكون وحدة القتال في الجيش الروماني من النسب التالية : —

«١» ٣٠٠ مقاتل من الفرسان

«٢» ٦٠٠ مقاتل تريير .

«٣» ١٢٠٠ مقاتل برنس .

«٤» ١٢٠٠ مقاتل هاستر « مشاة ثقيل »

«٥» ١٢٠٠ مقاتل وليت « مشاة خفيف »

٤٥٠٠ المجموع العام لقوة اللجيون .

ويظهر من هذا التأليف ان اللجيون ، كان له قابلية القتال منفرداً وباضافة الخيالة اليه اصبح متجحفلا من الخيالة والمشاة المختلفين بالتسليح .

نظام القتال لدى الرومان

كان الرومان يضعون المشاة الخفيف في الصف الاول ، وخلفه - المشاة الشجعان ، ثم المشاة الثقيل بنوعيه على صفين ، اما الخيالة فكانت توزع على اللجيونات (كما رأينا) وقد تبرز امام الصف وعلى الجانبين ، ثم تطور هذا النظام ، فلما حدثت معركة اليرموك كان اللجيون يتألف من عشر كراديس حيث ان التنظيم تطور لدى الرومان ، وقد وضعوا كل لجيون بصفين خمسة كراديس من الامام ، وخلفها خمسة كراديس اخرى بين الفرجات لكراديس الصف الاول .

ويكون في الصف الاول المشاة الخفيف وليت اما في الصف الثاني ، فيكون المشاة الثقيل (الهاستر برنس . تريير) .

اما رماة النبل فانهم يتقدمون الى الصف الاول مع المشاة الخفيف ، عندما تدعو الحاجة اليهم .

تنظيم الجيش العربي

كان الجيش العربي يتألف من المجاهدين الذين يلبون دعوة الجهاد متطوعين للخدمة ، يدفعهم ايمانهم ، وتلاحظ في المتطوعين الكفاءة البدنية ، وقد يصرف النظر عن العمر اذا ما كانت الكفاءة البدنية للمقاتل ، (١) تساعده على تحمل مشاق المعركة .

---

(١) يدل على ذلك حادث رافع وسمرة في زمن الرسول .

وفي ابتداء معارك خالد كان المهـــاجرون والانصار يشكلون كردوسين ، والقبائل الاخرى كل منها تشكل كردوساً بقيادة رئيس منها ، واستمر هذا الاسلوب طيلة حروب التوحيد في الجزيرة العربية ثم في قتال الفرس في العراق حيث اخـذ خالد في تعيين قادة اكفاء للقتال ، ويلاحظ فيه أيضاً بقاء القبائل تحت راياتها (اي انها بقيادة رؤسائها) ولما حدثت معركة اليرموك كان نفس الاسلوب متبعاً اما الخياله فكانت تشكل كراديس مجتمعه .

كان نظام القتال لدى العرب في ذلك الوقت نظام الصف الذي كان شائعاً فكان الرسول (صلعم) يسوى الصفوف للقتال بنفسه في معركتي بدر وأحد .

أما خالد بن الوليد فكان يقسم قواتـــه في التقدم الى المقدمة والميمنه والمسيره والمؤخره والكوكب وهو القسم الاكبر من الجيش ، ولذلك سمت العرب الجيش الذي يتخذ هـذا الاسلوب (بالخميس) لانه انقسم الى خمسة اقسام .

وفي جميع معارك خالد نرى انه كان يقسم جيشه الى ثلاثة اقسام رئيسية ، هي القلب ثم الميمنة والمسيره وهو الاسلوب المتبع في ذلك الوقت لدى العرب والفرس والرومان أيضاً .

ويذكر جرجي زيدان ان الاساليب التي كان يتبعها العرب في القتال هي الهلال والمثلث والمربع والدائرة . وتكون الدائرة على نوعين اما دائرة منفردة أو مندرجة . ويتبع هذا الاسلوب من القتال « نظام الدائرة » عندما تكون القوات العربية قليلة فيصبح بذلك كل جندي يحمي ظهر رفيقه ويقاتلون متساندين كتفاً لكتف .



نموذج لفارس روماني مدرع بالحديد مع حصانه

الخيول



نظراً لما للخيل من تأثير كبير في المعارك الجارية في ذلك العصر ، فلا بد من مقارنـة الخيول التي لدي الرومان ، والخيول التي لدي العرب لمعرفة قابلية كل نوع من هذه الخيول على القتال ، وخاصة ان الرومان ، كانوا يدرعونها مثل الفارس . واهمية الخيول في ذلك العصر هي تشابه اهمية الدروع « العجلات المدرعة » في الجيوش الحديثة في العصر الحالي .

خيول الرومان

وقد كانت الخيول الرومانية ضخمة الاجسام ، ممتلئة الجوانب ، واسعة الصدور ، لها قابلية على تحمل متاعب القتال ، والاستمرار في المعارك ، ويعتمد الرومان على صنف الخيالة كثيراً ، فتفننوا في تسليحهم وتدريعهم ، حتى انهم درعوا الخيل ، فـلا يظهر منها الا قوائمها الاربع وحدقها ، مما سبب تحدداً في حركتها .

الخيول العربية

اما الخيول العربية ، فهي عصبية رشيقة ، مفتخره بعتقها ، مختالة في مراتعها ، مثال الاناقـــة في شكلها ، وهي برؤوسها المستديرة ، واحداقها الوهاجة ، ومناخيرهـا الواسعة ، و كواهلها الناهضة . وجوانبها الممتلئة ، القصيرة ، واكفالها الطويلة ، وذيولها المتموجة ، وقوائمها الدقيقة المتينة عنوان الجمال ، وهي بدعتها ، وباسها ، وقناعتها ، وسرعة عدوها ، تفضل احسن الانواع الاوربية . (١)

---

(١) حضارة العرب غوستاف لوبون - ترجمة زعيتر .

وبلغ حب العرب للخيل ، ان قيل في المثل (اغسل قوائم فرسك واشرب ماءها) .

ومن هذا يتضح لنا انه بالرغم من قلة الخيل العربية في ميدان المعركة بالنسبة لما هو متيسر لدى الرومان استفاد العرب منها فائدة كبرى لأن الصحراء ، قد عودتها الصبر والقوة ، فهي كالفارس البدوي الذي طبع على الصبر والجلد ، فكانت تساعد العرب اكثر من مساعدة خيول الرومان لهم ، ومع ذلك فأن العرب لم يثقلوا كواهل خيولهم بالدروع ، كما فعل الرومان الذين حددوا قابلية الحصان بنتيجة التدريع ، بل ان العرب حافظوا على قابلية الفارس والفرس في المعركة ، وتفويز خالد بن الوليد بخيوله في الصحراء ، يدل على قابلية هذه الخيول على الصبر ، وتحمل المتاعب .

القادة

للقادة اثر كبير في تسيير دفة الحرب وتوجيهها . ولم يعدم الروم العرب القادة الاكفاء ، فقد كان في الجيش الروماني قادة مجربين ، تمكنوا من قيادة القطعات الرومانية في حربهم ضد الفرس فاحرزوا نصراً كبيراً على فارس ، فيدل ذلك على خبرة تامة في شؤون الحرب ، وادارة المعارك وسوق الجيش .

غير ان هذه القيادة ينقصها الجرأة ، كما سيظهر لنا في معركة اليرموك ، باتخاذهم الدفاع في المعركة مع تفوقهم بالعدد تفوقاً مطلقاً على العرب .

اما العرب فقد اكتسب قادة جيوشهم خبرة كبيرة في القتال في حروب التوحيد ، غيرانهم لم يكونوا ليقودوا القطعات الكبيرة في المعارك ، كما لم يشتبكوا في المعارك مع جيوش نظامية كبير ماعدا

بعض المعارك الصغيرة مع الحاميات الرومانية، ولهذا لم تكن لهم خبرة في الحرب كخبرة قادة الجيوش الرومانية الذين اشتركوا فيها واكتسبوا خبرتهم لعوامل كثيرة، فتفوقوا على القادة العرب ما عدا خالد بن الوليد الذي تمكن بقتاله في حروب التوحيد، وقتاله في العراق ضد الفرس ان يكتسب خبرة كافية في كيفية قيادة القطعات واستخدامها، ودراسة مواقف الحرب المختلفة. غير ان القادة العرب ان كانوا لم يوازوا القادة الرومان في خبرتهم في الحروب تجاه عدو منظم سوى خالد بن الوليد كما ذكرنا، فانهم يمتازون على القادة الرومان بنوع آخر من القتال، ذلك هو قتال الصحراء الذي برعوا في اساليبه، فبزوا غيرهم من قادة الامم، ولم يكن لدى الرومان خبرة كافية في هذا النوع من القتال (قتال الصحراء) ومتطلباته، فاستفاد العرب من امتيازهم هذا ويساعدهم سفينة الصحراء الجمل على هذا التفوق.

المعنويات

لم تكن معنويات الجند البيزنطي، تساوي معنويات الجند العربي الذي يقاتل وهو مؤمن بعقيدته ومعتقد ان الله في عون العبد، ما دام العبد في عون اخيه، وما دام مخلصاً في جهاده، كما انه مؤمن بأنه يقاتل قوماً على ضلال، وهو على الهدى، محامياً عن المكرمات، وان نتيجة قتاله، اما ظهور واما شهادة. وفي كلتا الحالتين فهو غير مغبون، فان ظهر فانما النصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. وان قتل في الحرب فهو يريد لقاء ربه، والدار الآخرة، هي دار الخلود، وما عند الله خير وابقى، تلك فكرة العرب. فسمت الروح المعنوية لديهم الى درجة عالية، لم تسم

اليه معنويات المحارب البيزنطي ، بل على عكس ذلك نتيجة التفسخ الاخـــلاقي والانحلال العام في الامبراطوريـة وبنتيجة الظلم والاستبداد ، وتكالب الحكام على حماية مصالحهم ، وتركهم مصلحة الشعب ، شعر الفرد بانه انما يقاتل عن مصالح الطبقة الحاكمة ، لا عن مصالحه ، فسبب ضعف الشعور بالمسؤلية العامة ، وما زادفي تفرد الشعب ، هي كثرة الضرائب التي اضطرت الحكومة الرومانية الى جبايتها من الشعب ، بسبب حربها مع الفرس الذي كلفها مصاريف باهضة ، اجبرتها على قطـع المخصصات التي كانت تصرف للغساسنة الذين كانوا يحمون الحدود من جهة البادية .

سرعة الحركة

بطاءة الجيش الرومانى

كانت سرعة حركة الجيش الرومانى بطيئة ، وسبب هذا البطء هو كثرة اثقال الجيش والاحمال التى يستصحبها عند تنقله من مكان لآخر . كما ان المدروع التي درعت بها الخيل والفرد المقاتل ذادت في اثقال الجندي فحددت حركته ايضاً .

والمبالغة في التدريع والاثقال الكثيرة جعلت الجيش الرومانى يصلح لقتال الدفاع اكثر من الحركات الهجوميه .

وكان من عادة الجيش الرومانى (خطته السوقية) ان يترك العرب يتقدمون في داخل البلاد التي تحت حكمهم وبذلك تطول خطوط مواصلاتهم ، ويبتعدون عن قواعدهم ، وعن الصحراء التى ينسحبون اليها ، عند ما تكون نتيجة المعركة في صالح عدوهم ، وعند ذلك

يستفيد الجيش الروماني من هذه الحالة ويضرب القوات العربية .

سرعة الجيش العربي

اما الجيش العربي المسلم ، فكان على عكس الجيش الروماني ، خفيف الاثقال ، والجندي العربي خفيف الاحمال والتجهيزات ، ليس لديه غير السيف والرمح والدروع الخفيفة «١» ، كما استفاد العرب من الجمل استفادة تامة فلم يتمكن الرومان من استخدامه مثل العرب .

وقد رأينا من معارك خالد بن الوليد في العراق ، ومن حركته في التفويز ، كيف ان الجمل كان يحمل اثقالهم ، ويحملهم على ظهره ، ويسقيهم من البانه ومن الماء الذى يخزنه في جوفه ، وانه يكون جسراً من جسمه لعبور خنادق العدو ، كما ساعدهم على الانسحاب من المعارك الفاشلة مع الرومان كمعركة مؤتة .

وخفة الاثقال مع الجيش العربي ، جعلته قادراً على التنقل من مكان لآخر بسرعة اكثر من سرعة الجيش الروماني ، الامر الذي ساعد على ان يكون العرب مهاجمين في جميع معاركهم .

والجيش الذي يحافظ على سرعة الحركة اكثر من خصمه ، تكون له حرية العمل والمبادأة في جميع الاوقات .

التجمع فى اليرموك

بعد ان انتهى خالد بن الوليد من معركة اجنادين ، وشتت

---

(١) نقصد بذلك ان الدروع العربية خفيفة بالنسبة الى الدروع الرومانية .

قوات الرومان في جبهة فلسطين ، اسرع بالتجمع مع القوات العربية الأخرى في جبهـة سورية ، فعبر نهر الاردن الى جنوب وادي اليرموك وعند ما بلغ هرقل خبر هزيمة الجيش البيزنطي في جبهة فلسطين ، اوعز الى تيودور ان ينزل بمنزل واسع جامع حصين (١) ليدافع تجاه العرب عن سورية .

ويظهر انهم تأثروا بنتيجة معركة اجنادين ، فافقدتهم معنوياتهم تجاه الجيش العربي ، وبذلك قرروا قبول المعركة ، وهم فاقدون لأول ركن من اركان الانتصار (المعنوية) وهو الايمان بالنصر

نظرة في الموضع

كان الموضع يستند على نهر الاردن وبحيرة طبريا (٢) من اليمين (الغرب) ويحميه وادي اليرموك من الامام وجهته الى اليسار قليلا .

ونهر اليرموك نهر صغير ينبع من جبال حوران (جبال الدروز) ويصب في نهر الاردن على بضعة اميال جنوبي بحيرة طبريا ثم يستدير على بعد ثلاثين ميلا من التقائه بنهر الاردن ليكون شبه دائرة ، تحتضن سهلا فسيحاً منبسطاً ، يصلح لان يكون معسكراً لجيش كبير . اما ضفافه فمنحدرة وعرة ، وكذلك به انحناء يؤدى الى فضاء مسطح يسمى بالواقوصة المشهورة (٣)

واذا دققنا الخريطة رأينا ان جبل عجلون ، يكون جنوب مصب وادى اليرموك بنهر الاردن فيكون نهر اليرموك ينحدر فى منتهى

---

(١) الطبرى ج٤ ص ٢٧ .
(٢) بحر الجليل
(٣) سيد امير علي

السفوح الشمالية لهذا الجبل ، ويقع جبل الدروز (حوران) فى شرقه ، وعلى مقربة من سفوح جبل حوران الغربية ، تقع بصرى (اسكي شام) .

ويصب في نهر اليرموك الوادي الذي يبدأ من سفوح جبل حرمون الجنوبية ،ويصب فيه نهر الرقاد، ولعله الوادي الذى يصب فى منطقه « درعا » حالياً .

فرأى الروم أن ذلك الموقع معسكر طبيعي محصن من اطرافه ، فحشدوا جيوشهم فيه ، دون ان يحسبوا حساباً للعرب (١) .

وقد احسن القائد الرومي في اختيار هذا الموضـــع الدفاعي لجيشه ، فهو بالاضافة الى انه حصين في جميع اطرافه ، فان خط مواصلاته عامودى عليه ، وامين حتى داخل سورية ، أما نقطة الضعف في الموضع ، فهى انه يمكن احاطته من جناحه الايسر لوجود فتحة فيه تتطلب قوات لمراقبتها ، ولما كان الروم متفوقون على العرب بنسبة ٦ - ١ فلم يبق مجال للخوف من هذا المحذور اذا ما استخدمت القوة استخداما صحيحاً .

غير ان القائد الروماني لم ينتبه لهذه النقطة الخطرة في موضعه ، فسبب ثغرة كبيرة ، ما ان شعر العرب بها ، حتى اشغلوها ، فوقعوا بقواتهم على هذه الثغرة كما سنرى .

وقد انظم الكثير من رجال الغساسنة الذين كانوا موالين للرومان الى جيشهم . بلغ الجيش الروماني ٢٤٠٫٠٠٠ مقاتل في المعركة ،

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٧

(٣) بلغ تعداد الروم هذا الرقم بعد وصول مدد باهان الارمني ويظهر ان قوة باهان (٤٠٠٠٠) مقاتل لان الجيش الروماني كان (٢٠٠٫٠٠٠) عند ما سار من انطاكيا.

وقد بقي الرومان في موضعهم مدة تقارب الشهرين ، يتهيؤون للقتال ، فاتخذوا مختلف الاساليب لرفع المعنويات ، فكان القسيسون والرهبان يثيرون الحمية الدينية فيهم ، ويشجعهم القادة ، وقد نظموا الجيش على شكل كراديس ، وقسموه الى ميمنة ، وميسرة ، وقلب ، فوضعوا الخيالة على صفين في الامام الصف الاول خيالة الغساسنة ، وخلفها خيالة الرومان ، وبعدها المشاة .

وضع الجيش العربي

اجتمع العرب في اليرموك ، وما ان شعروا بخطأ عدوهم ، حتى خفوا فوضعوا قواتهم التي في الميمنة على الفتحة التي تركها الروم على جناحهم الايسر ، فدل عملهم هذا على خبرة عسكرية ودراية في التعبية الحربية بخلاف القائد الروماني .

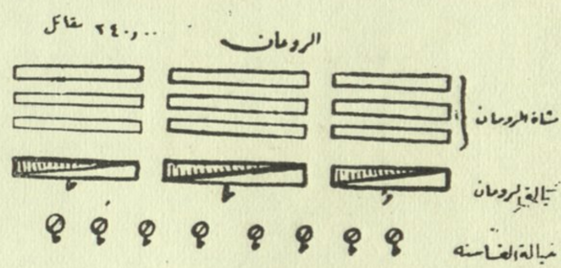
وبلغ مجموع الجيش العربي ٤٠,٠٠٠ مقاتل فكان موجود الجيش العربي بالنسبة الى موجود الجيش الروماني ١ - ٦ .

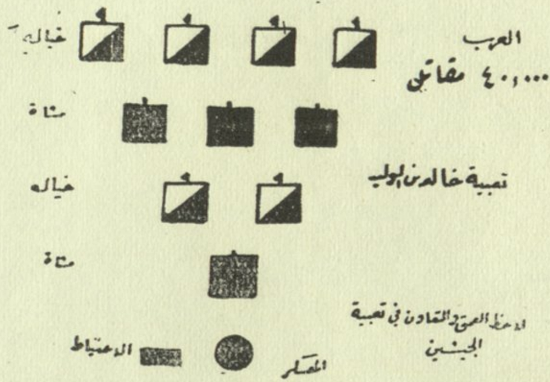
وبعد ان استطلع خالد قوات عدوه ، وقدر موقفه ، رأى ان لا قبل له بمقاتلتهم ، وهو على تعبيته ، ما لم يغير ذلك ورأى ان عدوه قد رتب جيشه على شكل كراديس واضعاً الخيالة في الامام والمشاة خلفهم . ولما رأى هذه التعبية اقتبسها منهم فرتب جيشه على كراديس ، قوة كل كردوس الف مقاتل او يزيد قليلا ، وبلغ عدد الكراديس (٣٨) كردوساً ، وعين لقيادة كل كردوس قائداً من الرجال المشهورين في حروبهم (١) .

ثم قسم الكراديس الى ثلاثة اقسام ، كل قسم من ١٠ - ٢٠

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٣





اسلوب تعبية الجيشين في معركة اليرموك

كردوساً ، فجعل في القلب قسما — الكراديس ، وفي الميسره قسما ، وفي الميمنة قسما آخر ، واحتفظ ببعض القوة احتياطاً عاماً ، ثم عين القادة : -

فكان ابو عبيده بن الجراح لقيادة القلب ، وعمرو بن العاص ، ويعاونه شرحبيل بن حسنه لقيادة الميمنة ، وهي اقوى فرق الجيش ، ويزيد بن ابي سفيان لقيادة الميسرة .

اما مقر خالد بن الوليد ، فكان في القلب ، وفيه ابو الدرداء قاضي الجيش ، وابو سفيان بن حرب خطيب الجيش (القاص) وعبدالله بن مسعود مأمور الاقباض (١) (مدير الميرة في العصر الحاضر).

وامام الجيش قد وضع خالد الحجاب من الخيالة بقيادة قباث بن اشيم (آمر الطلايع (٢)) .

وبهذا يكون خالد بن الوليد قد وضع الحجاب من الخيالة امام حجاب الروم ، وكانت خيالة الغساسنه ، تقوم بهذا الواجب في الجيش الروماني .

خالد المجرد يقول عثمان ٣) تنائي ان خالد بن الوليد ، قد قسم الخيالة الى اربعة اقسام ، وضعها في الامام (في الخط الامامي) ثم وضع خلفها وبين الفرجات المشاة في الخط الثاني وهم ثلاثة اقسام ، ثم وضع قسمين من الخيالة وراء الفرجات بين المشاة التي في الخط الثاني ، ووضع الاثقال والنساء وراء فرجة الخط الثالث ، وهكذا شكل مثلثاً

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٤

(٢) الطلائع القسمة المتقدم من الجيش الاقرب الى العدو ، ولذلك لابد ان يكون الحجاب

(٣) كتاب التعبية - صبحي نجيب

قاعدته باتجاه عدوه (؟)، وبذلك اصبح فى مقدور الجيش ان يقابل عدوه اذا ماهاجم القوة من أى اتجاه بالمشاة والخيالة، وبهذا اصبح خالد بن الوليد قائداً مجدداً في فن التعبيه من قادة الحرب البارزين، جعل عدوه يشعر ان قواته تماثل قواتهم، وتفضلها بقوة القيادة التى لايستطيع العدو أن يلمس فيها نقطة ضعف.

ومما يدل على عظم مقدرته، هو هذا الاقتباس السريع الذي اقتبسه من عدوه، وطبقه على جيشه باسلوب اعظم من اسلوب عدوه على ان سرعة فهم القادة والجند لهذا النظام الذي ابتكره خالد وطبقوه من دون التدريب عليه، يدل على فهم هؤلاء القادة للحرب ومرونة وقابلية حربية في الجيش العربي نادرة لدى غيره من الجيوش.

وبهذا تمكن خالد ان يطبق اسلوباً جديداً في التعبئة لم تعبئه العرب (١) فيما سبق من دون التدريب عليه.

كما يدل هذا على ان نظام الكراديس، لم يكن غريباً عن العرب، ويثبت هـذا ان العرب كانوا يعرفون كثيراً من اسس القتال واساليبه، بخلاف من يعتقد انهم لم يكن لهم اساليب معروفة في التعبيه والحرب، ولا يعتقد بهذا الامر كان حشو قلبه حقداً وظغينة على العرب والاسلام.

مناقشة الخطتين من دراسة الخطتين للجيشين العربي والروماني، نجد ان خطة القائدة الروماني خطة دفاعية محضة، مع تفوقه العددى على الجيش العربي الذي لا يقابله بالتسليح، والتدريع، وبذلك فقد القائـد

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٣

الروماني اول عامل من النجاح الهجوم الذي لا ينال النصر الا به ، ويظهر ان نتيجة معركة اجنادين اضعفت معنوياتهم ، فسبب لهم اتخاذ خطة الدفاع .

اما خطة خالد بن الوليد ، فكانت هجومية ، فانه بالرغم من انه هيأ دفاعه تجاه الروم ، الا ان توزيع قواته، كان يساعد على قابلية الحركة اكثر بكثير من خطة القائد الروماني الذي فقدها ، او كاد يفقدها .

من هو القائد في معركة اليرموك ابو عبيدة ام خالد ؟ ذلك ما توحيه القيادة نعرفه من خطبة خالد ادناه .

فان خالداً عندما وصل الى اليرموك ، وجد ان الأمراء كانوا يقاتلون عدوهم ، وهم متساندون ، ولم يوحدوا قيادتهم ، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد قال :

(هل لكم يا معشر الرؤساء في امر يعز الله به الدين ، ولا يدخل عليكم معه ، ولا منه نقيصة ولا مكروه (١))

ثم وقف فيهم خطيباً ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

خطبة خالد ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي . اخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبيه ، على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا بما لم تؤمروا به ، بالذي ترون انه الرأي من واليكم ومحبته .

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٢

قالوا : فهات فما الري. ؟

قال : ان ابا بكر لم يبعثنا ، الا وهو يرى اننا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون لجمعكم ، ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما غشيهم ، وانفع للمشركين من امدادهم ، ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد افرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان دان لاحد من امراء الجنود ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ' ولا عند خليفة رسول الله (صلعم) هلموا فان هؤلاء قد تهيئوا له ما بعده ' ان رددناهم الى خندقهم لم نزل نردهم ' وان هزمونا لم نفلح بعدها ' فهلموا فلنتعاود الامارة ' فليكن عليها بعضنا اليوم ' والآخر غدا ' والآخر بعد غد . حتى يتأمر كلكم ودعوني اليكم اليوم)

فامروه (١) وهم يرون انها كخرجاتهم ، وان الأمر اطول مما صاروا اليه .

وهكذا تمكن خالد من توحيد القيادة المتفرقة ' فهيأ بذلك احد عوامل النصر على العدو .

في الخطاب ودرساله

في هذه الخطبة نجد ان خالداً بن الوليد ' جلب انتباه القادة الى ان عملهم يجب ان يكون لله ' فسمت نفوسهم عن عرض زائل في الدنيا ' وجعلهم يشعرون بان انتصارهم على عدوهم ' يزيدهم عزة ورفعة ' وان طاعة بعضهم لبعض ما هو الا التواهب في الحرب ' فتركوا حمية الاوغاد التي كانت برؤوسهم ' قبل ان يخطب فيهم خالد

---

(١) في رواية ان ابا بكر كتب الى خالد بقيادة القطعات ، وهو في العراق ، وما اوردناه اثبت .

بن الوليد ، رأى ان الدنيا قد فرقت بينهم والدرسان الخالد ان من هذه الخطبة هما

الدرس الاول : هو العمل بما لم يؤمروا به ، وهذا هو الابداع ، وتحمل المسؤولية ، واول مميزات القائد ان يكون جريئاً ، يحب المسؤولية ولا يتهيب من تحملها ، فلا يصح ان يقاتل العرب عدوهم ، وهو على نظام وتعبية وهم على تساند ، فان هـذا انفع لعدوهم من امداده ، فموقفهم يتطلب عملا آخر لم يأمر به الخليفة ابو بكر الصديق ، فانه قد اعطى الكل منهم هدفه ، وطريق تقدمه ، وامرهم بالتشاور والتساند ، وهاهم اليوم قد اجتمعوا بساحة واحدة تجاه عدو متفوق عليهم بالعدة والعدد ، فيجب ان يوحدوا جهودهم ، ويعملوا بالذي يرون انه الراى من واليهم ، فان ابا بكر لو كان حاضراً لما ترك كلا منهم يقاتل على حـــدة ، بل لوحد قيادتهم وجعلهم بقيادة قائد واحد ، وقد عرف خالد ذلك لما له من خبرة واسعة ، ودراية عسكرية ممتازة ، وعبقرية فـذة ، فعلى القادة الذين يقودون جيش المسلمين ، ان يوحدوا جهودهم ، فهم مسؤلون تجاه خليفة رسول الله (صلعم) ان لم يوحدوها .

العمل بما لم يؤمروا به

اما الدرس الثاني : فهو توحيد القيادة ، فان خالداً تمكن من توحيد جهود الفرق العربية ، وجمعها تحت قيادة واحدة ، فلم يقاتل عدوا قيادته موحـدة بقيادة متفرقة ، فقتال التساند والانتشار لا يطمن النصر في الحرب ، وقلة الجيش العربي عامل يجبر القادة العرب على توحيد قيادتهم ، فبهذا وحده (توحيد القيادة) تكون قوة الصدمة للجيش العربي قوية

توحيد القيادة

ولما كانت القيادة التي يجب ان تقود هذه الفرق نحو النصر تجاه عدوها الحانق عليها ، والمتفوق عليها بالكم والكيف ويجب ان تكون قيادة حكيمة ، وجريئة ، ومتبصرة ، وحذرة وماكرة ، وتلك هي قيادة خالد بن الوليد نفسه ، فيجب أن يتسلم خالد القيادة في هذا اليوم الفاصل الذي اذا انتصر العرب فيه ، تمكنوا من تدمير العدو ، وفتحوا بلاد الشام ، وإلا فليس لهم الا الرجوع الى الجزيرة. فليس لخالد ان يتهاون في استلام القيادة .

وهكذا وحد خالد بن الوليد قيادة بينما استمر الحلفاء في الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٥ ، يقاتلون عدوهم بقيادة غير موحدة ، فاستفاد عدوهم من نقطة الضعف هذه ، فاخذ يضربهم في نقاط اتصالهم ، ولم ينتبهوا الى ذلك حتى عام ١٩١٧ (١) م ، حيث وحدوا قيادتهم فاحرزوا النصر . وكانهم لم يدرسوا معارك خالد بن الوليد ، فيستفيدوا منها ، ويوحدوا قيادتهم في بادىء الامر ، ويتمسكوا بهدفهم الرئيسي ، وهو النصر على العدو ، ويتركوا الامور الثانوية الاخرى ، ومما يؤسف له ان الامة التي اورثها خالد بن الوليد هذا الدرس الخالد ، لم توحد قيادة قواتها العامة المقاتلة شراذم المشردين في العالم عام (١٩٤٨) ميلادية في معركة فلسطين الأخيرة ؛ للقضاء على العدو المشترك ، بالرغم من نصيحة الناصحين لهم ، فاستفاد العدو من هذه النقطة فخسرت قوات هذه الممالك النصر والبلد ومصالحها بوقت واحد .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً . ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

---

(١) بعد خالد بثلاثة عشر قرناً

المفاوضات

بعد أن تهيأ العرب لمهاجمة الجيش الروماني وحلفائهم، وقد بلغت قواتهم (٢٤٠ ر ٠٠٠) مقاتل منهم ٨٠ ر ٠٠٠ فارس (١). اخذ خالد بن الوليد بمفاوضة الرومان قبل المعركة، وتلك سياسة العرب انذاك، فانهم يعرضون شروطهم على عدوهم قبل الاشتباك معه في القتال. وحسب الاصول المتبع كانت الشروط احدى ثلاث، اما الدخول في الاسلام، فيكون لهم نفس الحقوق التي للمسلمين، ويقومون بالواجبات المترتبة على المسلمين، انهم يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون وبهذا يخضعون لسلطان الخليفة مع بقائهم على دياناتهم واما القتال والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء والعاقبة المتقين.

صلابة الوفد المفاوض

ارسل العرب وفداً للمفاوضة مع القائد «تيودور» القائد الروماني اخو الملك هرقل وكان هذا قد نصب سرادقاً فخماً مبطناً بالديباج وقد فرش بأفخر المقاعد الحريرية بصورة تظهر الابصار (٢) وكان القائد الروماني كما يظهر يروم التأثير على الوفد العربي المفاوض فيريهم مظاهر العظمة، والابهة في الدول الرومانية، قوة الامبراطورية، فيضعف معنوياتهم وبالتالي معنويات الجند، فيعودوا الى بلادهم.

وما ان وصل الوفد المفاوض وعلى رأسه أبو عبيدة عامر بن الجراح حتى ادخلوا الى احدى سرادقات القيادة الرومانية فلما رأى ابو عبيدة ذلك المظهر. انتبه الى مايرومه القائد الروماني فوقف في باحته مع الوفد دون ان يجلسوا واعتذروا بأن دينهم يمنعهم من

---

(١) الطبرى جـ٤ ص٣٣

(٢) راجع الطبرى جـ٤ ص٣٧

افتراش الحرير لأن رسول الله « صلعم » قد حرم لبس الحرير والذهب على الرجال، فطلبوا ان يبرز القائد اليهم ، فخرج « تيودور » مضطراً الى فرش ممهدة فوق التراب (١) وهكذا فشل القائد الرومانى امام صلابة الوفد في التأثير على معنوياتهم.

ترغيب وترهيب

بعدان قابل الوفد القائد الرومانى، ذكر هذا لهم قوة الامبراطورية الرومانية ، ومقدار الجند الذى لاقبل لهم به وانه ليس لهم القابلية على مقاومتها وخير لهم ان يكتفوا بالهدايا الثمينة من رجال الدولة الرومانيه ،ويرجعوا الى بلادهم .

وكان هرقل الامبراطور الروماني ، يميل الى سياسة البذل ، والعطاء السخي ، اكثر من سياسة الشدة والارهاب حتى انه كان يفضل ان يعطي نصف حاصلات سورية بدلا من ان يعرضها لخطر احتلال العرب للقطر واخراجهم منه . ويذكر المؤرخون ان هرقل كان يحذر رجال مملكته من ذلك (٢) .

فشل المفاوضات

فشلت سياسة القيادة الرومانية تجاه صلابة الوقد العربي الذى أبى أن يفترش الحرير ، وأبى ان يقبل من الرومان الا ان يدخلوا الاسلام فيجوزهم الى غيرهم . او ان يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. والا فالسيف هو الحكم الفضل والارض لله يرثها عباده المخلصون .

وقد ابى القائد الروماني قبول الشرطين الاولين ، وكيف يقبل بها ، وهي لاتتفق ومطامع الامبراطورية ، ومكانتها ، فهم منذمدة يسيرة ، تمكنت جيوشهم من دحر الامبراطورية الفارسية ، وهي

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٧

(٢) راجع فتوح الشام الواقدي ج ١ ص ٩ - ١٠

كردوس ، فجعل في القلب قسما — الكراديس ، وفي الميسرة قسما، وفي الميمنة قسما آخر ، واحتفظ ببعض القواة احتياطاً عاماً ،ثم عين القادة : ـ

فكان ابو عبيده بن الجراح لقيادة القلب ، وعمرو بن العاص، ويعاونه شرحبيل بن حسنه لقيادة الميمنة ، وهي اقوى فرق الجيش، ويزيد بن ابي سفيان لقيادة الميسرة .

اما مقر خالد بن الوليد، فكان في القلب ، وفيه ابو الدرداء قاضي الجيش ، وابو سفيان بن حرب خطيب الجيش (القاص) وعبدالله بن مسعود مأمور الاقباض [١] (مدير الميرة فى العصر الحاضر).

وامام الجيش قد وضع خالد الحجاب من الخيالة بقيادة قباث بن اشيم (آمر الطلايع [٢]) .

وبهذا يكون خالد بن الوليد قد وضع الحجاب من الخيالة امام حجاب الروم ، وكانت خيالة الغساسنه ، تقوم بهذا الواجب في الجيش الروماني .

خالد المجرد

يقول عثمان [٣] ثنائي ان خالد بن الوليد ، قد قسم الخيالة الى اربعة اقسام ، وضعها في الامام (في الخط الامامي) ثم وضع خلفها وبين الفرجات المشاة فى الخط الثاني وهم ثلاثة اقسام ، ثم وضع قسمين من الخيالة وراء الفرجات بين المشاة التي فى الخط الثانى ، ووضع الاثقال والنساء وراء فرجة الخط الثالث ، وهكذا شكل مثلثاً

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٤
(٢) الطلائع القسمة المتقدم من الجيش الاقرب الى العدو، ولذلك لا بد ان يكون الحجاب
(٣) كتاب التعبية - صبحي نجيب

قاعدته باتجاه عدوه ، وبذلك اصبح فى مقدور الجيش ان يقابل عدوه اذا ماهاجم القوة من أى اتجاه بالمشاة والخيالة ، وبهذا اصبح خالد بن الوليد قائداً مجدداً فى فن التعبيه من قادة الحرب البارزين ، جعل عدوه يشعر ان قواته تماثل قواتهم ، وتفضلها بقوة القيادة التى لايستطيع العدو أن يلمس فيها نقطة ضعف .

ومما يدل على عظم مقدرته ، هو هذا الاقتباس السريع الذي اقتبسه من عدوه ، وطبقه على جيشه باسلوب اعظم من اسلوب عدوه على ان سرعة فهم القادة والجند لهذا النظام الذي ابتكره خالد وطبقوه من دون التدريب عليه ، يدل على فهم هؤلاء القادة للحرب ومرونة وقابلية حربية في الجيش العربي نادرة لدى غيره من الجيوش .

وبهذا تمكن خالد ان يطبق اسلوباً جديداً في التعبئة لم تعبئه العرب (١) فيما سبق من دون التدريب عليه .

كما يدل هذا على ان نظام الكراديس ، لم يكن غريباً عن العرب ، ويثبت هـــذا ان العرب كانوا يعرفون كثيراً من اسس القتال واساليبه ، بخلاف من يعتقد انهم لم يكن لهم اساليب معروفة في التعبيه والحرب ، ولا يعتقد بهذا الامر كان حشو قلبه حقداً وظغينة على العرب والاسلام .

مناقشة الخطتين من دراسة الخطتين للجيشين العربي والروماني ، نجد ان خطة القائد الروماني خطة دفاعية محضة ، مع تفوقه العددى على الجيش العربي الذي لا يقابله بالتسليح ، والتدريع ، وبذلك فقد القائـــد

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٣

الروماني اول عامل من النجاح الهجوم الذي لا ينال النصر الا به ، ويظهر ان نتيجة معركة اجنادين اضعفت معنوياتهم ، فسبب لهم اتخاذ خطة الدفاع .

اما خطة خالد بن الوليد ، فكانت هجومية ، فانه بالرغم من انه هيأ دفاعه تجاه الروم ، الا ان توزيع قواته ، كان يساعد على قابلية الحركة اكثر بكثير من خطة القائد الروماني الذي فقدها ، او كاد يفقدها .

من هو القائد في معركة اليرموك ابو عبيدة ام خالد ؟ ذلك ما توحيد القيادة نعرفه من خطبة خالد ادناه .

فان خالداً عندما وصل الى اليرموك ، وجدان الأمراء كانوا يقاتلون عدوهم ، وهم متساندون ، ولم يوحدوا قيادتهم ، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد قال :

(هل لكم يا معشر الرؤساء في امر يعز الله به الدين ، ولا يدخل عليكم معه ، ولا منه نقيصة ولا مكروه (١))

ثم وقف فيهم خطيباً ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

خطبة خالد

ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي . اخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبيه ، على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا بما لم تؤمروا به ، بالذي ترون انه الرأي من واليكم ومحبته .

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٢

قالوا : فهات فما الري، ؟

قال : ان ابا بكر لم يبعثنا ، الا وهو يرى اننا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون لجمعكم ، ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما غشيهم ، وانفع للمشركين من امدادهم ، ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله، فقد افرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان دان لاحد من امراء الجنود ، ولا يزيده عليه ان دانوا له، ان تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ' ولا عند خليفة رسول الله (صلعم) هلموا فان هؤلاء قد تهيئوا له ما بعده ' ان رددناهم الى خندقهم لم نزل نردهم ' وان هزمونا لم نفلح بعدها ' فهلموا فلنتعاود الامارة ' فليكن عليها بعضنا اليوم ' والآخر غدا ' والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني اليكم اليوم)

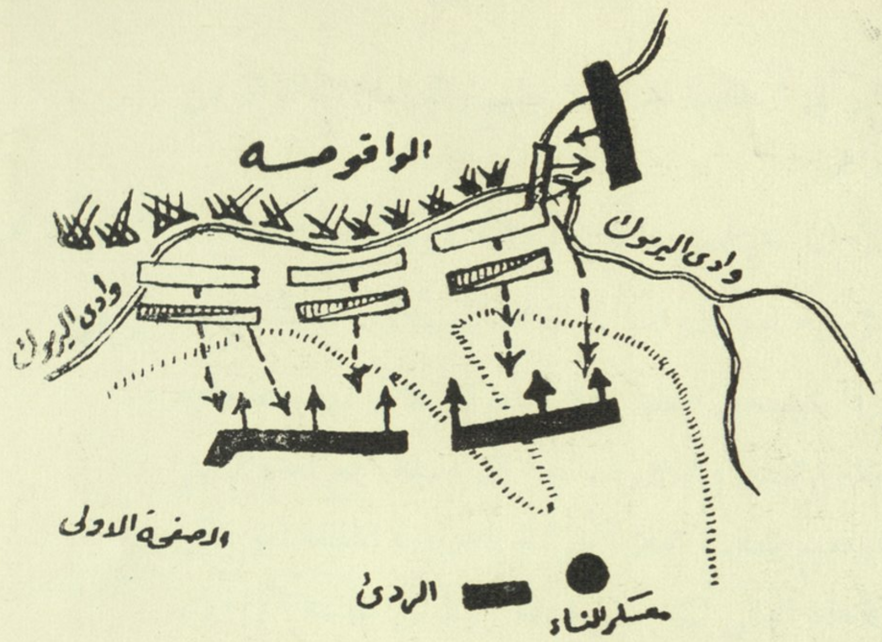
فامروه (١) وهم يرونها كخرجاتهم، وان الأمر اطول مما صاروا اليه .

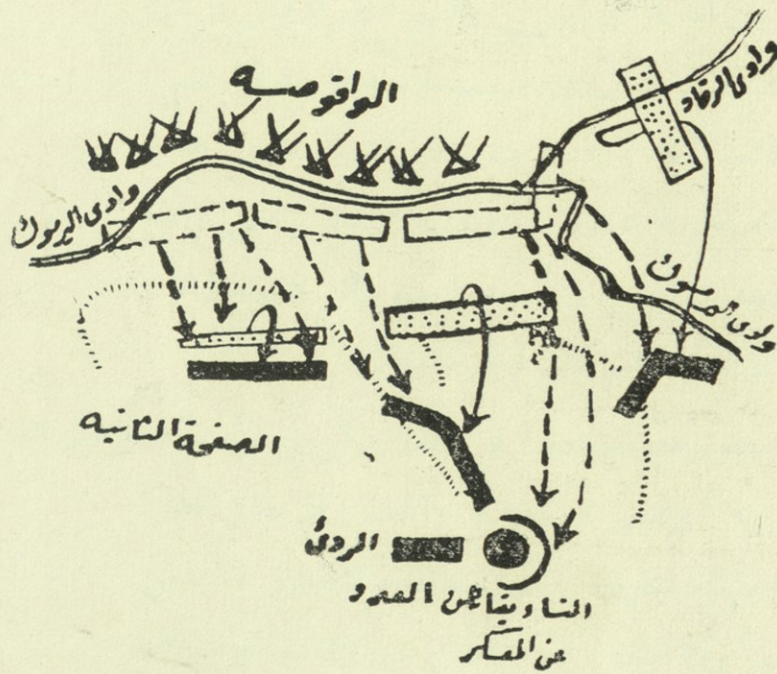
وهكذا تمكن خالد من توحيد القيادة المتفرقة ' فهيأ بذلك احد عوامل النصر على العدو .

فى الخطاب درسان

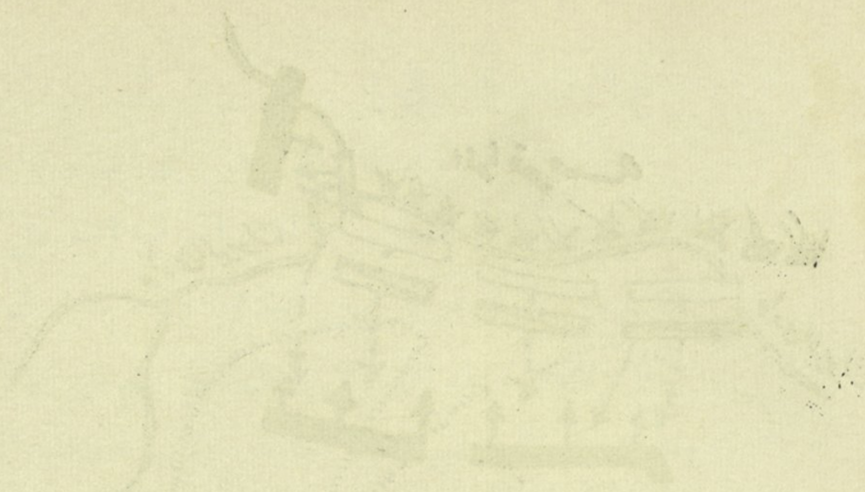
فى هذه الخطبة نجد ان خالداً بن الوليد ' جلب انتباه القادة الى ان عملهم يجب ان يكون لله ' فسمت نفوسهم عن عرض زائل فى ...ون بان انتصارهم على عدوهم ' يزيدهم عزة ...ضهم لبعض ما هو الا التواهب فى الحرب ' ... التي كانت برؤوسهم ' قبل ان يخطب فيهم خالد.

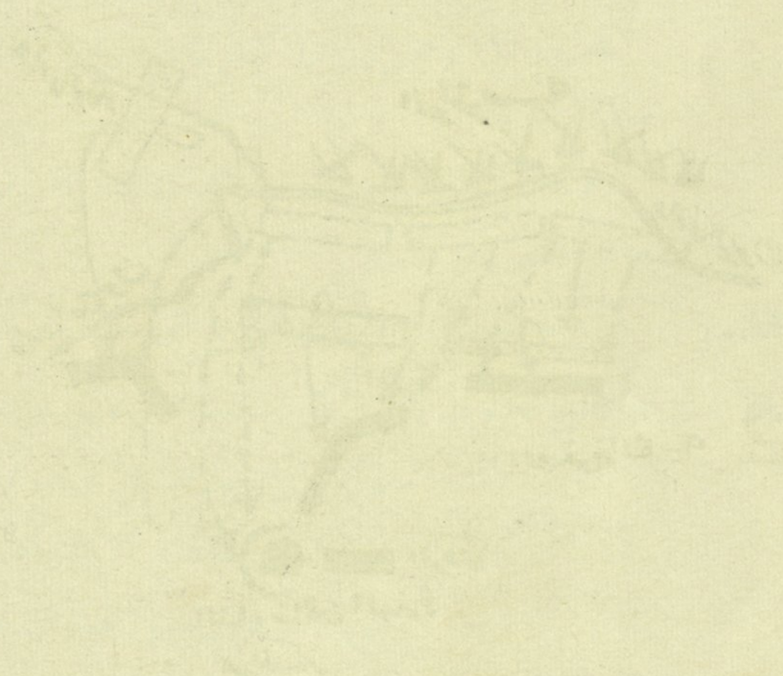
...ب الى خالد بقيادة القطعات ، وهو في العراق ، وما





صفحات معركة اليرموك





بن الوليد ، رأى ان الدنيا قد فرقت بينهم والدرسان الخالد ان من هذه الخطبة هما

العمل بما لم يؤمروا به

الدرس الاول : هو العمل بما لم يؤمروا به ، وهذا هو الابداع ، وتحمل المسؤولية ، واول مميزات القائد ان يكون جريئاً ، يحب المسؤولية ولا يتهيب من تحملها ، فلا يصح ان يقاتل العرب عدوهم ، وهو على نظام وتعبية وهم على تساند ، فان هـذا انفع لعدوهم من امداده ، فوقفهم يتطلب عملا آخر لم يأمر به الخليفة ابو بكر الصديق ، فانه قد اعطى لكل منهم هدفه ، وطريق تقدمه ، وامرهم بالتشاور والتساند ، وهاهم اليوم قد اجتمعوا بساحة واحدة تجاه عدو متفوق عليهم بالعدة والعدد ، فيجب ان يوحدوا جهودهم ، ويعملوا بالذي يرون انه الراي من واليهم ، فان ابا بكر لو كان حاضراً لما ترك كلا منهم يقاتل على حـــدة ، بل لوحد قيادتهم وجعلهم بقيادة قائد واحد ، وقد عرف خالد ذلك لما له من خبرة واسعة ، ودراية عسكرية ممتازة ، وعبقرية فـذة ، فعلى القادة الذين يقودون جيش المسلمين ، ان يوحدوا جهودهم ، فهم مسؤلون تجاه خليفة رسول الله (صلعم) ان لم يوحدوها .

توحيد القيادة

اما الدرس الثاني : فهو توحيد القيادة ، فان خالداً تمكن من توحيد جهود الفرق العربية ، وجمعها تحت قيادة واحدة ، فلم يقاتل عدوا قيادته موحـدة بقيادة متفرقة ، فقتال التساند والانتشار لا يطمن النصر في الحرب ، وقلة الجيش العربي عامل يجبر القادة العرب على توحيد قيادتهم ، فبهذا وحده (توحيد القيادة) تكون قوة الصدمة للجيش العربي قوية

ولما كانت القيادة التي يجب ان تقود هذه الفرق نحو النصر تجاه عدوها الحانق عليها ، والمتفوق عليها بالكم والكيف ، يجب ان تكون قيادة حكيمة ، وجريئة ، ومتبصرة ، وحذرة وماكرة ، وتلك هي قيادة خالد بن الوليد نفسه ، فيجب أن يتسلم خالد القيادة في هذا اليوم الفاصل الذي اذا انتصر العرب فيه ، تمكنوا من تدمير العدو ، وفتحوا بلاد الشام ، وإلا فليس لهم الا الرجوع الى الجزيرة. فليس لخالد ان يتهاون في استلام القيادة .

وهكذا وحد خالد بن الوليد قيادة بينما استمر الحلفاء في الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٥ ، يقاتلون عدوهم بقيادة غير موحدة ، فاستفاد عدوهم من نقطة الضعف هذه ، فاخذ يضربهم في نقاط اتصالهم ، ولم ينتبهوا الى ذلك حتى عام ١٩١٧ (١) م حيث وحدوا قيادتهم فاحرزوا النصر . وكانهم لم يدرسوا معارك خالد بن الوليد ، فيستفيدوا منها ، ويوحدوا قيادتهم في بادىء الامر ، ويتمسكوا بهدفهم الرئيسي ، وهو النصر على العدو ، ويتركوا الامور الثانوية الاخرى ، ومما يؤسف له ان الامة التي اورثها خالد بن الوليد هذا الدرس الخالد ، لم توحد قيادة قواتها العامة المقاتلة شراذم المشردين في العالم عام (١٩٤٨) ميلادية في معركة فلسطين الأخيرة ، للقضاء على العدو المشترك ، بالرغم من نصيحة الناصحين لهم ، فاستفاد العدو من هذه النقطة فخسرت قوات هذه الممالك النصر والبلد ومصالحها بوقت واحد .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً . ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

---

(١) بعد خالد بثلاثة عشر قرناً

المفاوضات

بعد أن تهيأ العرب لمهاجمة الجيش الروماني وحلفائهم ، وقد بلغت قواتهم (٠٠٠ ر ٢٤٠) مقاتل منهم ٠٠٠ ر ٨٠ فارس (١) . اخذ خالد بن الوليد بمفاوضة الرومان قبل المعركة ، وتلك سياسة العرب انذاك ، فانهم يعرضون شروطهم على عدوهم قبل الاشتباك معه في القتال . وحسب الاصول المتبع كانت الشروط احدى ثلاث ، اما الدخول في الاسلام ، فيكون لهم نفس الحقوق التي للمسلمين ، ويقومون بالواجبات المترتبة على المسلمين ، انهم يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون وبهذا يخضعون لسلطان الخليفة مع بقائهم على ديانتهم واما القتال والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين .

صلابة الوفد المفاوض

ارسل العرب وفداً للمفاوضة مع القائد «تيودور» القائد الروماني اخو الملك هرقل وكان هذا قد نصب سرادقاً فخماً مبطناً بالديباج وقد فرش بأفخر المقاعد الحريرية بصورة تظهر الابصار (٢) وكان القائد الروماني كما يظهر يروم التأثير على الوفد العربي المفاوض فيريهم مظاهر العظمة ، والابهة في الدول الرومانية ، قوة الامبراطورية ، فيضعف معنوياتهم وبالتالي معنويات الجند ، فيعودوا الى بلادهم .

وما ان وصل الوفد المفاوض وعلى رأسه أبو عبيدة عامر بن الجراح حتى ادخلوا الى احدى سرادقات القيادة الرومانية فلما رأى ابو عبيدة ذلك المظهر . انتبه الى مايرومه القائد الروماني فوقف في باحته مع الوفد دون ان يجلسوا واعتذروا بأن دينهم يمنعهم من

---

(١) الطبري جـ٤ ص٣٣

(٢) راجع الطبري جـ٤ ص٣٧

افتراش الحرير لأن رسول الله « صلعم » قد حرم لبس الحرير والذهب على الرجال، فطلبوا ان يبرز القائد اليهم ، فخرج « تيودور » مضطراً الى فرش ممهدة فوق التراب (١) وهكذا فشل القائد الروماني امام صلابة الوفد في التأثير على معنوياتهم.

ترغيب وترهيب

بعد ان قابل الوفد القائد الروماني، ذكر هذا لهم قوة الامبراطورية الرومانية ، ومقدار الجند الذي لاقبل لهم به وانه ليس لهم القابلية على مقاومتها وخير لهم ان يكتفوا بالهدايا الثمينة من رجال الدولة الرومانية ، ويرجعوا الى بلادهم.

وكان هرقل الامبراطور الروماني ، يميل الى سياسة البذل ، والعطاء السخي ، اكثر من سياسة الشدة والارهاب حتى انه كان يفضل ان يعطي نصف حاصلات سورية بدلا من ان يعرضها لخطر احتلال العرب للقطر واخراجهم منه . ويذكر المؤرخون ان هرقل كان يحذر رجال مملكته من ذلك (٢).

فشل المفاوضات

فشلت سياسة القيادة الرومانية تجاه صلابة الوفد العربي الذي أبى أن يفترش الحرير ، وأبى ان يقبل من الرومان الا ان يدخلوا الاسلام فيجوزهم الى غيرهم . او ان يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. والا فالسيف هو الحكم الفصل والارض لله يرثها عباده المخلصون.

وقد ابى القائد الروماني قبول الشرطين الاولين ، وكيف يقبل بها ، وهي لاتتفق ومطامع الامبراطورية ، ومكانتها ، فهم منذ مدة يسيرة ، تمكنت جيوشهم من دحر الامبراطورية الفارسية ، وهي

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٧

(٢) راجع فتوح الشام الواقدي ج ١ ص ٩ - ١٠

هـذه الخطة كانت خطة صحيحة ، ولكنها تحتاج لا الى قوات كبيرة فحسب ، بل تحتاج ايضاً الى جند يصدقون عند اللقاء وقائد يعرف كيف يدبر قواته للوصول الى هدفه .

الصفحة الثانيه: تراجعت ميمنة المسلمين - بنتيجة شدة الضغط الروماني - الى الخلف لم يثبت منهم الا أصحاب الرايات ، فوصل الرومان الى معسكر النساء من الخلف ، وانهزمت قبائل لخم وجذام التي بين الميسرة والقلب ، فحدثت فجوة تساعد الرومان على التسلل الى خلف المسلمين بسهولة ، وبهذا كان الموقف في صالح الرومان ، وكاد العرب يفقدون املهم في النصر ، ولـكن المجاهدين والمجاهدات ابلوا البلاء الحسن فى القتال في هذه الصفحة ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه (ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم بأن لهم الجنة) فتمكنوا من اعادة التوازن في المعركة بين الجيشين ، ويستحسن ان نذكر بعض الاعمال لتتصور شدة المعركة :

كانت نساء العرب فى معركة اليرموك ، يداوين الجرحى ، ويسقين بطولة المجاهدات الماء فلما دهمهن القتال ، لم يفقدن الرشد ، وانما كل واحدة منهن المسلمات قامت باعمال هي ضرب من ضروب البطولة والتضحية :

فقد تنادت النساء بانسابهن ، وامهاتهن والقابهن ، وانقسمن الى قسمين :

قسم يقاتل الرومان فتقلدن السيوف والرماح ، والاعمدة ،

والحجارة (١) واشتركن في قتال الرومان، حتى جرح قسم ومنهن (خوله بنت الازور) .

وقسم يقاتل الرجال المنهزمين فيرددنهم الى القتال .

وبينما كان النساء يقاتلن الروم والمسلمين يردون هؤلاء عند حرمة المعسكر ، ويرجعن هؤلاء الى ساحة القتال . اذ انسحبت نساء لخم وجذام وخولان (وهي القبائل التي انهزمت من المعركة وقد يكون انسحاب هؤلاء النسوة مدبراً من رجالهن) غير ان النساء العربيات برئاسة خولة بنت الازور وام حكيم تداركن الموقف « فاخذن يضربن رؤوسهن ، ووجوههن ، وقلن لهن اخرجن من بيننا انكن توهن عزمنا) فرجعت النساء تقاتل قتال الموت .

اما اسماء بنت ابي بكر فقد قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كان يضرب ضرباً إلا وضربت مثله (٢) .

ولما رأت النساء رجوع الرجال الى الخلف تنادت فيما بينها :

« يابنات العرب دونكن والرجال ! ردونهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب» ونادت غفيرة بنت غفار « يانساء العرب دونكن والرجال واحملن اولادكن على ايديكن واستقبلنهم بالتحريض» فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة ونادت ابنة العاص بن منبة : قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته ونادت اخرى أين أين عز الاسلام والامهات والأزواج وصاحت اخرى لستم بعولتنا ان لم تمنعونا (٣)

(١) راجع فتوح الشام الواقدي جـ١ ص ٢٥ و ما بعدها
(٢) راجع فتوح الشام للواقدي .
(٣) فتوح الشام للواقدى

وهكذا استمر باقي النساء على التشجيع .

وروى منهال الدوسي : أن النساء كانت أشد غلظة من الروم على الرجال .

فلما رأى الرجال النساء يقاتلن قتال الموت توقفوا عن الهزيمة وجددوا العزائم وصار الرجل يقول لمن يليه :

« اجل ! ان لم نقاتل نحن هؤلاء والا فنحن احق بالخدور من النساء (١) » فلله در نساء قريش يوم اليرموك فقد قاتلن العدو بالسيوف والرماح وارجعن الفارين بالعصي والصياح فاصبن العز والفلاح .

عمل المجاهدين لم يكن العرب كلهم تركوا الميدان وانما ثبت اهل العزم واصحاب الرايات في مواقفهم يقاتلون ولما رأى الرجال المنسحبين عزم النساء ثارت نخوتهم فثبتت اقدامهم يحرضهم ابو سفيان قائلا (الله الله . انكم ذادة العرب وانصار الاسلام وانهم ذادة الروم وانصار الشرك اللهم هذا يوم من ايامك اللهم انزل نصرك على عبادك (٢)) .

وقد ظل يتنقل بين الصفوف يشجعهم حتى اصابه سهم في عينه وهو يصيح (يا نصر الله اقترب) ومعه نفر من الرجال الذين خبروا الحرب .

في الميمنة فلما انكشف الميمنة وفيها مذحج وحضرموت وحمير من خولان وزبيد انكشفت الناس الى القلب ولكن عمرو بن معدى يكرب الزبيدي نادى في زبيد فالتف حوله ٥٠٠ مقاتل وبرز ابو هريرة

(١) فتوح الشام للواقدي
(٢) التاريخ الكبير ـ بن عساكر

صاحب رسول الله (صلعم) الى الازد وقال (سارعوا الى الحور العين وجوار ربكم عزوجل في جنات النعيم ما انتم الى ربكم في موطن احب اليه منكم في مثل هذا الموطن الآ وآن للصابرين فضلهم) فتمكنوا بهذه الروحية من ايقاف زحف الروم في الميمنة حتى صارت الروم تجول في مجال واحد كما تدور الرحى .

في القلب

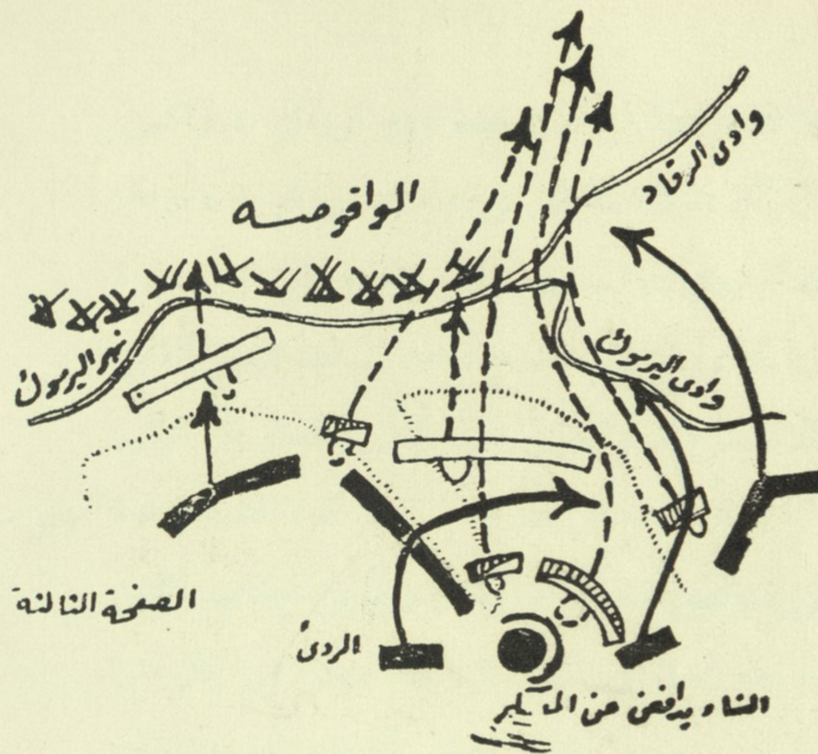
اما في القلب فقد برز المجاهدون وفيهم عكرمة بن ابي جهل الذي قال (قاتلت مع رسول الله (صلعم) في كل موضع وافر اليوم ؟) من يبايع على الموت ؟

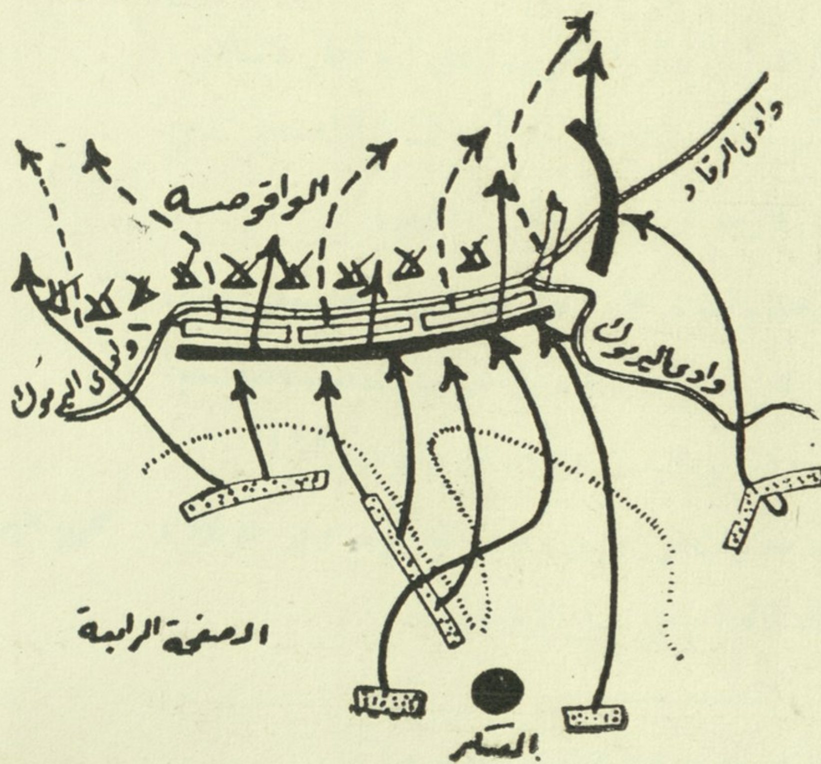
فلبى نداءه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في اربعمائة من الفرسان كانوا اصلبهم ايماناً فتقدموا في المعركة مستبسلين وقاتلوا امام فسطاط خالد ، حتى قضى اكثرهم شهيداً ، وجرح الباقون ، ومنهم عكرمة وابنه عمرو .

لم تذهب تضحية عكرمة والشهداء سدى ، فقد اعطت النتيجة الحسنة للمسلمين ، فهذا الاستبسال من الاربعمائة جماعة عكرمة كانت وراء الخيل الرومانية ، التي كانت قد احاطت بالميمنة ، حتى وصلت الى معسكر النساء ، فاصبحت الخيالة الرومانية بين سيوف المجاهدين والمجاهدات ، وفصلوا عن المشاة الذين يسندونهم ، فخف ضغط الروم على العرب ، وكسرت حدته .

الميسرة

اما في الميسرة فقد كان امامها ميمنة الرومان ، ويظهر ان الروم كانوا يرومون مشاغلة ميسرة المسلمين ، ليقوموا بالاحاطة بعد دحر الميمنة والميسرة اكثر ثباتاً من الميمنة والقلب .





صفحات معركة اليرموك

الصفحة الثالثة وهكذا توقفت حدة هجوم الرومان ، وانتهى اندفاعهم في المعركة ، وهذا ما كان يرومه خالد بن الوليد ، وبعد ان توقف المد الروماني ، واحدثت خيالة عكرمة بن ابي جهل ثغرة بين خيالة الرومان ، ومشاتهم ، اصبح الموقف مساعداً للهجوم المقابل واستخدام الاحتياط فنهد خالد بن الوليد بالقلب ، فصار بين خيلهم ورجلهم (١) وكان احتياطه للمعركة لم يشركه ، فتقدم بقوة ٣٠٠٠ مقاتل ، وفصل الخيالة الرومانية نهائياً عن مشاتهم الذين يسندونها ، وكانت الحملة على الميسرة الرومانية ، يطرد من كان منهما قريباً من المعسكر ويردها الى الخلف ، فباشر المد الروماني في الميدان يتقلص (باشروا بالانسحاب) فلما رأى خالد بن الوليد وضع الرومان وانهم ارادوا ان يمكروا بالعرب نادى : يا اهل الاسلام . لم يتوسط القوم من الجلد والشدة الا ما رأيتم الشدة الشدة ، فو الذي نفسي بيده ! اني لارجو ان يمنحكم الله اكتافهم)

الهجوم المقابل

فحمل القلب حملة واحدة على الروم المنسحبين ، فاصبحت الخيل الرومانية تلتمس مخرجاً لتهرب منه ، فلم يحرجها المسلمون ، فافسحوا لهم المجال للهرب ، فتركوا الميدان هائمين على وجوههم (٢) .

حملة الميمنة

اما الميمنة ، فقد حصرت الروم بين وادي اليرموك ونهر الرقاد ، وهي التي امرت بالافراج عن خيل الرومان .

---

(١) الطبري ج٤ ص ٣٥ الواقدي — بن عساكر
(٢) كان تعدادها قبل المعركة ٨٠٠٠٠ فارس

فلما انهزمت الخيالة الرومانية ، بقي المشاة لوحدهم ، وهم بين مقيدين ، او مسلسلين للموت ، او مربوطين بالعمائم (١) . فلما بقي المشاة لوحدهم ، زحف الجيش العربي باجمعه صفا واحداً ، فاعمل السيف فى الرومان ، فكانت ملحمة دموية شديـــدة على الروم ، استمرت حتى بعد ان مالت الشمس الى المغيب ، فعم الذعر في نفوس الجند الروماني ، فاخذ يترك مواضعه الى الخلف ، يطلب النجاة من سيوف العرب فيلقي حتفه في الواقوصة ، حيث لا طريق للهرب له الا منها ، وهكذا اصبح المسلسلون للموت ، يموتون بالجملة ، يهوى احدهم الى الواقوصه (٢) لينجو بنفسه فيسحب جماعة المسلسلين معه الى الهلاك السريع . ومما زاد فى نكبتهم الظلام الذي غشيهم ، ظلام الليل الذي غش ابصارهم ، وظلام الذعر من سيوف العرب الذي غشى بصائرهم .

اما القادة الرومان ، فانهم كانوا عزيزى النفوس عالي الهمة (ويوم السوء لا يحبون ان يروه) فلم يرتضوا الاسر بعد ان خسروا النصر ، فجللوا رؤوسهم ببرانصهم على عادة الطبقة الشريفة من الرومان منتظرين نهايتهم بصبر ، فمـــا لبثت السيوف المسلمة ان

---

(١) فى رواية المسلسلين للموت كانوا ٤٠٫٠٠٠ والمربوطين بالعمائم ٤٠٫٠٠٠ والمقيدين ٨٠٠٠٠ والخيالة ٨٠٠٠٠ المجموع ٢٤٠٠٠٠ مقاتل .

(٢) وقيل الناقوصه والواقوصة هي الخندق او الهوة التي وراء الروم والوقص هو دق الرقبة فتقص الجندى او وقص اى سقط على رقبته وكسرت — الطبرى جـ٤ ص٣٢ الواقدى .

احاطت برؤوسهم، ومن بينهـــم رأس تيودور اخو هرقل الامبراطور.

وانسحب من نجا من سيوف المجاهدين الى الشام، وكان مقدارهم (٤٠٫٠٠٠) مقاتل بقيادة باهان.

وبعد الانتهاء من القضاء على الرومان فيساحة اليرموك، اعطى خالد بن الوليد استراحة لقواته الساعات الباقية من الليل.

وهكذا انتهت معركة اليرموك بصالح العرب فكان النصر للجند الذين يؤمنون بأن الله منجز وعد رسوله (ص) بالنصر ويضحى في سبيل امته ودينه ومبدئه اما الكثرة فلم تغن من أمر الله شيئاً.

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »

بلغ عدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك ٣٠٠٠ شهيد شادوا ضمائر الطرفين بدمائهم مجد دولة الاسلام العربية وفي هذه المعركة الفاصلة التي تقرر فيها مصير سورية وربطها بالامبراطورية العربية التى كان رجال العرب في صدر الاسلام يسعون الى تشييدها بهذه الضحايا.

وقد جاء الرجال بالشهداء، ومنهم عكرمة بن ابي جهل وابنه عمرو جريحين يلفضان انفاسها الاخيرة فوضعهما خالد على ساقه وجعل يمسح عن وجوهها ويقطر في حلوقهما الماء ويقول « كلا ! زعم بن الحنتمة اننا لا نستشهد (٢) ».

فما هو السبب الذى جعل خالد بن الوليد يقول ذلك ؟

هل أن عكرمة بن ابي جهل كان من المعادين للاسلام في ابتداء

---

(١) الطبري جـ٤ ص٣٦

امره ؟ فكان عمر بن الخطاب يعتقد ان هؤلاء لم يرسخ الايمان في قلوبهم ، فهم احرص على دنياهم ونفوسهم من دينهم وآخرتهم ؟

ولكن عكرمة كان من المجاهدين في حرب الردة ، وأثبت أنه من المجاهدين الصادقين في جهادهم .

اذاً فما هو السر فى ذلك ؟

ذلك هو الاختلاف فى النفسيات بين خالد وعمر .

كما ان هذه الكلمة لخالد ، تدلنا على ان خالد هو قائد المعركة فى اليرموك ، وانه لم يعزل منها ، وانه لم يذكر اي تحد لعمر بن الخطاب بعد ان تولى الخلافة طيلة حياة خالد ؟ بل ان خالد قال عندما بلغه خبر وفاة الخليفة وتلى عمر الخلافة « الحمد لله الذى قضى على ابي بكر بالموت ، وكان احب لي من عمرو وكان ابغض الي من ابي بكر ثم الزمني حبه » .

وقال شهيد آخر كان بين الجرحى الاولين في المعركة ، فلما سأله المجاهدون عن حاله قال بخير والله ! وغفران ، وجزى الله محمداً عنا خيراً ولقد صدقنا في قوله وهذه الحور تنادى ، وتشخص فمات (٢).

وهذا يدل على سمو الروح التي يحملها المجاهدون وهم فى ميدان القتال ، فسمت بهم معنوياتهم ، حتى تمكنوا من منازلة عدوهم الاقوى في القتال ، غير مبالين بما عنده من قوة ، وغير ملتفتين الى تفوقه

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٦

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣٦

عليهم بالسلاح والعدو .

اما خسائر الروم فكانت كبيرة جـداً ، وخاصة في صنف المشاة خسائر الروم

الذين هم تركوا في الميدان وتروي المصادر العربية ، أن من قتل منهم في الواقوصة وحدها ، بلغ ١٢٠٫٠٠٠ قتيل .

وان كنا لانميل الى تصديق هذا العدد الكبير من الخسائر فان ذكر الارقام تدل على كثرة خسائر الرومان في المعركة تلك الخسائر التي لم تهيء للرومان ، ان يقفوا تجاه العرب وقفة قوية في موضع آخر ليدفعوا العرب عن سورية فاصبحت معركة اليرموك هي المعركة الفاصلة في حروب العرب في سورية .

المطاردة

وما ان بزغت شمس اليوم التالي ليوم المعركة ، حتى كان خالد بن الوليد في سرادق القائـد الروماني العام ، فارسل بعض الفرسان ، ليفتشوا المنطقة ، ويتأكدوا سلامتها وخلوها من الرومان ، اذقد يكون الرومان يتخذوا التدابير لاعادة الكرة على العرب بهجوم مباغت ، او انهم يتركوا كمينا لازعاج العرب والمسلمين ، ولما علم خالد بخلو المنطقة من الرومان الذين كانوا قد احسنوا بانسحابهم بقوة (٤٠٠٠٠) مقاتل بقيادة باهان ليلا ولم يعلم بهم العرب ، امر خالد بن الوليد الفرسان بالركـــوب لمطاردتهم نحو الشام ، واستخلفوا بشير كعب الحميري على اليرموك .

جمع المسلمون الاسلاب واخرجوا الاخماس ثم وزع الغنائم على الجند ، حصة الفارس الفان وخمسمائة وهـذا يدل على مبلغ الخسائر التي خسرها الروم .

على هامش اليرموك

على الصورة التي ذكرناها تمكن ابناء العرب بقيادة خالد بن الوليد من تدمير اعظم جيش بيزنطي واجبارهم ، وبتدميره انفتح طريق سورية امامهم ، لم يلاق العرب بعدها معركة شديدة كشدة معركة اليرموك التي جمع الروم فيها جيشاً قوامه (٢٤٠٫٠٠٠) مقاتل مع حلفائهم ، فأصبحت سورية تحت سلطانهم ، فحق لهرقل الامبراطور الروماني ، ان يقول « سلام عليك ياسورية . ونعم البلد انت للعدو » فارتحل من حمص اذ أنه كان عارفاً ان لا قبل له بعد الان بمقاتلة العرب المحررين .

ولا نريد ان نمر على هذه المعركة من دون ان نذكر الدروس التي تركتها لنا معركة اليرموك فهي :

دروس وملاحظات

(١) ان خالداً بن الوليد قد اقتبس نظام القتال الروماني في ساحة المعركة من الرومان انفسهم ، ولكنه تمكن من تنظيم قواته باسلوب جعلها تقف قوية عندما هاجمهم الرومان ، فلم يتمكنوا من تشتيتها ، كما ان العرب تمكنوا من تطبيق هذا التنظيم الجديد من دون ان يتدربوا عليه ، مما يدل على مقدرة عالية فى الجيش العربي ، فساعد ذلك ايمانهم باحراز النصر فى القتال .

(٢) ان الرومان كانوا اقوياء في مواضعهم ، ولم يكن بمقدور الجيش العربي ، أن يدمرهم مالم يجبرهم على الخروج من هذه المواضع ، فاجبرهم على تركها مضطرين ، بعد ان كانوا قد هيأوها . ولا يصح

أن يهاجم عدو متحصن في مواضع قوية ، وانما يجب على القائـد ان يسعى لاخراجه من مواضعه ، ولهذا قام خالد بن الوليد بهذه الحركة التى اجبرت الرومان على ترك مواضعهم ، فاثبت انه عارف بواطن الحرب' واساليب النجاح فيها .

(٣) استهدف الروم بهجومهم على ميمنة المسلمين وتثبيت الميسرة' ان يحيطوا جناح المسلمين الايمن ، فيرموهم على الاراضي المرتفعة في اليسار ' فيقطعوا عليهم خط انسحابهم مستفيدين بما تبديه لهم الارض من مساعدة لهم ' فيقضوا بذلك على القوات الاسلامية ' غير ان ثبات العرب في القتال (المجاهدين والمجاهدات) وتعبئة خالد للقوات ، سبب فشل هذه الخطة ، ولا زالت الارض من العوامل المؤثرة في المعارك في العصر الحديث .

(٤) تمكن خالد بن الوليد من الهجوم باحتياطه ، فصار بين خيل الرومان المتقدمة ، وبين مشاته ، وبذلك اضطر الخيالة التي كان يسندها المشاة ، ان تطلب مهرباً فافرج المسلمون ولم يحرجوها .

ولا زال هذا الاسلوب متبعاً فى العصر الحديث ، فاول ما يسعى اليه القادة ان يفصلوا بين دروع العدو ومشاته ، وبذلك يتمكنون من تدمير كل صنف على حده .

كما نجد ان خالد لم يستخدم احتياطه في اول المعركة ، وانما انتظر به ، حتى ازفت الساعة المناسبة لاستخدامه ، فنجح فيه .

(٥) الدرس الخالد من معركة اليرموك ، هو هذه الحركة الافراجية التي قام بها العرب ، فانهم لم يحرجوا الخيل الرومانية التي كان مقدارها في ابتداء المعركة « ٨٠٫٠٠٠ » فارس ، وهي وحدها ضعف الجيش

العربي باجمعه ، وقد يلاحظ ان الانسب - كما يظهر لاول وهله - ان يضيق العرب الخناق عليها ، ويدمروا هذه القوة نهائياً ، غير ان هذا لا يتناسب وموقف القوات العربية في معركة اليرموك لان تعداد الجيش العربى ، هو سدس تعداد الجيش الروماني ، وكل قوة رومانية تترك ساحة القتال هي قوة تضاف الى قوة الجيش العربي فيخف الضغط عنه .

كما ان التضييق على خيالة الرومان ، يضطرها تجديد العزائم ، واعادة القتال مجدداً مع العرب ، وتعدادها الكبير قد يغير نتيجة المعركة ، اذ يبقى قسم من قطعات الجيش العربي منشغل بها ، فمن الخير للقوات العربية ان تفسح المجال للخيالة الرومانية بالخروج من ميدان المعركة ، قبل ان يثوبوا الى رشدهم الذي اضاعه قادتهم ، بعدما فصل خالد الخيل الرومانية عن المشاة ، وان هدف العرب فى معركة اليرموك هو دحر الجيش البيزنطي ، وفتح الطريق نحو الشام ويجب الاستفادة من كل عامل يقرب النصر ، وخير عامل يساعد العرب على انهاء المعركة باسرع وقت وتكون النتيجة بجانبهم ان يضطروا العنصر السريع الحركة في الجيش الروماني للخروج من ساحة القتال ، وهاهم الخيالة يرومون الخروج من الساحة ، فلا بد ان يفرج لها العرب ، لكي يبقى المشاة الروماني وحدها فى الساحة وعند ذلك يسهل على المسلمين تدميرها ، حيث قد فقد الروم الصنف السريع الحركة الذي يتمكن به القائد الروماني من معالجة المواقف اسرع من المشاة .

وهكذا اخطأ القادة الرومان باخراج الخيالة من ساحة القتال ،

فكان نتيجة غلطتهم هذه تسليم سورية الى العرب .

وبعد ثلاثة عشر قرناً من معركة اليرموك في عام ١٩١٨ ميلادية بعد ١٣ قرن حدثت معركة في اليرموك بين الاتراك الذين كانوا المسيطرين على (افراج مشابه) سورية ، ويقومون بدور الرومان في الدفاع عنها وبين الانكليز تساعدهم القوات العربية ، يرمون احتلال سورية وتسلمها من الاتراك فقام الانكليز بهجوم على موقع الصلت ، وفيه قوة تركية ، فاحتلت الموقع الفرقة الانكليزية المهاجمة ، وطردت المفارز التركية التي كانت فيه ، ولما كان لهذا الموقع اهمية كبيرة للجيش التركي ، اذ انه يؤثر على سلامة جيش الاتراك المدافع في منطقة اليرموك ، فقد قرر القائد التركي العام القيام بالهجوم المقابل لاستعادة الموقع من العدوا ، وقد كانت الفرقة الانكليزية منعزلة في هذا الموقع ، ويمكن الألتفاف حول اجنحتها والقضاء عليها بالاسار او الابادة ، غير أن على القائد الذي يروم هذه الغاية (تأسير قوة من عدوه او ابادتها) ان يهيء لهذه الخطة ما يساعد على تطبيقها فالعدو المحاصر اذا ما شعر بان العدو المهاجم يروم ابادته ، أو تأسيره فانه يستميت في القتال .

ولم يكن الموقف في الجيش التركي يساعد القائد على القيام بهذا النوع من القتال ، لأن الجنود الاتراك كانوا منهوكي القوى وليس لهم القابلية على الصمود وتحمل شدة ضغط الهجمات المقابلة التي قد تقوم بها القطعات الانكليزية اذا ما حوصرت فموقف القائد التركي العام (ليمان فون ساندرس) يشبه موقف خالد بن الوليد ، وقد درس هذا القائد الالماني معارك خالد بن الوليد ، ودرس اسباب الحركة الافراجية التي قام بها - الجيش العربي عن خيالة الجيش

الروماني ، وهو في موقع اليرموك ، فلا بد ان مر بخاطره ذلك ، فاذاً ما المانع ان يطبق ما طبقه قبله خالد العرب ؟

فلذلك نراه يكتفي بمهاجمة الفرقة الانكليزية من جبهتها بالرغم من (اعتراض هيئة ركنه على عمله) مكتفياً بطردها من مواضعها ، فكانت حركة مشابهة لحركة الافراج عن فرسان الروم في معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد .

فقـال فون ساندرس « استاذي خالد بن الوليد في فن الحرب (١) . »

ويستحسن ان نذكر ان معارك القرن العشرين (عام ١٩١٨ م) تختلف عن معارك القرن السابع عام (٦٣٤ م) .

فان القوات قبل ثلاثة عشر قرناً ليس لديها الا ان تشتبك في القتال وجهاً لوجه بالسيوف والرماح ، وهي الاسلحة المعول عليها في معارك ذلك العصر ، اما النشاب فكان عاملا مساعداً لها .

اما في معارك القرن العشرين فان الاشتباك فيها نادر جداً ، وان جرى الاشتباك بالحراب فلمدة وجيزة جداً ، اما العامل المسيطر في المعارك عام ١٩١٨ م فهي النار التي هي كل شيء في المعارك «٢» وبامكان القوات ان تصب نيران مدافعها المهلكة من مسافات بعيدة لتدمير العدو .

اذا ما عرفنا ذلك يتبين لنا بوضوح اهمية الحركة الافراجية التي قام بها خالد بن الوليد فكان استاذ القادة بحق .

---

(١) محاضرة احمد اللحام قائممقام اركان حرب . راجع كتاب سيف الله خالد بن الوليد عمر رضا كحالة .

(٢) النار هي كل شيء والباقيات شيء لا يذكر (نابليون) .

يعزوا المؤرخون انتصار العرب في اليرموك على الجيش البيزنطي اسباب خسارة في ساحة قتال اليرموك الى عوامل نذكرها ادناه .

الجيش البيزنطى

(١) يقول بعضهم لان الارمن الذين كانوا يؤلفون نصف جيش الروم كانوا حاقدين على الدولة البيزنطية غير راغبين في القتال (١) وهذا سبب لهم هزيمة شنعاء .

(٢) ويقول لامانس « ان قبائل العرب المتنصرة خانت الروم في اثناء المعركة والتحقت بالجيوش الاسلامية وكان هذا من اسباب الفشل «٢» » .

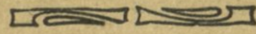
(٣) وقال آخر كان الجيش البيزنطي مؤلفا من شعوب مختلفة ، لا يألف بعضها بعضاً ، ولا يحب بعضها بعضاً ، وجيش كهذا لا تلهبه عاطفة وطنية ، ولا تضطرب فيه حماسة قومية ، فكان خليقاً بالانكسار والفشل . ما فى ذلك شك «٣» .

(٤) وقيل في يوم حار انعقدت فيه سحب الغبار الذي اذرته الرياح في بقعة من الارض تكاد تلتهب من شدة القيظ ولا شك ان القيادة العربية قـــد تخيرت ذلك اليوم وتلك البقعة للايقاع بالعدو (٤) .

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية (جزء ١) كارل بروكلمان .
(٢) الفتوح العربية في سورية - عمر ابو النصر
(٣) نفس المصدر
(٤) تاريخ العرب - مطول - فليب حتى

مناقشة العوامل المذكورة



يحسن بنا ان نناقش العوامل المذكور التي يبرر فيها انكسار الرومان ونرى درجة علاقتها بالمعركة .

الارمن

(١) قيل ان الارمن كانوا يؤلفون نصف الجيش البيزنطي فى معركة اليرموك وهم حاقدون على الدولة البيزنطية وغير راغبين فى القتال ، وقد ذكرنا ان هرقل الامبراطور الروماني جمع الجيش فى انطاكيا بقوة ٢٠٠٠٠٠ر٢٠٠ مقاتل ، وبعد ورود هذا الجيش التحق باهان الى اليرموك بقوة ٤٠٠٠٠ر٤٠ مقاتل ، ولذا نعتقد ان الارمن لم يكونوا الا سدس الجيش وعدد الجيش الارمني وحده يقابل الجيش العربي ، فهو ليس نصف الجيش الرومي ، واذا فرضنا جدلا ان الارمن كانوا نصف الجيش ، فانهم قد اشغلوا ميسرة الجيش الاسلامي وبذلك خففوا كثيراً من ضغط الجيش العربي على البيزنطيين ، ومع ذلك لم يتمكن البيزنطيون من الانتصار .

وان عدم رغبتهم في القتال عامل ، قد يكون موجوداً في نفوس الجند ، ولكن في معركة مرج الصفر ، لاقى العرب معركة شديدة كانت خسائرهم فيها (كما سنرى) اكثر من خسائرهم فى معركة اليرموك ، وكانت القوات البيزنطية بقيادة باهان الارمني ، وهذا يدل على رغبته في القتال .

خيانة القبائل المتنصرة

(٢) اما القبائل المتنصرة ، فلم نجد في كتب التاريخ العربي ، ما يشير الى انها انضمت الى العرب في اثناء المعركة ، وانما وجدنا ان الروم ، أرسلوا هذه القبائل لملاقات خالد قرب الشام (فى مرج راهط) ومنعه من الاجتماع بالقوات العربية ، كما اننا نراهم يتقدمون امام الجيش الروماني ، ويكونون حجاباً يستر تحشد الجيش ، وقد حدثت مناوشات بينهم وبين المسلمين ، تدل على عدائهم للاسلام وموالاتهم للرومان ، نعم قد يكون هولاء حاقدين على الدولة الرومانية لقطع مخصصاتهم ، ولكن هذا العامل يجعل هؤلاء يلتحقون بالمسلمين قبل المعركة ، وقد التحق قسم منهم فعلا بالجيش الاسلامي اما القسم الاغلب ، فقد بقي على ولائه لروما حتى معركة انطاكيه.

وبهذا نرى ان هذا العامل ليس له اثر في المعركة ، ولم يكن من اسباب الفشل ، فلا محل لا يراده .

اختلاف الجنسيات

(٣) ان كل جيش تتعدد فيه الجنسيات والاهواء ، تكون نتيجته الفشل المحتم ، وهذا لا جدال فيه ، وتاريخ الامم المختلفة فى العصور المتباينة ، يثبت ذلك ، غير ان الجيش الذي حارب به الرومان ، انتصروا به على الفرس قبل مدة قليلة ، كان يتألف من نفس هذه الجنسيات ، فما هو السر الذي جعله ، يخسر معركة اليرموك تجاه العرب ؟ اننا نعتقد ان هنالك سبباً آخر سنذكره في اسباب انتصار العرب .

الطقس الحار والغبار

(٤) هذا عامل آخر ذكر كسبب لخسارة الرومان في معركة اليرموك الفاصلة ، وقد يكون الجند الروماني غير مدربين على تحمل ضراوة الصحراء ، ولكن المعركة عندما تكون في ساحة واحدة ، فان تأثير هـذه العواصف يكون على الطرفين ، واذا كان الجندي العربي ، يقاوم في العواصف اكثر من الجندي الروماني ، فمن حقنا ان نسأل متى هبت هذه العواصف الرملية [١] ؟ فاننا قد رأينا من المعركة ان الجيش الرومانى ، قد تقدم في ابتدائها ، وتمكن من احراج موقف الجيش العربى ، فكاد المسلمون يفقدون النصر .

فهل كانت العواصف الرملية والغبار بصالح الرومان في ابتداء المعركة ، أم أنها لم تحدث في خلال هذه الساعات التي كان النصر فيها اقرب الى الروم من العرب ؟ .

وبهذا نرى ان هـذه الاعذار التي ارسلها المؤرخون ، لم تكن قوية ومؤثرة في المعركة لدرجة كبيرة بحيث يسند لها فشل الرومان ، مع العلم ان لها تأثير في سير القتال

سبب انتصار العرب

اذا عدنا الى المعركة ، نجد ان الرومان تمكنوا من دحر ميمنة الجيش الاسلامي ، حتى وصلوا الى معسكر النساء ، فاضطرت النساء

(١) اذا رجعنا الى معركة عقرباء ، نجد ان العواصف الرملية ، قد أثرت في المسلمين ، فانسحبوا في اول ساعات المعركة ، غير انهم ما لبثوا ان استعادوا العزم ثانية ، وتمكنوا من الانتصار على العدو ، ولهذا نعتقد ان الجند الرومانى لو كان له صبر العرب وحماستهم وتضحيتهم لتمكن من اعادة كرة الهجوم وينتصر بالرغم من الريح والغبار .

للقتال ضد جند الروم، واخذن يضربن وجوه الخيل، ويثرن النخوة في الرجال المسلمين للثبات في المعركة.

ولكن ما لبث المسلمون حتى استلموا المبادأة في العمل من الروم، فقاموا بالهجوم المقابل الذي إضطر الروم الى ان تترك خيالتهم ميدان المعركة وتهيم على وجهها، وتنهزم القبائل الموالية لهم، وينسحب الارمن ليلا بقيادة باهان.

لم تكن العوامل التي ذكرها المؤرخون هي التي أوجبت انتصار العرب، مع انها ذات تأثير في القتال، فما هو سبب انتصار العرب؟

ان القوة الخفية في النفوس تلك قوة المعنوية، والايمان بالنصر، والتضحية لدي العرب، ورباطة الجأش، والاستبسال في القتال، وطلب الشهادة، والصبر في الحرب المستندة على عامل العصبية الاسلامية (١) هي التي مهدت النصر للعرب المسلمين.

ثم ان قيادة خالد بن الوليد الذي كان يعرف كيف يثير المواقف بصالح جيشه، فيضطر عدوه على قبول معركة فى مكان تهيأ للقتال بغيره، واتقان اساليب استخدام القطعات في المعركة، وتعبئة جيشه باسلوب غير مسبوق في ميدان المعركة، صار جيشه به كتلة قوية. هى التى احرزت النصر للعرب.

نتيجة معركة اليرموك

كانت نتيجة معركة اليرموك ان انفتح الطريق امام القوات العربية فى سورية، فلم تبق قوات قوية قادرة على الثبات امامهم، سوى قوة باهان المنسحبة امامهم، فوقفت هذه فى مرج الصفر، ثم

---

(١) يقول ابن خلدون في مقدمته لا تقوم الدولة الا بالعصبية ولا تكون العصبية الا بالدين وقد كان هذا لدى العرب فى صدر الاسلام من اقوى عوامل انتصارهم.

انسحبت ، وما يدل على عدم قابلية الدولة الرومانية على الوقوف امامهم ، هو ترك هرقل الامبراطور مدينة حمص الى انطاكية بعد المعركة مباشرة ، ثم بعدها فتح الشام كما سترى .

أثر معركة اليرموك في العرب

بنتيجة المعركة اصبح العرب القوة الجبارة فى العالم القديم ، بعد ان كانت القوتان اللتـان تتنازعان السيادة عليه هما فارس وروما . ولكن الآن بعد ان تمكن رجال الجزيرة العربية من تدمير جيش الروم فى اليرموك - كما دمر خالد بن الوليد قسماً غير قليل من قوات فارس فى العراق - لم يبق امامهم فى العالم قوة قادرة على الوقوف بطريق تقدمهم ، فلو لم يكن النصر حليفهم في هذه المعركة ، وتحطمت قواتهم ، لما رأينـاهم يدمرون فارس في القادسية ، ولما فتحوا البلاد السورية والشام ، وأسسوا دولة مترامية الاطراف في أقل من قرن ، حكمت نصف العـالم ، وكانت أوسع من أمبراطورية رومـا وتدوم عشرة قرون حاملة مشعل الحضارة في العالم ، بينما كان العالم في سباته العميق ، حتى نهضت اوربا بجملته ، فلا بد لهذه الامة ان تعود لما كانت عليه اذا ما احسنت قيادتها .

أثرها فى غير العرب

يتقدم العرب في سورية وفي باقي اجزاء العالم ، ولم يدخلوا قطراً او بلاداً ، الا ودخل معهم فيها العدل،والمساواة ، والحرية الفردية . وحوفظت حقوق الناس . وزال حـكم الاستبداد في الشعوب والاقطاع ، فساد العدل والانصاف والسلام بين الناس .

فاخذ الناس يتطلعون الى هذا الحـكم العادل ، اما الامم التى لم تـكن تريد ان تفقـد ما لديها ، فان زعماءها اخذوا يسعون لان يصلحوا بلادهم ، وهذا شأن الامم ، فانها لا تعرف قيمة الاصلاح

الا بعد ان ترى غيرها من الامم ، وقد سبقتها فيه وبزتها في القوة ، وهذا الشرق العربي ، انتفض بعد نكبة فلسطين ، فاذا هى الحكومات والشعوب تسعى لاصلاح حالها ، وكذلك كان الرومان والفرس ، غير ان تقدم الامـــة العربية لم يعط فترة لفارس ، وكانت فترة الروم اطول .

وقعة مرج الصفر

انسحب الرومان نحو الشام ، وتقدم العرب بعد معركة اليرموك ، وكان لا بد للروم ان يقفوا للدفاع عن الشام ، وطرد العرب عنها وعدم تسليمها ، فوقفوا فى مرج الصفر لمقاتلة الجيش العربي .

الهجوم

فلما وصل خالد بن الوليد على رأس قواته الى المرج ، وجـــد الروم بقوة عظيمـــة ، وقد تهيؤا للمعركة . فاعطى خالد اوامره بالهجوم ، فهاجمهم الجيش العربى ، واشتبك الجيشان بمعركة شديدة ، اضطر الروم بها على الانسحاب الى دمشق فتحصنت حامية الشام بها وجاءت الامداد اليهم .

الخسائر

وما يدل على شـدة المعركة في مرج الصفر ان الجيش العربى ، فقد فيها اربعة آلاف مقاتل بين جريح وشهيد ، بينما لم يفقد في معركة اليرموك اكثر من ثلاثة آلاف شهيد ، ويذكر ان الدماء جرت فى الماء وطحنت بها الطاحونة .

واشتركت في هذه المعركة من النساء ام حكيم بنت الحارث من النساء تقاتل العدو .

وبعد معركة مرج الصفر لم يبق أمام القوات العربيـــة سوى التقدم الى الشام التي دخلت فيها حاميتها ، وتحصنت بها .



الفصل التاسع

فتح دمشق . من القائد ؟ وصف دمشق . أهميتها . دفاع الروم .
حصار العرب وفتح المدينة . الموقف العام عند فتح الشام .
معركة فحل . معركة مرج الروم . فتح بعلبك .
فتح حمص . حماة وشيزر . اللاذقية . قنسرين .
انطاكية . مرعش . عزل خالد . تأثيره في
الفتح . سببه . محاكمة خالد . رأي
عمر في خالد . رثاء خالد .



فتح دمشق

بعد انتهاء معركة مرج الصفر في جنوب دمشق ، تقدم الجيش العربي لاستلام المدينة ثانية من الروم .

وكان لدى الروم قطعات متهيئة في حمص للحركة الى الشام لمساعدة حاميتها ، فلذلك كان لزاماً على القوات العربية الاسراع في الحركة .

من القائد ابو عبيدة ام خالد ؟

اختلفت الروايات في قيادة القوات العربية في الشام ، فمنهم من ذكر انها كانت لابي عبيدة بن الجراح من حيث ورود امر عزل خالد بن الوليد عن القيادة بعد معركة اليرموك مباشرة .

وقسم يذكر ان القيادة كانت لخالد بن الوليد ، وجاء عزل خالد عن القيادة اثناء حصار دمشق أو قبيله ، ويذكر بعض المستشرقين امثال (غوبي) (١) ان عزل خالد عن القيادة ، جرى بعد فتح الشام مباشرة لأن القوات التي جاءت معه من العراق اعيدت الى العراق وابقاه الخليفة عمر بن الخطاب ، ولم يرسله معهم .

وهنالك دليل آخر يستدل به من يؤيد ان القيادة كانت لخالد بن الوليد في فتح الشام بعد اليرموك ، وهو انه لما اراد الخليفة عبدالملك بن مروان بناء الجامع الأموي ، اقتضى له ضم النصف الباقي من الكنيسة الى المسجد ، فاعترض عليه نصارى دمشق ، فاظهروا له كتاب الامان الذي اعطاه لهم خالد بن الوليد وهذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى خالد بن الوليد أهل دمشق يوم فتحها . اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم ، وكنائسهم لا تهدم ولا تسكن . لهم على ذلك ذمة الله ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ان لا يعرض لهم احد الا بخير ، اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد هذا الكتاب يوم كتب . عمرو بن العاص . عياض بن غنم . يزيد بن ابي سفيان . ابو عبيدة الجراح . ومعمر بن عتاب . شرحبيل بن حسنه . وعمير بن سعد . يزيد بن

---

(١) الفتوح العربية في سورية - عمر ابو النصر

نبيشه . عبدالله بن حارث . وقضاعى بن عامر[1] » .

ويظهر من ذلك ان ابا عبيدة ، كان شاهداً من جملة الشهود في الكتاب ، ولما كانت الاصول المتبع ، ان الكتب تصدر باسم قائد الجيش الاعلى، وقد صدر هذا الامان باسم خالد بن الوليد ، فبذلك يكون خالد هو قائد القوات في فتح الشام .

اما من يؤيد فكرة عزل خالد ، فيستند بعضهم الى ان بانتهاء معركة اليرموك ، لم يبق امام القوات العربية قوات قوية ، فاصبحت الحالة تتطلب رجلا ادارياً مثل ابي عبيدة الجراح ، وان خالداً لم يكن من رجال الادارة في نظر عمر بن الخطاب .

وتذكر طائفة ان عمر بن الخطاب ، كان يكره ان يولي خالداً بن الوليد عملا ما في خلافته ، مستندين في ذلك الى حوادث حدثت في خلافة ابي بكر الصديق ، ولهذا بعد ان تولى الخلافه كان أول عمل عمله هو عزله عن القيادة .

والثابت لدينا ان خالداً بن الوليد كان يقود قواته التي جاء بها الى العراق في فتح الشام [2] ، وهذا لا شك فيه ، ويروى الطبري ان خالداً جاء الى الشام ، وعلى مجنبتيه عمرو بن العاص ، وابو عبيدة ، وعلى هذا يكون خالد في القلب بمركز القائد العام .

ورأينا في القيادة العامة في فتح الشام ، هو انخالداً بن الوليد عندما جاء الى سورية من العراق ، أمّره القادة بعد ان خطب رأينا

---

(١) التاريخ الكبير ج ٣ - بن عساكر

(٢) راجع المعركة ودخول خالد عنوة

فيهم (١) على ان يتولى القيادة كل منهم يوماً واحداً ، وعلى ذلك فانا نعتقد ان عزله عن القيادة ، حدث بعد ان ارسل ابو عبيدة قوات العراق الى العراق ، بموجب أوامر الخليفة عمر بن الخطاب ، فبقى خالد بدون قوات خاصة يقودها ، فالتحق بركب ابي عبيدة .

ويروى الطبري ان ابا عبيدة قد كتم الامر ، حتى انتهت المعركة ومن ثم ابرزه وهذا ما نعتقد بصحته .

نكران الذات ويحسن بنا ان نذكر هنا الدرس الذي تركه لنا ابو عبيدة من كتمه الامر لئلا يحدث خلل في القتال ، يستفيد منه العدو ، فترك لنا درساً بليغاً بالتواهب في الحرب تجلى في كتمانه هذا الامر عن خالد ، فانكر ذاته في سبيل نصر امته الذي كان يسعى اليـــه ، وطابت نفسه عن الدنيا ، فسمى بتفكيره الى المثل العليا ، ولا قيمة لزائل تجاه الخلود الذي يبتغيه ؟

ولم يكن عمل ابي عبيدة هذا تضحية في نظره هو ، فان النفوس اذا سمت كما سمت نفس ابي عبيدة والخلق اذا تكامل كما تكامل خلق ابي عبيدة ، اضحت التضحية ونكران الذات لتلك النفوس أمراً اعتيادياً ، لا تصلها نفوس الطامعين في الدنيا ، ولا عجب ان يكون ابو عبيدة المثل في هذا وهو امين امة محمد .

وصف دمشق لم تكن دمشق مدينة كبيرة ابان الفتح العربي ، وكانت محاطـــة بسور ارتفاعه عشرون قدماً ، وسمكه خمسة عشر قدماً .

وقد ادخل الامبراطور (ديو كلشيان) الروماني على دمشق

---

(١) توجد رواية ان ابا بكر كتب اليه بامره ، وكتب الى ابي عبيدة يخبره بذلك .

كثيراً من الاصلاحات في حصونها ، ووسائل الدفاع فيها ، ولعله كان يرمي من ذلك الى ان يجعلها حصناً رومانياً لحدود الامبراطورية الشرقية ، وكانت الشرفات كثيرة فيها وقد اتخذت مسكناً للرماة بالسهام ، والمقاليع الذين كان من واجبهم منع العدو ، وصده عن تسلق اسوارهم ، والوصول الى المدينة (١) وكان يحيط بالسور خندق ، يملأ بالماء ، عرضه يتراوح بين عشرة او خمسة عشر قدماً ، وكان للمدينة ستة ابواب هي :

باب الجابية في الغرب ، والباب الشرقي ، وباب كيسان ، وباب توما ، وباب الفراديس في الجهة الشمالية ثم الباب الصغير (٣) .

وكان الدرب المستقيم اهم شارع في دمشق ، وكان يصل غربي دمشق بشرقيها . فيمتد من الباب الشرقي مسافة ربع ميل الى الباب الغربي ، او باب الجابية ، اما عرضه فكان خمسة عشر قدماً (٣) .

وبذلك تكون دمشق قلعة رومانية حصينة ، كان الرومان يستفيدون منها في الدفاع عن سورية ، وهي احدى القلاع الكثيرة في البلاد الشامية .

أهمية دمشق السوقية

تقع دمشق في قلب البلاد الشامية (سورية) ولموقعها أهمية سوقية ، فالمسيطر على دمشق ، يسيطر على عدد كبير من الطرق السورية ، ويتمكن من الحركة باتجاهات مختلفة ، مستنداً على قلعة حصينة ، وقاعدة تموين مهمة للجيش ، وخاصة للجيش العربي

---

(١) الفتوح العربية في سورية - عمر ابو النصر .
(٢) موجز البلدان - ابن الفقيه .
(٣) الفتوح العربية في سورية - عمر ابو النصر

الذي لا زال لم يستند على قاعـــدة تموين رئيسية ، يتمكن من الاستفادة منها بصورة تامة .

فتتصل دمشق شمالا بحمص ، وحمـــاة ، وقنسرين ، وحلب فانطاكية ، وفي المدن الساحلية غرباً ، وتتصل بفلسطين ، والسيطرة عليها تجعل الحاميات الرومانية الموجودة في فلسطين منعزلة تقريباً كما رأينا ، وانها تتصل بالجزيرة العربية عن طريق معان - تبوك - المدينة ، او عن طريق بصرى (اسكي شـــام) وادي السرحان - الجـــوف .

كما انها تتصل شرقاً بتدمر - السخنة - دير الزور ، وهذا الاتجاه مهم جداً للقوات العربيـــة الموجودة في العراق ، فالسيطرة عليه تقضي على كل حركة تمرد من قبل القبائل ضد القوات الاسلامية .

وهي عدا هذه الاهمية السوقية ، لها أهمية معنوية جداً للعرب ، فهم طالما تغنى شعراءهم بدمشق ، حتى كانت غوطتها احدى جنائن الدنيا ، وليس ادل على افتتان العرب بدمشق من انهم اتخذوها عاصمة للدولة الأموية ، فيما بعد ، وما قول ذو الكلاع الحميري الا دليل على أهميتها المعنوية للعرب (١) .

دفاع الروم والحصار

وكان لا بد للروم من الدفاع عن المدينة ، وارسال النجدات الى حاميتها ، لتتمكن من الصمود بوجه العرب نظراً للاهمية السوقيـة لهم ، فدخلت القوات المنسحبة من مرج الصفر مع الحامية الدمشقية وتهيأت الحامية لدفاع المدينة على أمل ورود نجدات لهم من حمص .

وصلت القوات العربية دمشق ، وعلى المجنبتين عمرو وابوعبيدة ،

---

(١) راجع التحشد في الفصل السادس نفس الكتاب .

وعلى الخيل عياض ، وعلى الرجالة شرحبيل (١)

فنزل خالد في الباب الشرقي ، ونزل ابو عبيدة في باب الجابية (الباب الغربي) ونزل عمرو بن العاص على باب الفراديس ، ونزل شرحبيل بن حسنه بباب توما ، ونزل قيس بن هبيره بباب الفرج ، كما ارسل ذو الكلاع الحميري باتجاه حمص ، ليمنع النجدات من حمص الى الروم في الشام ، وهذا الاتجاه الخطير كما ارسل علقمة بن حكيم ومسروقاً حتى كانا بين دمشق وفلسطين ، وارسل خيلا باتجاه فحل (٢) وارسل ابا الدرداء عامر بن عويمر الخزرجي في جماعة الى جهة (برزه) وهي نقطة في بعلبك ، ليحافظ الطريق من اتجاه طرابلس ، وبهذا يكون العرب قد ضربوا نطاقين حول دمشق فتكون خطة العرب هي عزل حامية دمشق عن اية مساعدة تاتيها من خارج دمشق وتضييق الحصار على المدينة نفسها ، فتضطر حاميتها الى التسليم للعرب ، فسيطروا على جميع مداخل المدينة .

ولم تكتف القيادة العربية بهذا الحصار وانما هيأت احتياطاً سياراً بقوة الفي فارس بقيادة ضرار ابن الازور ، تطوف حول دمشق واجبها انجاد أي قسم من الاقسام العربية ، يحتاج الى النجدة ، ومعالجة الطوارىء بسرعة .

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٧

(٢) في رواية ان عمر كتب الى ابي عبيدة عندما سأله رأيه « اما بعد فابدأوا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم ... » الطبري ج ٤ ص ٥١ .

محاولات الروم لفك الحصار

لم تركن الحامية الرومانية الى الهدوء بعد تطويق المدينة، وسد مداخلها من قبل القوات العربية، وخاصة ان السكان المدنيين اجتمعوا الى قائد الحامية توما صهر هرقل، وطلبوا اليه العمل لفك الحصار، او السماح لهم بمفاوضة العرب، ولذلك قام هذا بهجومين لفك الحصار.

الهجوم الاول — قام به توما من باب توما اتجاه شرحبيل بن حسنه، فدار القتال بين الطرفين، وقد اثر الروم بنشابهم على الجند العربي، عندما كان قريباً من السور، فامر شرحبيل الرجال فانسحبوا الى الوراء تجنباً للخسائر، فطمع الروم في هذه الفرصة، فارادوا استغلالها فهجموا على العرب خارج السور، غير انهم فشلوا بذلك وقد ابلت في هذا القتال ابان زوجة سعيد بن العاص الذي استشهد في هذا القتال. فكانت تقاتل برمي النشاب.

ابانه تقاتل

الهجوم الثاني — كان هذا الهجوم واسعاً لأن قوات كافية قد وضعت للمشاغلة في الابواب، وجرى الهجوم بالقوات الرئيسية من باب توما، فثبت شرحبيل بقواته تجاه الهجوم، كما ثبتت القوات المحاصرة للابواب الاخرى، ففشل الهجوم.

اما ابو عبيدة فانه ارسل كميناً قرب الباب، فلما خرج الروم، تقدم الكمين نحو الباب، فخاف الروم منه فانسحبوا، ففشل الروم في محاولاتهم، وبقي العرب محاصرين لها، ويرومون فتحها بالزحوف والترامي والمجانيق.

وبعد حصار دام سبعين ليلة (١) شدد العرب الحصار على الشام،

---

(١) في رواية ان الحصار دام ستة اشهر ورأينا أن مدة الحصار لم ترو المصادر=

فيئس اهلها من النجدة التي كانوا يأملون وصولها من حمص اليهم لأن القوات التي بقيادة ذو الكلاع باتجاه حمص ، قد منعت هذه النجـــدة من وصول دمشق ، فطلب السكان من العرب الامهال ، فابى خالد الا النزول على الشروط فرفضوها .

غفلة الروم

بعد حصار دام سبعين ليلة ، كان خالد في اثنائها ، يتسقط اخبار عدوه ، وقد اذكى عيونه فيهم ، ويتدبر الامر ، فبلغـــه انه ولد لبطريقهم مولود فصنع عليه وليمة فاكل القوم ، وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم ، ولا يشعر بذلك احد من المسلمين ، الا ما كان من خالد ، فانه كان لا ينام ولا ينيم ، ولا يخفى عليه من امورهم شيء لما اذكى عليهم من العيون ، وهو معني بما يليه (١) وهـــذا يدل على ان خالداً كان دائم الاستطلاع لحركات عدوه ، ويعرف اعمالهم ، وينتظر الفرصة المناسبة .

واتخذ حبالا كهيئة السلالم واوهاقاً ، فلما امسى من ذلك اليوم ، نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدمهم القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وامثاله من اصحابه في اول يومه ، وقالوا اذا سمعتم تكبيرنا على السور ، فارقوا الينا ، وانهدوا للباب .

فلما انتهى الى الباب الذي يليه هو واصحابه المتقدمون ، رموا

= الى مصادمة ذو الكلاع من النجدة المتقدمة من حمص بشدة خارج منطقة حصار الشام ، مما يدل على عدم ارسال نجدات اخرى ، فلو كانت المدة ستة اشهر كما ذكر ، لتيسر للروم الوقت الكافي لارسال قوات كافية لمساعدة حامية دمشق ، وان عدم ارسال امداد دليل على انتهاء الحصار بسرعة .

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٧

بالحبال الشرف ، وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها الخندق ، وبهذا يكون خالد بن الوليد قد هيأ ما يحتاجه للتسلق على السور من سلالم ، واوتاد ، وقرب لعبور الخندق ، ويظهر انهم لم يرموا هذه القرب عن ظهورهم (١) وقد يكون ذلك من باب الاحتياط خوفاً من فشل هجومهم .

فلما ثبت لهم وهقان (٢) تسلق فيهما القعقاع ومذكور ، ثم لم يدعا احبولة الا اثبتاها ، والاوهاق بالشرف ، وكان المكان الذي اقتحموا منه امنع ، اكثره ماء واشده مدخلا .

وتسلق السور من احصن مكان ، فيه نوع من المباغتة ، اذ لم يكن الرومان يتوقعون الحركة هذه من هذا المكان ، ولهذا كان من المرجح - كما ذكرت الرواية - ان يتركه الحراس لمناعته .

وتوافوا لذلك فلم يبق احد ممن دخل معه الا رقى ، أو دنى من الباب ، حتى اذا استووا على السور انحدر عامة اصحابه وانحدر معهم ، وخلف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقى .

اشارة الهجوم

وامرهم بالتكبير ، وهي اشارة الهجوم (كما ذكرنا) فكبر الذين على رأس السور ، فنهد المسلمون على الباب ، ومال الى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها .

فتح الباب ودخول المسلمين

وانتهى خالد الى اول من يليه ، فانامهم وانحدر الى الباب ، فقتل البوابين ، وثار اهل المدينة ، وفزع سائر الناس ، فاخذوا مواقفهم ، وما يدرون ما الشأن ، وتشاغل اهل كل ناحية بمن

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٨

(٢) الوهق حبل في رأسه أنشوطة .

يليهم ، وقطع خالد بن الوليد ومن معه اغلاق الباب بالسيوف ، وفتحوها للمسلمين ، فاقبلوا عليهم من داخل ، حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل الا انيم (قتل) .

وهكذا دخل جند خالد بن الوليد الشام عنوة بجنود ، يحبون الموت كما يحب عدوهم الحياة ، لم تقف المصاعب بطريقهم ، وكيف يكون ذلك وهم يؤمنون انهم يقاتلون لاحدى الحسنيين ؟! وقائدهم خالد ابن الوليد الذي ما زال منذ خروجه من المدينة حتى الآن ، يقودهم من نصر الى نصر ، ودخول خالد هذا يظهر قابليته في حصار المدن ، واتخاذ التدابير لفتحها .

الصلح مع ابي عبيدة

ولما شد خالد على من يليه ، وبلغ منهم الذي اراد عنوة ، ارز (رجع) من افلت الى اهل الابواب التي تلي غيره ، وقد كان المسلمون دعوهم الى المشاطرة ، فابوا وابعدوا ، فلم يفاجئهم الا وهم يبوحون لهم بالصلح ، فاجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الابواب ، وقالوا « ادخلوا وامنعونا من اهل هذا الباب (يقصدون قوات خالد بن الوليد التي دخلت عنوة) » فدخل اهل كل باب بصلح ممن يليهم ، ودخل خالد مما يليه عنوة ، فالتقى خالد والقواد في وسطها ، هذا استعراض وانتهاب ، وهذا صلح وتسكين ، فاجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار صلحاً (١) .

ونعتقد إن ما ورد هنا ، يدل على ان المفاوضات لم تكن منقطعة بين المسلمين واهل دمشق ، وهذا يؤيده ما ورد بان الاهلين طلبوا الصلح او الامهال .

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٨

والنقطة المهمة التي يجب تدقيقها ، هي هل تيسر وقت لاهـل دمشق للذهاب الى ابي عبيـدة ، وقبولهم شروط المسلمين وفتح الابواب ؟.

والذي يلوح لنا أن الوقت كان مساعداً ، لان خالداً تسلق السور ليلا ، ثم حدث قتال بينه وبين جند الروم وقتال الشوارع هو ليس كقتـال البراح ففيه من التأخير ، ولما شعر الروم بدخول خالد سارعوا للصلح مع ابي عبيده ، فقبله ابو عبيده رغبة منه في انهاء الحصار ، بينما كان جندهم يقاتل قوات خالد ، وهكذا فتحت دمشق ابوابها للعرب عنوة فصلحا .

موقف المسلمين العام عند فتح الشام

وكان المثنى بن حارثة الشيباني ، قد ذهب الى المدينة بعد مسير خالد بن الوليد بمدة وطلب الى الخليفة ، ان ينجده بقوات جديدة لمنازلة الفرس ، وخاصة ان هؤلاء قد اتحدوا فيما بينهم فانجـده الخليفة ، فاحرز المسلمون بعض الانتصارات ، غير انهم نكبوا في معركة الجسر .

وبعد معركة الجسر اعلن الخليفة عمر بن الخطاب الجهاد ، وطلب الى الامراء ان يرسلوا كل مقاتل قادر ، فلمـا كمل حشدهم ، ارسلهم الى العراق بقيادة سعد بن ابي وقاص ، ويقابله على جيش فارس القائد رستم ، فلما انتصر العرب في الشام امر الخليفـة ابا عبيدة بارسال جند العراق الى العراق للاحتياج اليهم هناك . وكان فتح الشام قبل القادسية بشهر[1] اما في سورية : فقد كانت القوات الرومية في فلسطين (غرب) الاردن ، وفي الاقسام

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٨

الداخلية من سورية . فان العرب (كما ذكرنا) لم يتقدموا نحـــو سواحل سورية .

ارسال المفارز

بقي يزيد بن ابي سفيان في دمشق ، فبعث دحية بن خليفة الكلبي في خيل بعد ما فتح دمشق الى تدمر ، وابا الزهراء القشيري الى حوران ، فصالحوهما على صلح دمشق ، ووليا القيـــام على فتح ما بعثا اليه (١) .

وارسال المفارز هـــذه يدلنا على ان خالداً بن الوليد لم يفتح تدمر وبصالحها كما ذكر في بعض الروايات ، وهذا يؤيد رأينا في ان مسيرة خالد كانت من الحيرة الى الجوف ، ومنها الى قراقر فسوى .

معركة فحل

بعد أن سلمت دمشق للعرب ، تركت فيها حامية بقيادة يزيد بن ابي سفيان ، وسارت القوات الى فحل من اعمال الاردن بقيادة شرحبيل بن حسنة ، وعلى المقدمة خالد بن الوليد (القائد العام في اليرموك) فلم يضعف ذلك من تفانيه في الخدمة في سبيل الله ، واستبساله في القتال . فقاد مقدمة القوة بامرة احد القادة الذين اشتغلوا بامرته وتدربوا على اساليبه ، فكان استاذهم الاكبر في فن الحرب ، فاصبح مثلهم في التضحية ونكران الذات .

اما ابو عبيدة وعمرو فكانا على المجنبتين ، وعلى الخيل ضرار بن الازور ، وعلى الرجالة عياض ، وكان شرحبيل لا ينام الا على تعبئة .

اما القوات الرومانية ، فانها عندما شعرت بالمسلمين بثقت المياه ،

---

(١) نفس المصدر ص ٥٨

واغرقت الارض ، فلما جاء المسلمون ضاقوا ذرعاً بالماء ' غـــير ان الماء عاد على المسلمين بالخـــير ' لأن الروم ظنوا غفلة في المسلمين ' فهاجموهم فثبت المسلمون في قتالهم ' فلما جن الليل حار الروم في امرهم ' فانهزموا ' وهم حيارى ' وضلوا الطريق ' واسلمتهم هزيمتهم الى الوحل ' فركبهم المسلمون ' ولم يفلت منهم الا الشريد .

والذي يلوح لنا من صحة هذه الرواية ' أن الروم كانوا يهيؤن هـــذه القوة قبل اليرموك ' ليقطعوا بها خط انسحاب العرب ' ولتساعد القوات الرومية في اليرموك ' والا فلا يصح ان تجتمع قوات في هذا المحل (فحل) بعد معركة اليرموك الفاصلة .

رأينا

أما نحن فنؤيد الرواية القائلة ، ان وقعة فحل كانت قبل فتح الشام ، وانها كانت في السنة ١٣ هجرية في حين ان فتح الشام كان سنة ١٤ هجرية ' وذلك لان فحل واقعـــة في شرقي نهر الاردن . (وقد تكون موقع الصلت حالياً او تجاوره) فلا يمكن ان تمر الارتال العربية في حركاتها الاولى ، وتتوغل في سورية ' وتترك هذا الموقع خلفها ' يهدد طرق مواصلاتها ' كما لا يمكن للعرب ان يقتحموا معركة اليرموك ، وخلفهم قوات كبيرة في فحل ، فيكونوا بين رتلين قويين للعدو ' وخاصة ان الطبري يذكر ان قوات العدو في فحل كانت (٨٠٠٠٠) وسبب ذكر هذه المعركة بعد فتح الشام ثانية ' فهو عـــدم تسجيل الوقائع في وقتها شأن الوقائع الاخرى للتاريخ الاسلامي .

مرج الروم

بلغ هرقل خبر دمشق ، وان المسلمين خرجوا الى (حمص)

فارسل (توذرا) البطريق ، حتى نزل بمرج دمشق (١) في غربها ، ثم اتبعه (شنس) الرومي بمثل خيل (توذر) . اما المسلمون فقد خرج بهم ابو عبيدة مع خالد بن الوليد ، فنزلوا جميعاً على ذي الكلاع الحميري في الخيل التي كانت تمنع مدد الروم الى دمشق بريد حمص ، فلما رأى قوات الروم في المرج ، بدأ بمنازلتها ، فنزل ابو عبيدة ازاء شنس بقسم من القوة ، وخالد بن الوليد بازاء (توذر) بقسم آخر منها ، وبقي كل منهم مقابل الآخر فلما كان الليل اصبحت الارض من (توذر) بلاقعاً لأنه ترك ميدان المعركة ، واتجه نحو دمشق ظناً منه أن حاميتها ، سوف لا تقدر على الوقوف في سبيله ، فيدخلها ويتحصن بها ، ويطرد قوات العرب منها ، وعند ذلك يضطر العرب الى معركة ثالثة في دمشق ، وله الحق في ذلك فان قوات العرب تفرقت في انحاء سورية ، وابو عبيدة مشغول بشنس .

سبق خبر توذر الى يزيد فخرج لملاقاته ، فاشتبك معه بمعركة حامية ، اما خالد بن الوليد وابو عبيدة فاجمع رأيهما على ان يتبع خالد توذرا ، فاتبعه خالد من ليلته في جريدة ، فلحق خالد بتوذر وهو مشتبك بمعركة مع يزيد بن ابي سفيان ، فاخذتهم السيوف المسلمة من خلفهم ، ومن امامهم فقتلوهم ، ولم يفلت منهم الا الشريد. الحامية تنهبا

وقتل خالد بن الوليد توذرا قائدهم فقال :

نحن قتلنا توذرا وشوذرا وقبله ما قد قتلنا حيدرا

نحن ارزنا الغيضة الا كيدرا

---

(١) مرج الروم غرب وشمال دمشق ويسمى البقاع الآن

ابو عبيدة يغلب شنس

وبعد أن انتهى خالد من المعركة وقسمت الغنائم ، رجع الى ابي عبيدة ، فوجده قد تمكن من تدمير جيش (شنس) وملأ الارض من قتلاهم ، وانتنت منهم الارض ، وركب اكساءهم(١) الى حمص .

فتح بعلبك

تقدم ابو عبيدة بجيشه نحو حمص ، فمر ببعلبك فصالحها ، وكتب لهم كتاب الصلح وفيه امان لأهل بعلبك على اموالهم وكنائسهم ودورهم وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب امان لفلان بن فلان واهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على انفسهم ، واموالهم ، وكنائسهم ، ودورهم . داخل المدينة وخارجها ، وعلى ارحائهم وللروم ان يرعوا ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ، ولا ينزلوا قرية عامرة ، فاذا مضى شهر ربيع وجمادي الاولى ساروا الى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من اقام منهم الجزية وشهد الله وكفى بالله شهيدا (٢) .

فتح حمص

تحصنت فلول المنهزمين من مرج الروم ، وحامية حمص فيها ، وكان هرقل قد امر امير حمص بالسير اليها ، اما هو فقد رحـــل الى ارها (٣) .

تقدم ابو عبيدة بجيشه ومعه خالد بن الوليد ، وحاصر المدينة مدة الشتاء ، وكان الروم يغادون المسلمين ، ويراوحونهم في كل يوم بارد ، ولقي المسلمون برداً شديداً ، والروم حصاراً طويلا ،

---

(١) مروا من أكساء المنهزمين ، وعلى اكسائهم ، اي على آثارهم وادبارهم .

(٢) فتوح البلدان البلاذري ص ١٣٦

(٣) راجع الطبري ج ٤ ص ١٥٣ و١٥٤

فاما المسلمون ، فصبروا ورابطوا ، وافرغ الله عليهم الصبر ، واعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وانما تمسك القوم بالمدينة ، رجاء ان يهلكهم الشتاء (١) وبذلك يكون الروم قد اعتمدوا على معاونة الشتاء لهم ، غير ان صلابة العرب غلبتهم ، كما غلبت ضراوة الطبيعة من قبلهم .

فلما يئس الروم في حمص ، طلبوا الصلح ، فصالحهم ابو عبيدة ، وخلف فيها عبادة بن الصامت الانصاري ، ومضى نحو حماة ، فتلقاه اهلها مذعنين ، فصالحهم على الجزية في رؤوسهم ، والخراج في ارضهم ، ثم مضى نحو شيزر ، فصالحه اهلها على مثل ما صالحه اهل حماة (٢) .

قرر ابو عبيدة فتح انطاكية ، وكان على طريق تقدمه اللاذقية ، تهدد مجنبته اليسرى ، وفيها حامية رومانية ، لذا تقدم نحوها فحاصرها ، ولما رأى مناعتها ، عرف ان الحصار يطول أمده ، فعمد الى الخدعة في فتحها ، فأمر الجيش فعسكر على بعد من المدينة ، ثم امر فحفرت حفائر ، تستر الفارس والفرس معاً ، فاظهر انه منصرف بالجيش الى حمص ، فعاد الناس في اليوم التالي الى اعمالهم وفتحوا ابواب المدينة ففاجأهم المسلمون وفتحوا المدينة .

قنسرين

وبعد ان امن ابو عبيدة من اللاذقية بقي عليه ان يحترز على جناحه الايمن ، قبل التقدم الى انطاكية ، وحلب واقعة على الطريق

---

(١) يذكر الطبري ج ٤ ص ١٥٤ ان زلزالا حدث في حمص ، روع اهلها ، ولم يكن العرب يعرفون عن هذا شيئاً .

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري

الرئيسي ، وقد تؤدي الى ازعاج القوات العربيـة ، وامامها قنسرين (١) ، وهي محصنة قوية ، فارسل اليها خالد بن الوليــد القائد القاهر ، فلما رأى الروم تقدم العرب اليها ، ارسل هرقل (ميناس) وهو رأس الروم ، واعظمهم بعـــد هرقل ، فالتقوا بالحاضر ، فقتل خالد ميناس ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فاما الروم فماتوا على دمه ، ولم يبق منهم احد (٢) .

وهكذا اثبت خالد القائد ، أنه يجاهد في سبيل نصر امته ، ولا يهمه اميراً كان ام جندياً أو قائداً عاماً ، فهو لا يجاهد من اجل عمر ، وانما يقاتل لاعلاء كلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وعند هذا تتلاشى كل الامور الأخرى .

اما اهـــل الحاضر (٣) فارسلوا الى خالد ، انهم عرب وانهم حشروا ، ولم يكن رأيهم حربه ، فقبل منهم وتركهم ، ثم سار خالد حتى نزل على قنسرين ، فتحصنوا منهم ، فقال لهم « لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم ، او لانزلكم الينا » فنظروا في امرهم ، وذكروا ما لقي اهل حمص ، فصالحوه على صلح حمص ، فابى خالد الا على خراب المدينة ، فاخربها فامنت حمص من مهاجمـــة الروم نهائياً .

رأى عمر في خالد

كان طبيعة الارض ، وتحصن قوات الروم في قنسرين ، قد جعلت المعركة شديدة كما يظهر ، ولم تصل الينا تفاصيل المعركة ، وانما جاءت مقتضبة جداً بالرغم من ان شدتها اثرت على عمر بن الخطاب

---

(١) قنسرين - كورة بالشام كانت مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص .

(٢) الطبري ج ٤ ص ١٥٥

(٣) الحاضر يراد بها حاضر قنسرين .

فقال عند ما بلغته اخبارها « امر خالد نفسه ، يرحم الله ابا بكر هو كان اعلم مني بالرجال » وقد عزله ، والمثنى مع قيامه خشية ان يوكل الناس اليهما ، وهكذا رجع عمر عن رايه فى خالد بن الوليد ، وعرف ابابكر الصديق كان على حق فى اصراره علي تسليم القيادة اليه .

وبعد قنسرين ارسل ابو عبيدة عياض بن غنم الى حلب ، ففتحها وفى اثناء تقدم المسلمين الى حلب ، انتقضت قنسرين العهد ، فارسل ابو عبيده من وطد الامن والنظام فيها .

انطاكية

وبعد ان انتهى ا و عبيده من تأمين حلب واللاذقية انفتح الطريق امامه نحو انطاكية ، وهي حصن رومانى امام العرب ، ولا نغالي اذا قلنا انها المدينة الثانية بعد القسطنطينية في الامبراطورية البيزنطية ، وسقوطها بيد العرب يفتح منطقة الاسكندرية الى الشمال ، فلا بد ان يقاوم الروم فيها ، فلموقعها السوقي اهمية كبرى للعرب ، لذا تقدم ابو عبيدة ومعه خالد الى انطاكية وفتحها ، ويذكر الواقدي (١) بعض بلاء خالد فيها غير ان انطاكية ، انتقضت على صلح المسلمين فارسلوا اليها القوات فاعادت فتحها ثم اقام ابو عبيدة حامية عربية فيها بأمر عمر بن الخطاب ، على ان لا يؤخر عطياتهم ، ثم رجع الى حلب .

مرعش

وكان الحصن المتقدم من حصون الرومان هو (مرعش) التي تقع

---

(١) فتوح الشام

على طريق خطر للقوات الرومية العربية وفى موقع حصين ، فارسل اليها خالد بن الوليد ، فسار خالد وفتحها ، وفتح حصن الحدث . وبينما كان خالد وابوعبيدة يستبرؤن الارض شمالا إذ قام يزيد بن ابى سفيان بالهجوم على بيروت ، والثغور المجاوره لها وفتحها ، اما عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه ، فقد تقدموا في فلسطين لفتحها (١) .

اما في العراق فكانت القوات العربية تحرز النصر تلو النصر ، فان قوات سعد بن ابي وقاص كانت تحوز النصر على قوات فارس في مواقع مختلفة على شواطيء دجلة والفرات وفى الجزيرة ، فلما راى هرقل ذلك من العرب ، تولاه اليأس ، وكان سبب خنوسه ، ان خالدا حين قتل ميناس ومات الروم على دمه ، وعقد لاهل الحاضر وترك قنسرين طلع من قبل السكوفة عمر بن مالك من قبل قرقيسيا ، وعبد الله بن المعتم من قبل الموصل ، والوليد بن عقبة من بلاد بني تغلب في تغلب وعرب الجزيرة، (٢) وطووا مدائن الجزيرة نحو هرقل ، واهل الجزيرة في حران ، والرقة ونصيبين وذواتها ، وكان خالد بن الوليد يتقدم الى مرعش ، وهذا كله اوجب ان يفقد هرقل الامل باستعادة سورية ، فاسرع بالرحيل الى القسطنطينية ، فمر بطريقه على مشرف من الارض ، فقال والاسى يملاء جوانحه « سلام عليك

---

(١) لم نتطرق لفتح فلسطين ، وانما سنذكره بكتاب آخر في فتوح عمرو بن العاص لعلاقته به

(٢) نشر المسلمون الاسلام في تغلب ، واستفادوا منها في الفتح .

يا سورية . سلاماً لا اجتماع بعده ولن يعـــود اليك رومي ابداً الا خائفاً » .

وبعد ان ادرب خالد وعياض مما يلي الشـــام ، وادرب عمر وعبدالله مما يلي الجزيرة ، لم يكونوا قد ادربوا قبله ، فهي اول مدربة في الاسلام ، ورجع خالد الى قنسرين فنزلها ، واتته امرأته فلما عزله عمر قال : « ان عمر ولاني الشام حتى اذا صارت بثنيـــه وعسلا عزلني » .

عزل خالد

وهكذا اغمد سيف الله ، وباغماده وقف الفتح من اتجاه سوريـة شمالا ،وخاصة انالرومان اخربو الحصون التي على الحدود ، واخلوها وانسحبوا بها ، ليتجنبوا تعرض العرب ، لئلا يطمعوا بالتقدم الى آسيا الصغرى ، حتى يهيء الله لهم فيستعيدوا ما فقدوه .

تأثير عزل خالد في الفتح

بعد عزل خالد عن الخدمة نهائياً ، بقي اربعة سنوات لم يقطم فيها بعمل ، وقد كان المجال واسعاً لخالد ، ان يشترك في الحروب من فارس والروم ، ولـكن عمر بن الخطاب قد اغمد هذا السيف الذي سله الله على اعدائه فهل اثر ذلك على الفتح العربي ؟

لا ينكر ولا احد ينكر ان الجيش العربي ، كان بحاجة الى سيف الله في جميع الاوقات ، واحرج الظروف . في كل حين ومكان ، فهو القادر على معالجة المواقف الحربية ، فيستغلها لصالح جنده ، حتى اوكلوا به . وآمنوا ان النصر لهم ، ما دام هو قائدهم ، والقادة العرب قد عرفو فضله عليهم ، ولذلك نراهم لا يستغنون عن رأيه ،

ويسلمون له القيادة في المعارك الحاسمة، وان الخليفة عمر بن الخطاب كتب الى ابي عبيدة ان يحبسه معه لانه بحاجة اليه ،

من هذا يظهر لنا بجلاء ان عزل خالد عن القيادة العامة ، ثم عزله عن الخدمة نهائياً ، قد افقد العرب عاملا مهما من عوامل انتصاراته ، وركناً شديداً من اركان توسع امبراطوريتهم ؟ولو ان الفاروق عمر (رض) قد ابقاه في رأس القوات العربية في الشام ، لرأينا ان العرب يندفعون في ارض الرومان اكثر ولغيروا الكثير من تاريخهم ، والسبب ان القادة الذين خلفوا خالداً ، كانوا يراجعون القيادة العامة في كل صغيرة وكبيرة ، يستشيرونها قبل الاقدام على العمل ، فتضيع فرص كثيرة ، كان خالد يستغلها قبل ان تضيع ، فلا يراجع القيادة في المدينة ان رأى ان في هذه المراجعة ما يجعل الفرصة تمر بلا فائدة. تلك الحال التي لم ترق للخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، نظراً لسيطرته المركزية على كل عمل من اعمال رجاله .

ومن الناحية الاخرى نجد ان الدولة اخذت في الاتساع بعهد الخليفة الثاني ، ويجب تثبيتها على اسس ادارية صحيحة ، ولكي يمكن ادارة هذه البلاد الشاسعة ألاطراف ، والاقوام المختلفين فى اللغة ، والاخلاق ،والعادات ،والمعتقدات ، والدولة العربية فى ابتداء تشكيلها ، لم تكن تنظيماتها الادارية كاملة ، بل هذه التنظيمات في دور التكوين ، وليست بمستقره ، فهل كان من الممكن الثبات في المناطق المفتوحة فى شمال سورية من ارض الروم ؟

قد يقول قائل ان العدل ، والرحمة ، والمساواء . من اهم العوامل التي ترتكز عليها الدول في تاسيس كيانها ، وان العرب كانوا ارحم فاتح عرفه التاريخ ، وهذا يساعدهم على الثبات ، ولكن ذلك يحتاج الى قوة تسنده ، وهذه القوة مشغولة بتطهير المناطق من حكم فارس ، وتطهير الجزيرة من حكم الروم ، ولا يصح التوسع في آسيا الصغرى (أرض الروم) من دون تأمين منطقة الجزيرة بين الفراتين ، وفي سورية نفسها مازالت بعض القلاع الرومانية ، تقاوم العرب على أمل ان يعيد الروم الكرة ، ويجب تطهيرها واذا كان الانحلال في الدولة الرومانية ' والفارسية ، قد ساعد العرب على الثبات في العراق وسورية . فان المناطق التي سيتقدم بها العرب في جبال آسيا الصغرى (اراضى الروم) هي غير سهول سورية والعراق ' واذا كان في سورية والعراق اقوام عرب ساعدوا المسلمين على الثبات في البلاد فكانوا النواة في سكنى العرب بالرغم من مقاومة ذوي المصالح منهم المؤيدين للروم والفرس فانهم بتقدمهم في ارض الروم لا يجدون هؤلاء الاقوام .

سبب عزل خالد بن الوليد

لماذا عزل خالد عن القيادة ثم اقصي عن الخدمة ؟ ذلك ما اوردت فيه كتب التاريخ روايات مختلفة فذكر البعض ان في نفس عمر على خالد من حادث مالك بن نويرة ما جعله يعزله ولا نرى وجهاً

لهذا السبب بعد ان اعتقد الخليفة الاول ابو بكر الصديق بعدم تقصير خالد وسبق ان بينا صحة قتل مالك ولا نعتقد ان الخليفة الاول تأخذه في الحق لومة لائم فيقبل من خالد ان يقتل امرأ مسلماً ثم يسلمه مقاتلة بني حنيفة بعده وعلى كل فمن المستحيل ان يتعمد خالد نفساً مسلمة يعتقد ايمانها. (١) ولكن الذي نراه في هذا الباب، ان عمر وخالد قد اختلفا في اسلوبهما (٢) فعمر اراد ان يتبع الخليفة الاول وقادة جنده اسلوب المطاولة والمراجعة والاقناع مع العرب، شفقة منه عليهم خوفاً من ان تذهب الحرب بصفوتهم، وهو يريدهم ليؤدوا رسالتهم في العالم، فهو بحاجة الى هذه الصفوة المنتخبة من الرجال في قتال الفرس والروم لذا كان غير راض عن اسلوب الشدة مع العرب ولهذا نراه قد اطلق جميع السبي من العرب عندما تولى الخلافة لأنه يعتقد ان مادة الاسلام ويجب ان لا يضربوا فيذلوا وأسلوب الشدة قد يذلهم عدا انه يذهب بالصفوة من رجالهم غير أن الخليفة الأول وخالد أومن معهم قد اتخذوا القسوة مع الخارجين على الطاعة وضربوا رؤوس الفتنة بلا رحمة بهم وشفقة عليهم (٣) وهذا مالا يريده عمر بن الخطاب الذي يروم الاسلوب الآخر في التهيؤ لنشر الدعوة وهو اسلوب التثقيف

القتال والمفاوضات

---

(١) تهذيب ابن عساكر ج ٥

(٢) راجع الخلاف بين تفكير عمر وخالد في الفصل الاول نفس الكتاب.

(٣) راجع الفصل الخامس نفس الكتاب

والتعليم (١) .

التصرف بالغنائم

ثم ان خالداً كان ينفل اهل البلاء في القتال من الغنائم ولا يقدم حساباً لابي بكر ورأيناه يتقدم في كل معركة وهو عارف موقف عدوه بصورة صحيحة فيعرف كيف يبدأه القتال وذلك يدل على ان خالداً يرسل العيون امامه وهذه العيون ان كان المسلمون منهم يخاطرون لوجه الله فان قسماً منها يخاطر طمعاً في المال وقد يكونون من غير جند خالد (من الاقوام التي يقاتلها خالد) فيصرف عليها خالد من الغنائم ثم انه قد يصرف أموالا لاناس غير اهل البلاء والعيون - من الذين يؤيدون - المسلمين طمعاً في المال وهذا شأن الكثير من الناس عندما يسيرون في ركاب الفاتحين ولم يكن الخليفة الأول يحاسب خالداً على ذلك اما عمر بن الخطاب فلم يرض (٢) بهذا التصرف .

وكانت الاخبار ترده ، بان خالداً اذا صار اليه شيء قسمه فى اهل الغنى ، ولم يرفع الى ابى بكر حسابه ، وكان فيه تقدم على ابي بكر ، يفعل الاشياء التي يراها ابو بكر ذلك التقدم الذي اراد عمر ، ان لا يكون معه ، فكتب اليه ان لا يتصرف بشيء بغير علمه ، فاجابه خالد « اما ان تتركني وعملي والا فشأنك بعملك » .

---

(١) راجع الفصل الثاني نفس الكتاب

(٢) قال عمر : اني ما عتبت على خالد الا في تقدمه وما كان يصنع في المال تهذيب ابن عساكر الجزء ٥)

فالخلاف هو ان قائد القوات يريد ان يتصرف كما يمليه عليه الموقف، والخليفة يريد ان يعرف كل عمل من اعمال قادته، ويتأكد ان اعمالهم تجري حسب ما يريده هو للصالح العام، وكلاهما يهدف غاية واحدة، ولكن في اسلوب عملهما اختلاف، الا ان في سبيل خالد صرف اكثر مما يخصصه الخليفة من المال غير ان النتيجة مضمونة.

الادارة والتنظيم

بعد ان انتهت معركة اليرموك (وانفتح الطريق الى سورية للعرب) اصبحت الحاجة الى رجل ادارة وتنظيم، اكثر من الحاجة الى قائد في الحرب لتنظيم شؤون البلد، ولم يكن خالد بن الوليد فى نظر عمر بن الخطاب قادراً على ادارة سورية، وتنظيمها كابي عبيدة بن الجراح، لذا عزل خالد وعين ابا عبيدة. والممالك يستلم رجالها الاداريون البلد من الرجال العسكريين بعد انتهاء دور السيف، فيبدأون بالتنظيم، وهذه هي الحال بالنسبة للدولة العربية الناشئة، وهنالك عوامل اجتمعت فكونت فكرة خاصة لكل من الرجلين العظيمين، فنتج عن ذلك اختلاف النفسيات، فسبب عدم الثقة بينهما من ذلك انه قيل ان عمر نزعه الكلام كان خالد تكلم به.

عوامل اخرى

وبلغ عمر ان خالداً دخل الحمام، فتدلك بالنورة و بعصفر معجون بخمر، فكتب اليه بلغنى انك تدلكت بخمر، وان الله حرم ظاهر الخمر وباطنها، وحرم ظاهر الأثم وباطنه، وقد حرم مس الخمر الا

ان يغسل ، كما حرم شربها ، فلا تمسوها اجسادكم فانها نجس ، وان فعلتم فلا تعودوا . فكتب اليه خالد « انا قتلناها فعادت غسولا غير خمر » .

فكتب اليه عمر « اني لا اظن ان آل المغيرة ، قد ابتلوا بالجفاء ، فلا اماتكم الله عليه » فانتهى لذلك فقال خالد :

سهل ابا حفص فاز لدينتنا ... شرائع لا يشقى بهن المسهل
انجست بالخمر الغسول ولا ترى ... من الخمر تثقيف المحيل المحلل
وهل يشبهن طعم الغسول وذوقه ... حميا الخمور والخمور تسلسل

وهذا الحادث يرينا وجهة نظر كل من الصحابيين الكريمين . فابو حفص وهو ممن كان يؤخذ عنه الفقه ، له رأي غير رأي خالد فى سبيل الله . وفي رأينا لا يصح الاجتهاد في الدين الاسلامى وهو فى بدء انتشاره فيتشجع الآخرون على التصرف والاجتهاد وقد يتصرفوا تصرفاً غير مطابق لاسس القرآن فأصبح أمر عزل خالد بن الوليد أمراً ضرورياً في نظر الخليفة العادل .

إعتبرت قريش نفسها فوق العرب ويجب أن لا تسلم إمرة الحكم وقيادة القوات الا لرجال منها . وهذه الفكرة فى غير مصلحة الدولة العربية الاسلامية الناشئة وللقضاء عليها يجب تقليص نفوذ الرجال الذين تتمثل بهم نزعة قريش هذه أمثال خالد بن الوليد ولذلك عزله عمر بن الخطاب وخاصة وقد إنتهت المعارك الفاصلة في الشام الارستقراطية القرشية

وقيل ان عمر عزل خالداً لانه كان يرد المهالك في الحروب عامل الحرب

ولانه نازع ابا عبيدة وكان اميراً في الشام على المسلمين وكان عمر يحب ابا عبيدة حباً شديداً لانه كان يحفظ الغنائم .

وليس لنا ان نلوم خالداً على انه يرد المهالك في الحروب ، لانه كان يعرف بواطن الحرب ، ومطمئنا من نجاحه ، لذا يندفع بجرأة نادرة لغيره ، والقائد ان وصل في القيادة الى ما وصل اليه خالد في الحرب ، فان المهالك التي وردها خالد وهو مطمئن من النصر ، وقد رأينا كيف ان خالداً كان يداور في الحرب ويناور بقطعاته ، حتى يحرز النصر الامر الذي جعل الجند يؤمنون انه لا يخذل وانه منتصر لا محالة فاوكلوا وافتتنوا به فلما علم هذا الوضع عمر الخليفة قال « لأعزلن المثنى بن حارثة وخالد بن الوليد عن الشام حتى يعلما ان الله هو الذي نصر ليساهما «١» » بينما كان اعتقاد الجند .

اذا قال سيف الله كروا عليهم كرت بقلب رابط الجأش صارم «٢»

التدبير: تلك عوامل اجتمعت واحدة بعد اخرى فكونت فكرة لعمر بن الخطاب في خالد باعدت النفسيات بين الصحابيين الكريمين ، فقال عمر « والله ! ما صدقت الله ، أن كنت اشرت على ابي بكر بأمر فلم انفذه ، والله ! لا يلي لي خالد عملا ابدا »

---

(١) تهذيب بن عساكر
(٢) الاغاني ج ٧

وكان السبب المباشر لعزل خالد عن قنسرين ، انه كان قد محا كمة خالد ادرب هو وعياض بن غنم فاصابا اموالا عظيمة ، فلما قفل خالد راجعاً ، وبلغ الناس ما اصاب من اموال قصده الرجال وانتجعوه فاجاز خالد الاشعث بن قيس بعشرة آلاف ؛ فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب « كتب الى ابي عبيدة ، ان يقيم خالداً ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلم من أين اجاز الاشعث هل من مال الله ؟ ام من ماله ؟ ام من اصابة اصابها ؟

فان زعم من اصابة اصابها فقد اقر بالخيانة وان زعم انها من ماله فقد اسرف . واعزله على كل حال . واضمم اليك عمله .

فكتب ابو عبيدة الى خالد رضي الله عنهما فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر » وخالد لا يعلم لم استقدمه ابو عبيدة .

فقام البريد فقال : يا خالد أمن مالك اجزت عشرة آلاف ام من اصابة ؟ فلم يجبه حتى اكثر عليه وابو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً فقام بلال مولى ابي بكر اليه فقال : ان امير المؤمنين امر فيك بكذا وكذا ، ثم تناول عمامته ، فنقضها لا يمنعه خالد سمعاً وطاعة ، ثم وضع قلنسوته ، ثم اقامه فعقله بعمامته فقال : ما تقول أمن مالك أم من اصابة ؟ فقال لا بل من مالي ، فاطلقه واعاد قلنسوته ، ثم عممه بيده وقال : نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخم ونخدم موالينا . (١)

وفي روايه ان عمر امر ابا عبيدة بمقاسمة خالد ماله فقاسمه ابو

---

(١) راجع الطبري ج ٤ ص ٥٧ و ٥٨ - بن الاثير ج ٥

عبيدة ، بقيت نعلاه . فقال ابو عبيدة ان هذا لا يصلح الا بهذا . فقال خالد : اجل . ما انا بالذي اعصى امر امير المؤمنين ، فاصنع ما بدالك . فاخذ نعلا واعطاه نعلا (١) .

وهكذا حوكم خالد بن الوليد ، واتهم بالخيانة على مسمع ومرأى من جنده الذين قادهم من نصر الى نصر ، ورأوا كيف كانت تخضع القادة الى رأيه . وانتصر على العرب والفرس والروم يقف موقف الابهم امامهم طائعاً لامر امير المؤمنين .

خالد الذي تحدثت بفعاله الركبان ، والقى الرعب في قلوب الفرسان ، تنزع عنه قلنسوته امام المسلمين متهما بالخيانة ، وتعقل يداه بعمامته ، ومن قبل ما قيد الرجال ، وقرب سيفه الاجال ، فيطيع امر أمير المؤمنين وهو في اوج عزه .

فلم يكن عمر ليتهمه فقط ، وانما تعمد اهانته امام الناس ، فماذا يريد به الخليفة . امن اجل عشرة آلاف درهم ، يهان قاهر الفرس والروم ، وتعقل يداه وتنزع قلنسوته ، لو لم يكن فى نفس عمر على خالد شيىء ويظن به الظنون ؟ امن اجل عشرة آلاف درهم يهان خالد ، وهو الذي ملأ خزينة الدولة بالمال ، وهيأ لها الظروف الملائمة لغزو سورية ، لو لم يكن عمر يريد ان يهين خالد هذه الاهانة تعمدا لظن ظنه فيه ؟

فماذا عمل خالد ؟ ماذا عساه ان يعمل تجاه هذه الحالة ؟ أفلا

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٦

يثور على هذا الوضع المزري ويمتشق السيف على الخليفة ، وعذره واضح لدى الناس ، فهو لم يكن في جاهليته الا عزيزاً ، وما كان في عهد اسلامه الا مكرماً ، فلماذا يقبل هـذه الاهانة من عمر بن الخطاب ، وهو الذي يتحدث الناس بفعاله عرباً وفرساً وروما ، ويطأطيء العظام رؤوسهم لعبقريته ؟

الدرس الخالد

لـكن خالداً الذي كان وحيداً في عبقريته ، وحيداً في قيادته ، أبى الا ان يكون وحيداً في جميـع اعماله ، فصار مثل التضحية فى تصرفه ، فلما قال له احد الجند الذين تحمسوا له « اصبر ايها الأمير انها الفتنة » اجابه خالد : اما وابن الخطاب حي فلا ، ولـكن ذاك اذا كان الناس بذى لى (١) .

وهكذا ترك خالد لعمر والمسلمين معاً درساً خالداً في الطاعة والتضحية ، وخدم الاسلام خدمة لا يقوى الدهر ان يمحوها ، فتوج بها اعماله الجبارة فى تثبيت الدولة ، وقهر العدو في المعارك .

وباعتقاده لا يحق له ، ان يخرج على اطاعة الخليفة ، لـكون انه جندي مطبوع ، او لانه كان هو نفسه يحارب الخارجين على الطاعة ويقسوا معهم ، ولا لـكون ان الخليفة قوي امين ومستبد عادل فحسب ، بل لان بخروجه على الطاعة يحدث ثغرة فى الاسلام يستفيد أنها الفرس والروم اولا ، ولان طاعة اولى الامر واجبة ، وان الناس ليسوا فرقاً وطوائف من غير امام يجمعهم ، وبهذا بلغ

(١) اي طوائف وفرقاً من غير امام

خالد الذروة في نكران الذات ، فكبت ما في نفسه ، فاضحى مثل التضحية التي يحتذي بها في كل زمان ومكان ، وهو لم يعدل الانصار والاعوان .

الرأي العام

ما هو موقف المسلمين من عزل خالد ؟ هل رضي الجند بما اصاب قائدهم ؟ وماذا كان موقفهم ؟ ان الذي نعلمه ان الجندي لا يصبر على إهانة تلحق قائده ، فهو يعدها موجهة نحوه . ولا عجب ان سمعنا من أحد المتحمسين لخالد يقول : اصبر ايها الامير انها الفتنة . فذلك ما يؤمل من الجند مع اي قائد يحسن قيادتهم ، بله عنك خالد بن الوليد الذي ما خسروا بقيادته يوماً ، ولما قال عمر بن الخطاب اني لم اعزل خالد عن سخط ، قال رجل من بني عمه: « لقد عزلت امير امره رسول الله ، ولقد اغمدت سيفاً سله الله ، ولقد نقضت لواءعقده رسول الله «فلا عذرك الله ولا الناس (١)

وبعد عزل خالد جاء الى المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك الى المسلمين ، وبالله ! انك في امري غير مجمل ، ياعمر وهكذا شكى القائد الاكبر . الخليفة العادل الى المسلمين .

فقال عمر : من اين هذا الثراء ؟ قال من الانفال والسهمان ، ما زاد على الستين الفا فلك . فقـــوم عمر عروضة ، فخرجت اليه عشرون الفا ، فادخلها بيت المال ، ثم قال : يا خالد والله ! انك علي لكريم ، وانك الي لحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيىء .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٥

وأن كان هذا قد طمن خاطر خالد ، الا ان المسلمين لم يرضوا بذلك فقالوا لعمر « يا امير المؤمنين لو رددت على خالد ماله » فقال عمر انما انا تاجر للمسلمين والله لا اردد عليه أبدا ، فكان عمر يرى انه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك ، ولكن هل سكن المسلمون ان سكن خالد طاعة للخليفة ؟ فان المسلمين ارادوا ان يعرفوا سبب عزل خالد فكتب عمر الى اهل الانصار : اني لم اعزل خالداً عن سخطة ولا عن خيانة (١) . ولكن الناس فتنوا به فخشيت ان يوكلوا اليه ويبتلوا ، فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع . وأن لا يكونوا بعرض فتنة (٢)

وهذا الكتاب الذي كتبه الخليفة الى اهل الامصار ، لم يكن الا تهدئه للخواطر التي فكرت في هذا الامر وقد يكون قسم كبير من المسلمين غير راضين بما اصاب خالد الأمر الذي جعل الخليفة ان يكتب هذا الكتاب .

رأى خالد فى عمر وفى معاملته له

اعتزل خالد الى ثغر حمص فكان فيه وحبس خيلا وسلاحاً فلم يزل مقيماً ومرابطاً حتى نزل به القدر المحتوم فدخل عليه ابو الدرداء عائداً له فقال له خالد : ان خيلي هذه التي حبست فى الثغر وسلاحي هو ما جعلته عليه عدة في سبيل الله وقوة يغزي عليها

---

(١) في ورواية ان عمر قال اني لم اعزلهما (خالد والمثنى) عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما . الطبري ج ٤ ص ١٥٥

(٢) نفس المصدر

ويعلف من مالي وداري بالمدينة صدقة محبسة لاتباع ولا تورث وقد كنت اشهدت عليها عمر بن الخطاب ليالي قدم الجابية وهو كان امرني بها . ونعم العون هو على الاسلام . والله ! يا ابا الدرداء لئن مات عمر لترون اموراً تنكرونها . فقال ابو الدرداء : وانا والله ! أرى ذاك .

قال خالد : كنت وجدت في نفسي حيث بعث الي من يقاسمني مالي حتى اخذ فرد نعل واخذت فرد نعل فرأيته فعل ذلك بغيري من اهل السالفة (١) ومن شهد بدراً ، وكان يغاظ علي وكانت غلظته علي لأني كنت ادل عليه بالقرابة فرأيته لا يبالي قريباً ولا لوم لائم في غير الله . فذلك الذي اذهب ما كنت اجده عليه .

وكان يكثر علي عنده وما كان ذلك مني الا على النظر وكنت في حرب ومكابدة . وكنت شاهدا وكان غائباً فكنت اعطي على ذلك فخالفه ذلك في امرى .

وقد جعلت وصيتي وتركتي وانفاذ امري الى عمر (٢) .

دار الخلود — وفى سنة ٢١ هجرية مات خالد بن الوليد بحمص . ولما حضرته الوفاة بكى وقال . شهدت مائة زحف او زهاءها . وما في بدني موضع

---

(١) وقد شاطر عمر سعد بن ابي وقاص وابا موسى الاشعري وابا هريرة وعمرو بن العاص مالهم العقد الفريد ج ١

(٢) تهذيب بن عساكر ج ٥

شبر الا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، او طعنة برمح ، وها انا اموت على فراش حتف انفي ، كما يموت البعير . فلا نامت اعين الجبناء (١)

وقال رضي الله عنه لقد طلبت القتل في مظانه ، فلم يقدر لي ، الا ان اموت على فراشي ، وما من عملي شيء ارجى عندي بعد لا اله الا الله من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين بتهـــا ، وانا مقترس والسماء تنهل علي ، وانا انتظر الصبح ، حتى اغير على الكفار فعليكم بالجهاد .

ثم قال اذا انا مت فانظروا فى سلاحى وفرسي ، فاجعلوه عدة فى سبيل الله (٢)

وهكذا استعجل الموت ليجعل عدة خالد وخيله التي حبسها للجهاد في سبيل الله لغير سيف الله من المجاهدين .

مات خالد تاركا الدنيا الى دار الخلود . الى حيث سبقه احياؤه . الرسول والصديق والمجاهدون . الى جنات النعيم مرتاح البال ، فانه جاهد عن الاسلام بعقله وسيفه ، وبروحه وجسمه ، وبماله وبنفسه ، وبقي في الدنيا ذو القرط والاشقر (٣) من بعده ذلك الجواد الذي فقد الراحة والهدوء ، وبدأت متاعبه من بعد خالد . اشقر خالد

---

(١) اسد الغابة ج ٣

(٢) تهذيب بن عساكر ج ٥

(٣) ذو القرط اسم سيف خالد والاشقر حصانه .

فهذا الاشقر الذي وددت ايها الخالد . لو انه كان برأ من توجيه ، وأن الروم اضعفوا بالعدد فتكون مستعداً لمقابلتهم ، يقف في ساحة الحرب لا يدري ما يفعل ، لقد فقد توجيهك في الساحة وانك قد عودته أن يتقدم في الميدان ، ولا يرجع الا ومعه سلب الغريم ورأسه ، ومن بعدك قد يرجع بلا هذا الذي تعوده ، وقد يرجع وليس على ظهره فارس .

هذا الاشقر الذي كنت تطلق له العنان ليجاهد في الله كيف شاء ، لم يجد هذا الانطلاق من بعدك ، ولا ندري كيف كانت حاله؟ فلم تكن مع فرسانه في الساحة . غير اننا نكاد نجزم ان دموع الاشقر كانت تسيل كلما شاهد المعارك في الميدان ، ولو نطق لسانه لا بان للناس كيف ان خالداً كان يعالج المواقف .

ثم ما هو حال الفرسان على ظهر الاشقر بعد خالد ؟ وما هو تفكيرهم ؟ هل يقدر الفارس على ضبط اعصابه ، ام ان الدمع يسيل من مآقيهم بالرغم منهم ، وهم لا يبكون الرجال ، ويذكرون خالدهم الخالد ؟ ولا اعتقد الا انهم يقفون امام الاشقر ، ويحنون رؤوسهم امامه اكراماً لابى سليمان ، فينظرهم الاشقر ويحنى رأسه معهم ، ثم لا يلبث ان يرفع رأسه ، فيصهل ويضرب الارض بيده ، فينبههم الى ان خالداً تركه ليعينهم في الجهاد ، وعليهم ان يتموا ما أراده خالد لنشر دين محمد (صلعم) .

رأى عمر الاخير في خالد ؟

سبق ان بينا قيمة خالد بن الوليد لدى رسول الله ، ويكفي ان يدل على هذه القيمة ، ان لقبه « سيف الله » او « سيف من سيوف الله » وقد ذكرنا قيمته لدى ابي بكر الصديق ، والمسلمين ، واحترامهم له ، وتقديرهم لقيادته ، ولكن عمر بن الخطاب لم يكن رأيه كرأي الصحابة الكرام ، فقد كان يظن بخالد الظنون فعزله . فما هو رأيه الاخير في خالد ؟ هل بقي مصراً على رأيه ام ندم على ما فعل مع خالد ؟ وهو الذي لم يصنع كصنعه صانع (١) .

فلما بلغته وفاة خالد قال : انا لله وانا اليه راجعون ، واكثر الترحم عليه ، وقال كان والله ! سداداً لنحور العدو . ميمون النقيبة (٢) .

وعندما تولى تنفيذ وصيته قال اني ما عتبت على خالد الا في تقدمه ، وما كان يصنع في المال (٣) ، ولما علم انه لم يترك الا عدة الحرب ، وقد حبسها في سبيل الله قال : رحم الله ابا سليمان كان على غير ما ظنناه به ، وفي موضع آخر قال لقد كنا نظن به اموراً ما كانت (٤) ، وقال ايضاً قد ثلم في الاسلام ثلمة لا ترتق .

---

(١) قالها عمر لما قدم خالد الى المدينة « صنعت ولم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الاقوام فالله يصنع »

(٢) تهذيب بن عساكر ج ٥

(٣) وكان خالد اذا صار اليه شيء قسمه في اهل الغنى ولم يرفع الى ابي بكر حسابه وكان فيه تقدم على ابي بكر يفعل الاشياء التي لا يراها ابو بكر (بن عساكر ج ٥)

(٤) بن عساكر ج ٥ والاصابة ج ٣

قيل يا امير المؤمنين لم يكن رأيك في حياته على هذا ! قال : ندمت على ما كان مني اليه «١»

ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قيل لو عهدت يا امير المؤمنين قال : لو ادركت ابا عبيدة بن الجراح لوليته ، ثم قدمت على ربي فقال لي لم استخلفته على امة محمد . لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول « لكل امة امين وأن أمين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح » .

ولو ادركت خالداً لوليته ثم قدمت على ربي فقال لي : من استخلفت على امة محمد لقلت : سمعت عبدك وخليلك يقول لخالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين (٢) .

وهكذا ندم الخليفة العادل على ما كان منه الى خالد بن الوليد وعرف ان ابا بكر كان على حق عندما اصر على ان لا يعزل خالد بن الوليد ، فعدل عن ظنه الذي كان يظنه في خالد ، وقيل انه كان ينوي ان يوليه عمل فسبقته المنية ، فلم يفده الندم .

ولم يقف عمر عند حد الندم وانما تمنى لو ادرك خالداً ، فيوليه امر المسلمين ، وهو في اواخر ساعاته من الدنيا .

---

(١) تهذيب بن عساكر جـ ٥

(٢) الامامة والسياسة ابن قتيبة

رثاء خالد

رأى عمر (رضى الله عنه) امرأة محرمة تبكي خالداً وتقول : رثاء أم خالد

انت خير من الف الف من الناس اذا ما كبت وجوه الرجال
الشجاع فانت اشجع من ليث عرين جهم ابي اشبال
اجواد فانت اجود من سيل اتى بسيل بين الجبال

فقال عمر رض الله عنه من هذه ؟ فقيل امه . فقال امه ؟ والاله ثلاثا هل قامت النساء عن مثل خالد [٣] ؟

ودخل هشام بن البختري في اناس من بنى مخزوم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له : يا هشام انشدني شعرك في خالد ، فانشده فقال : قصرت فى الثناء على ابي سليمان . رحمه الله . ان كان ليحب ان يذل الشرك واهله ، وان كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله ، ثم قال عمر رضي الله عنه ، قاتل الله اخا بني تميم ما اشعره حين قال .

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تهيأ لاخرى مثلها فكان قد
فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي ولا موت من قد مات قبلي بمخلدي

ثم قال : رحم الله ابا سليمان . ما عند الله خير له مما كان فيه ،

---

(١) تهذيب بن عساكر ج ٥

ولقد مات فقيداً ، وعاش حميداً ، ولقد رأيت الدهر ليس بقائل

وقال : قد كنا نظن به امورا ما كانت (١) .

لاعرفنك بعد الموت تندبني   وفي حياتي ما زودتني زادا

ولما اجتمع نساء بني المغيرة يبكين خالداً قال عمر : ليقلن نساء بني مخزوم في ابى سليمان ما شئن فانهن لا يكذبن وعلى مثل ابي سليمان فلتبكي البواكي .

ولم تبق امرأة في بني مخزوم الا وحلقت لمتها ووضعتها على قبر خالد رضى الله عنه (٢) وبعد ما ندم عمر قال متمثلا :

اتبكي ما وصلت به الندامى   ولا تبكي فوارس كالجبال

اولئك ان بكيت اشد فقدا   من الادهل والعكر الحلال

تمنى بعدهم قوم مداهم   فلم يدنوا لاسباب الكمال

فرحم الله ابا سليمان ورضى عنه واسكنه فسيح جنانه .

---

(١) تهذيب بن عساكر ج ٥ . الاصابة ج ٣

(٢) تهذيب بن عساكر ج ٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧

الفصل العاشر

نظرة فى اعمال خالد . مميزات خالد الشخصية .
مبادىء خالد الحربيـــة

نظرة فى اعمال خالد

يحسن بنا هنا وقد انتهينا من معارك خالد في العراق والشام ان نتساءل ما هو السر الذي جعل خالد بن الوليد يخيف اعداءه، حيثما توجه واصبح النصر في ركابه اينما حل .

يقول محمد حسين هيكل : « ١ »

ما سر هذه الموهبة التي جعلت النصر طوع يده ، بل جسمت النصر في شخصه ، وجعلته مثاله . فلو انه عاش بين اليونان الاقدمين لاسموا اله النصر خالداً ، اتراه يجيبنا ؟ ما اظن ولا هو يظن بالجواب استكباراً ، بل لانه لا يعرف هذا السر اكثر مما نعرف ، فهذا السر يتصل بالروح والروح من امر ربى ، وخالد مثلنا لم يؤت من العلم الا قليلا ، ومتى عرف صاحب موهبة مكانها

(١) كتاب ابو بكر الصديق - هيكل .

من نفسه ، ومصدر نبعها من روحه ! انما هي فيض من فضل الله يتجلى به على من يشاء من عباده .

فاذا هـــذا خالد بن الوليد ، وذاك عمر بن الخطاب ، وغيرهما إبن سيناء ، وابن رشـد ، وروفائيل ، وبتهوفن ، وشكسبير ، والمعري ، وشوقي . وهذا الفيض الذي يتصل بروح عبد من خلق الله ، هـو الذي يسمو به ، وبالامة التي ينشأ فيها الى حيث يريد الله ، فاذا التقت تيارات الفيض في زمن واحد ، وفي امة واحدة ، ما التقت في ابي بكر ، وعمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، ومن عاصرهم ، وعمل معهم . سمت في فترة وجيزة من الزمن الى حيث سمت الامة الاسلامية فى سنوات معدودة ، فانتقلت في اقل من جيل من بداوة شبه الجزيرة الى هذه الامبراطورية المترامية الاطراف ، المتغلغلة بسلطانها الروحي في اعماق النفـــوس ، والتي حملت عبء الحضارة عن العالم كله عشرة قرون تباعاً ، حتى احتملته اوربا ، ولا تزال تنهض بعبئه الى اليوم .

ويقول الاستاذ الخضرى فى خالد :

واني ما عجبت في شيء لا يبلغ ذلك عجبي من امر اولئك القوم الذين كانوا يتهافتون على حرب خالد تهافت الفراش على النار .

قد يكون وجه العذر واضحاً في اهل ذات السلاسل ، وما بعدها بوقعتين ، او ثلاث ، ولكن ما عذر اولئك الذين كانوا يعرفون اثره في غيرهم ، ثم لا يكون منهم الا ان يهجموا عليه هجوم الحما.

على الاسد ، ان البهائم تعرف ريح الليث ، ولكن هؤلاء قد جهلوا ما عرفته البهائم ، فلم يكتفوا من الليث بريحه دون ان يذوقوه .

كان لخالد في العراق من الوقائع :

(١) ذات السلاسل (كاظمة)	(٢) المذار	(٣) الولجه
(٤) اليس وامغيشيا	(٥) فم فرات بادقلي	
(٦) قصور الحيرة	(٧) الانبـــار	
(٨) عين التمر	(٩) دومة الجندل	
(١٠) الحصيد	(١١) الخنافس	
(١٢) المصيخ	(١٣) الثنى	
(١٤) الزميـــل	(١٥) الفراض	

وقد انتظم جميعها في سمط لا يقل عن سنة من خروجه للقتال . افما كان فى الناس رجل رشيد يحثهم على المسالمة ، وبذل ما يريده، ويحقن على الناس هذا الدم المحار ؟

ان الابتعاد عن طريق خالد نهاية الحزم ، ولا يمكن ان يهجس في خاطري ، ان الذين اتقوه بالفرار من الفرس ، كانوا جبنـــاء ، او ضعفاء ، لان الاقدام الذي لا نفع فيه لقاء النفس بالتهلكة .

رأينا :

اما نحن فنترك حديث الادباء والمؤرخين في مدحهم خالد ، وبيان ما اوضحوه لنا ، ونحقق اسباب نجاح خالد ذلك النجاح الذي لم يبلغ قبله قائد ، ولم يعمل من بعده غيره في مثل عدد جنده القليل، وغير المساح التسليح الكافي تجاه عدوه ، متفوق عليه في جميـــع معاركه بالعدد والعدة ، تسنده امبراطورية هزمت الروم في ادنى

الارض ، وقد ملئت خزائنها بالمال ، ويهزم جيش الروم المتفوق عليه بالكم والكيف بالرغم من اتساع هذه الامبراطورية التى دام ملكها قروناً طويلة ، بل ويهزم جيش الفرس والروم وحلفاءهم من قبائل العرب معاً ، وليس لنا ان نكتفي بما قاله الادباء والمؤرخون ، وانما علينا ان نعرف كيف انتصر خالد ، ولماذا كان النصر في ركابه .

ذلك لان خالداً اتبع اسساً قويمة في الحرب ، فلم يشترك في اية معركة ، الا وقد تهيأ لها وحشد قواته للمعركة قبل الدخول فيها ، فلم يشرك قواته وهي متفرقة وانما كان يقدمها للقتال مجتمعة تزدرد قوات عدوه ، ثم اننا رأيناه في جميع معاركه ، وهو المهاجم ، فتكون جميع خططه هجومية ، ولم يتخذ الدفاع في جميع معاركه ، وحافظ على جعل المبادأة في يده ، وهو ما تستهدفه قادة الجيوش في الحرب .

على انه لم يحد عن هدفه الذي خصصته القيادة العليا في المدينة ، مع انه كان يستهدف جيش العدو قبل الارض والبلدان ، ولا شك فجيش العدو هو الهدف الرئيسي الذي كان يستهدفه خالد ، اينما وجد هذا الجيش ، متخذاً تدابير لحفظ قواته ، فلم يترك مجالا لعدوه ، يستفيد منه . كما لم يترك خط مواصلاته في خطر بل يعين الحاميات في النقاط الرئيسية لحراسته . ويتجلى ذلك بتأمين منطقة الحيرة قبل المسير الى دومة الجندل لانقاذ جيش عياض .

ومن ابرز ظاهرة في معارك خالد هي سرعة تنقله من محل لآخر تلك السرعة التي لم يكن عدوه يتوقعها ، فكان يضربه في الوقت

والمحل المناسبين لنجاح قوات المسلمين ، وما تفويزه في الصحراء وتجشمه مصاعب التفويز في ارض مهلكة ، والتي تضم بين كثبانها الموت المحتم الا للحصول على الوقت وضرب العدو في مكان ووقت يأمل به النصر للمسلمين ، فسبب له ان يكون المسيطر على الموقف وعلى تنقلات عدوه ، وبذلك تمكن من مباغتة جميع اعدائه ، وهو متهيء للقتال فيفقدهم توازنهم ، فيفروا امامه كفرار الشاة امام السبع ، تاركين سلاحهم ، فيطاردهم خالد بالمسلمين مستمراً في ادامة زخم القتال ، حتى يتمكنوا من تحطيم بقايا السيوف التي قد تقف في سبيله ، فيحوزا نصراً نهائياً .

ولم يكن خالد ليترك جنده المقاتل عندما يشعر بشدة وطأة العدو عليه ، وانما كان يحي ميت الرجاء في نفوسهم ، ويذكرهم بوعد الله لهم ، وقد يضطر للبروز امامهم في الساحة ، فيخطف قائد جيش العدو ، فيفقد عدوه صبره .

وهذا ما كان يحقق لخالد النصر الدائم في جميع المعارك ، وجميع الاوقات بالرغم من قلة عدده وتسليحه ، وتفوق عدوه عليه .

مميزات خالد الشخصية

وخالد بن الوليد كان قائداً ممتازاً ، اثبت انه ذو كفاءة نادرة في الحرب ، سريع القرار ، كتوم بما ينويه ، حذر في اعماله ، بعيد النظر في مواقفه ، ويحتاط لكل امر قبل وقوعه ، متبصر في

قراراته ، مجد في عمله ، صابر مخادع لا يتمكن عدوه ان يمكر به ، خبير فنون الحرب ، وحنكته التجارب ، لا ينام عن عدوه حتى يستأصله ، عادل في حكمه ، له اناة القطاة ووثوب الاسد ، عمر قلبه الايمان ، فلا تأخذه في الله لومة لائم .

لم يتعرض للفلاحين في العراق بسوء ، فشعروا بانه انقذهم من استبداد دهاقين الفرس فيهم ، لم يقتل غير المقاتلين ، ولم يسب غير من حمل السلاح ، احل النظام حيث ما حل ، واقام فى البلدان من يسوى امور الناس ، ويحفظ العدل بين الرعية ، فوطد اركان الملك .

عف عن الدنيا ، فنال حسن الاحدوثة : فجلب قلوب العامة من الشعب ، وعامة الجيش قبل الخاصة منهم .

رأينا كيف ان خالداً كان يفوز في جميع معاركه على عدوه ، وتجلت لنا كفاءته وعبقريته العسكرية ، ولنا ان ندعوه سيد الغزاة ، وامام الفاتحين ، فهو القائد الذي لم يغلب ، والعبقري الذي يجد الحل الصحيح لكل معضلة تجابه قواته في اي ظرف وأى مكان ، فكان مفخرة العرب فى حربهم تجاه عدوهم ، وعلينا ان ندرس معاركه هذه ، ونعرف الاسس التي سار بموجبها فى معاركه وندرسها .

(١) سرعة الحركة

اسس خالد الحربية

اذا ما رجعنا الى معارك خالد ، نراه ينتقل من محل لآخر ، ومن معركة لأخرى بسرعة فائقة ، فهو قد دخل خمسة عشر معركة في العراق خلال عام واحد ، وسرعة التنقل هذه كانت تعوض عن نقص قواته ، فيتمكن من ان يضرب عدوه في الوقت والمحل المناسبين لقوته ، ولا زالت سرعة الحركة هذه من اهم الاسس الحربيه المتبعة في المعارك فى عصرنا هذا وهذا العامل هو الذي اوجد الوسائط السريعة لنقل القوات ، وما السيارات والطيارات التي كثر استعمالها فى المعارك الحديثة ، الا وسائط للمحافظة على سرعة التنقل ، ولم تكتف الجيوش الحديثة باستعمال الوسائط السريعة ، وانما اتخذت التدابير المختلفة لاجل ادامة هذه السرعة .

ومن عوامل هذه السرعة هي خفة الجندي العربي ، اذا قيس عما يحمله الجندي الفارسي أو الروماني [١] فقد كان الجندي العربي ، يكتفي بحفنة من التمر والدقيق ، وقليل من الماء لايام ، أما ما يحتاجه غيره في الجيشين من مواد فا كثر ، وان اثقال الجيش العربي قليلة جداً بالنسبة الى أثقال جيوش عدوهم من الفرس والروم .

---

(١) ناقشنا الفرق بين الجيشين العربي والروماني في معركة اليرموك ، وسنناقش الفرق بين الجيش العربي والفارسي فى كتاب فتح العراق الذي سيصدر بعد مدة ان شاء الله .

ثم ان خالداً كان يحمل مشاته على الوسائط عند تيسرها لقطع المسافات فهو قد اركب جنده في السفن من الولجة الى الحيرة كما اركبهم على الابل في قطع الصحراء الى اليرموك .

وهنالك سرعة العمل لدى خالد بن الوليد فهو لا يكاد يسمع بنية عدوه للعمل حتى يبادره هو فلا يترك له الوقت الكافي ليتخذ التدابير الضرورية للمعركة ويتجلى ذلك في سرعة انتقاله من بصري الى اجنادين والعودة الى اليرموك قبل تحشد عدوه على ان اذكاء العيون لمراقبة حركات العدو ومراقبته له واطلاعه على منويات عدوه مبكراً من اهم العوامل التي حافظت على سرعة حركة الجيش العربي بقيادة خالد بن الوليد .

كما أنه لم ينتقل من معركة إلى أخرى إلا وهو على تعبئة وهذا مما يساعده على سرعة العمل في جميع الحالات .

(٢) عامل الامنية

رأينا كيف ان خالداً كان يتقدم في جميع حركاته نحو عدوه ، وهو على تعبئة وبذلك يكون متهيأ للعمل ومحترزاً من حركات عدوه المفاجئة تجاه قواته ، فهو يتخذ تدابير الحماية للقوات في جميع الاوقات والحالات ، ويتجلى ذلك في تقدمه من النباج الى الحفير، ومنها الى كاظمة ، فقد وزع قواته الى ثلاثـــة اقسام ، فافادته بذلك للامن علاوة على فائدتها لتموين الجيش بالماء في الطريق .

وكان يضع قطع الحماية اللازمة لمقره ، ويراقب مجنبتيه ، فلا يترك

لعدوه فرصة ، يستفيد منها تجاهه ، وانما يجعل قوته بحالة قادرة معها على معالجة المواقف دائماً .

وتتجلى تدابيره الحربية في وضع الحاميات على خطوط مواصلاته لتأمينها ، ولا زالت الجيوش تستخدم هذه الحاميات سواء مستفيدة من القوة نفسها أم من السكان المحليين ، ويظهر اهتمامه بخط مواصلاته في ضربه الانبار وعين التمر ، قبل التقدم الى دومة الجندل (الجوف) لانقاذ جيش عياض المحاصر فيها .

وكان يلاحظ هذا العامل في اسلوب تعبئة القوات ، ففي معركة اليرموك وزع قواته باسلوب جعله مطمئناً بان العدو سوف لا ينال من قواته شيئاً ، كما كان يتخذ تدابير الحماية لنفسه وبينما كان هدفه الحيرة اذ سار الى المذار لتأمين جناحه الايمن .

(٣) توخي الهدف

كان هدف خالد بن الوليد الحيرة ، ولذلك لم يشغله امر آخر عن هذا الهدف ، على ان كل ما كان يستهدفه ، هو القضاء على آخر مقاومة لقوات عدوه .

أما انقاذه لجيش عياض فمع انه كان يستهدف القضاء على مقاومة القبائل ، الا انه فتح عين التمر والانبار ، قبل التقدم نحو عياض ، وذلك لكي يؤمن خط مواصلاته ، وقد كان هدفه في معركة اليرموك القضاء على جيش خصمه ، فاتخذ كل التدابير لتدمير هذا الجيش .

(٤) عامل المباغتة

يتجلى هذا العامل بمعارك خالد بن الوليد بصور شتى ، ومن اهم نجاح هذا العامل هو الكتمان التام لدى خالد في جميع أعماله ومعاركه ، والتوقيت الدقيق الذي يتجلى في كمين معركة الولجه .

على ان جرأة خالد في العمل وقوة ارادته كانت من العوامل المساعدة له ، فتقدم فى معركة عين التمر ، واختطف عقه قائد القوات المعاديه ، وانهى المعركة بشخصه ، وانواع المباغتة فى معارك خالد هي :

المباغتة السوقية : وتظهر بصورة جلية فى تنقل خالد من العراق الى الشام ، واجتيازه الصحراء مفوزاً ، وظهوره فى الشام فى الوقت الذي لم يكن احد يأمل هذه الحركة السوقية من جنده ، له الروم الذين كانت هذه الصحراء المهلكة تحمى جناحهم الايسر .

على ان اجتيازه نهر اليرموك ، وضرب الرتل الروماني بقيادة (تيودور) فى معركة اجنادين حركة سوقية جريئة ، كانت ولم تزل من المعارك التي تجعل بطلنا الخالد فى رأس القادة الخالدين فى معارك التاريخ .

المباغتة فى الاسلوب : لم يتبع خالد اسلوباً معيناً فى معاركه ، وانما كان اسلوبه يتغير بتغير المواقف ، ففي معركة الولجه باغت الفرس بالكمين ، وفي فتح الحيرة باغت عدوه في فرات باد قلي في الوقت الذي لم يكن يتوقع به القتال .

ويبرز الاسلوب في تعبيـــة قواته في معركة اليرموك ، ذلك الأسلوب الذي جعل به جيشه كتلة قوية تجاه قوات ، تتفوق على قواته بالعدد وبالعدد .

وفي حركته الافراجية عن خيالة الروم ،وعددها ٨٠٠٠٠ فارس واجبارها على ترك الميدان ، هيأ النصر لجيشه الذي استغل الفرصة وفاز ، فاسلوب خالد في هذا القتال نوع آخر من المباغتة .

المباغتة في التنظيم

ويبرز في معركة اليرموك في تنظيم جيشه في كراديس ، تشابه كراديس الروم ، وكيفية توزيعها وتهيئة الجيش للقتال ، وقد سبق تفصيل ذلك .

التحشد والاقتصاد في القوة

ورأينا كيف ان خالداً لم يدخل معركة ما مالم تكن جميع قواته متهيئة فهو لام عكرمة على تسرعه بقتال بني حنيفة ، كما انه نزل في خورنق الحيرة ، ولم يتقدم لمقاتلة اهلها ، منتظراً وصول باقي قواته ، على ان جمعه شمل الجيوش العربية بقيادة موحدة في معركة اليرموك خير دليل على حنكته العسكرية في تحشيد قواته ، فهو بالاضافة الى أنه اراد جمع الجيش في محل واحد للقتال وتهيئة اعظم ما يمكن من الجند ، فانه لم يرض ان تكون الجهود متفرقة ، ولذلك سعى الى حشد هذه القوى ، فتمكن من اقناع القادة العرب الآخرين على

توحيد جهودهم، وهذاالتوحيد هو نوع من تحشد القوى في المعركة ورأيناه في قتال الحيرة قد وضـــع قوة قليلة في حصارها، بينما احتفظ بقواته الاخرى وبهذا يكون قد استخدم اقل ما يمكن من القوة للقيام بالواجب وبقيت باقي قواته في الاحتياط.

والتحشد لا يقضي باستخدام اعظم ما يمكن من القوة وانما يقضي باستخدام اعظم قوة قادرة على احراز النصر في الميدان باقل جهد وهذا ما كان يصبوا اليه خالد في جميع معاركه.

المعنويات

كان خالد يعتمد على معنويات جنده، ولم يكن بحاجة الى رفع معنويات الجند الاسلامى الذي يعتقد، أنه يقاتل لاعلاء كلمة لااله الا الله محمد رسول الله، وانه مؤمن بانه يقاتل لاحدى الحسنيين اما شهادة تضمن الدار الاخرة، واما ظهور يضمن الدنيا والآخرة.

ومع ذلك فانه سعى لرفع معنويات جنده حينما وقف بهم خطيباً بعد معركة الولجة، وشجعهم ثم وقف بهم خطيباً بعد ان عزم على المسير الى الشام انجدة القوات الاسلامية تجاه الروم وذكر لهم ان الله معهم وانه جل جلاله ليس بتاركهم، فساروا معه كما انه عرف كيف يحيي ميت الرجاء في نفوس ضعاف الايمان بالنصر في معركة اليرموك فقال لاحد الجند (بل ما اقل الروم واكثر المسلمين انما الجيوش تـكثر بالنصر وتقل بالخذلان) وهكذا كان يذكي هذا العامل في النفوس ويوجهها نحو النصر.

ولم يكن خالد ينسى تشجيع المتفانين الذين يبرزون في المعارك ويندفعون اندفاعاً شديداً للقتال فكان يشجعهم دائماً ويكرمهم كثيراً حتى كان ذلك سبباً من اسباب عزله عن القيادة فيما بعد .

انتهى

فهرست الاعلام



— ك —

◎

— ل —

◎



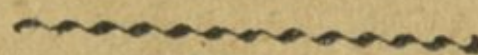
فهرست المواقع

— أ —

◎

— خ —

◎



فهرست الكتاب

الفصل الاول

من ص ١ — ص ٢٨

الفصل الثاني

من ص ٢٨ — ص ٥٧

الفصل الثالث

من ص ٥٨ — ص ١٤٢

الفصل الرابع

من ص ١٤٣ — ص ١٩٢

ص

الفصل الخامس

من ص ١٩٣ — ص ٢١٧

الفصل السادس

من ص ٢١٩ — ص ٢٤٦

الفصل السابع

من ص ٢٤٧ — ص ٢٦٦

الفصل الثامن

من ص ٢٦٧ — ص ٣٢٦

الفصل التاسع

من ص ٣٢٧ — ص ٣٦٦

مصادر البحث

١- القرآن الكريم

٢- الامامة والسياسة - ابن قتيبة

٣- مقدمة بن خلدون

٤- تاريخ بن خلدون

٥- تهذيب تاريخ بن عساكر
ابن بدران

٦- الطبقات الكبرى - إبن سعد

٧- التاريخ الكبير - ابن سعد

٨- المسالك والممالك - ابن خرداذبه

٩- الكامل فى التاريخ | ابن الاثير
١٠- اسد الغابة | ابن الاثير

١١- السيرة - ابن برهان الدين

١٢- السيرة - إبن هشام

١٣- الاستيعاب - ابن عبدالبر

١٤- العقد الفريد - ابن عبدربه

١٥- صحيح البخاري - البخاري

١٦- فتوح البلدان | البلاذري
١٧- أنساب الاشراف | البلاذري

١٨- الخراج - أبي يوسف

١٩- الاغاني - الاصفهاني

٢٠- تاريخ اليعقوبي - أحمد بن يعقوب

٢١- فتوح الشام | الواقدي
٢٢- المغازي | الواقدي

٢٣- جامع البيان في تفسير القرآن | الطبري
٢٤- تاريخ الامم والملوك | الطبري

٢٥- الاصابة في تميز الصحابة
العسقلانى

٢٦- مروج الذهب - المسعودى

٢٧- معجم البلدان - الحموي

٢٨- صفة جزيرة العرب - الهمداني

٢٩- تاريخ الجبرتي - الجبرتي

٣٠- خالد بن الوليد - طه الهاشمي

٣١- الفتوح العربية في سورية
عمر ابوالنصر

٣٢- ابو بكر الصديق | هيكل
٣٣- الفاروق عمر | هيكل

٣٤- دائرة المعارف - وجدي

٣٥- بين عدن والاردن - وليم ويلكوكس
٣٦- وادي الفرات - مشروع الحبانية | أحمد سوسه
٣٧- الري في العراق | أحمد سوسه
٣٨- الحملة المصرية - علي فؤاد
٣٩- فتح مصر - نعوم شقير
٤٠- تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها - نعوم شقير
٤١ حضارة العرب — لوبون — ترجمة زعيتر
٤٢- تاريخ العرب مطول - فليب حتي
٤٣- الشعوب الاسلامية
كارل بروكلمان
٤٤- جزيرة العرب - حافظ وهبه
٤٥ - قلب الجزيرة - فؤاد حمزة
٤٦ - مختصر تاريخ التمدن الاسلامي
سيد امير علي
ترجمة رياض رأفت

المصادر الاجنبية



٤٧ - تاريخ عمومي علي فؤاد - تركي
٤٨- منشورات الجمعية الجغرافية الامريكية

AMERICAN GEOGRAPHICAL SOCIETY

1- THE NORTHERN HEGAZ - BY ALOIS MUSIL
2- ARABIA DESERTA „ „ „
3- THE MIDDLE EUPHRATES „ „ „
4- PALMYRENA „ „ „
5- NORTHERN NEGD. „ „ „

٤٩- *BAGDAD IN THE ABBASID KHALIFA'S BY-LE.STRANGE*

٥٠- *STORY OF THE ARAB LEGION - BY GLUBB*

تصويب



حدثت بعض الاخطاء المطبعيـــة وهي لا تخفى على القـــارىء فيرجى تصحيحها ، ومعذرة .

صفحة	سطر	الصواب	صفحة	سطر	الصواب
١	١٥	وإن أبا	٨٠	١٢	ورغم شدة
٧	١٤	طـــرق	٨٢	٥	بنو عجل
١١	٢	علقمه	٩٢	٦	وودلعة
١٤	٥	ظهره للعدو	١٢٦	٧	٦٣٣ م
١٨	٤	لم يكن	١٥٨	٩	الوجهة
٢٢	١٧	فلا بد	١٦٠	١٨	أين خالد
٢٥	٣	فقد سألني	١٧٧	١	الموقف الداخلي فى فارس
٢٥	٥	فهو في	١٧٧	١٢	الشرف
٣٥	٨	رفدت بني بكر	١٧٨	١٨	يستفيد
٣٧	١٢	على الميسره	١٨٤	٥	الكوانف
٤١	٤	فقال : يا رسول	١٨٦	٤	بتيه
٤١	١٠	لم يقس	١٨٧	٦	فيد - الثعلبية
٥٥	١٥	فارساً	١٩٠	٦	بانقيا وباروسما
٦٢	٩	حراماً	١٩٠	١٧	نسطونا

صفحة	سطر	الصواب
٢٢٨	٢	التشاور
٢٣٤	١٩	عن أن تورد
٢٤٠	١٧	رافعاً
٢٤٢	٢	وإذا رفقة
٢٩٩	١٣	جدد قادة العرب
	١٨	تزايلوا
٣٠٤	١٣	ميسرة الروم
	١٥	عجلون
٣٠٥	٥	الى الخلف فلم
٣١٢	١٠	وتولى عمر
	١١	من عمر وكان عمر ابغض
٣١٣	١٨	بشير بن كعب
٣٢٩	١	حبيشة
٣٣٣	٨	عامر بن عويم
٣٣٦	٦	مذعور
٣٤٠	١٣	تجاوره
٣٤٧	١٢	لم يقم
٣٤٧	١٤	مع فارس
٣٥٠	١٢	أنهم مادة
٣٥٧	١٤	لا لكون
٣٥٧	١٨	منها الفرس
٣٥٨	١١	عزلت أميراً
٣٦٢	٧	الاشقر

حروب خالد بن الوليد

● المواقع اثناء المعارك
٥ المواقع بعد المعارك

الشمال
ش — غ

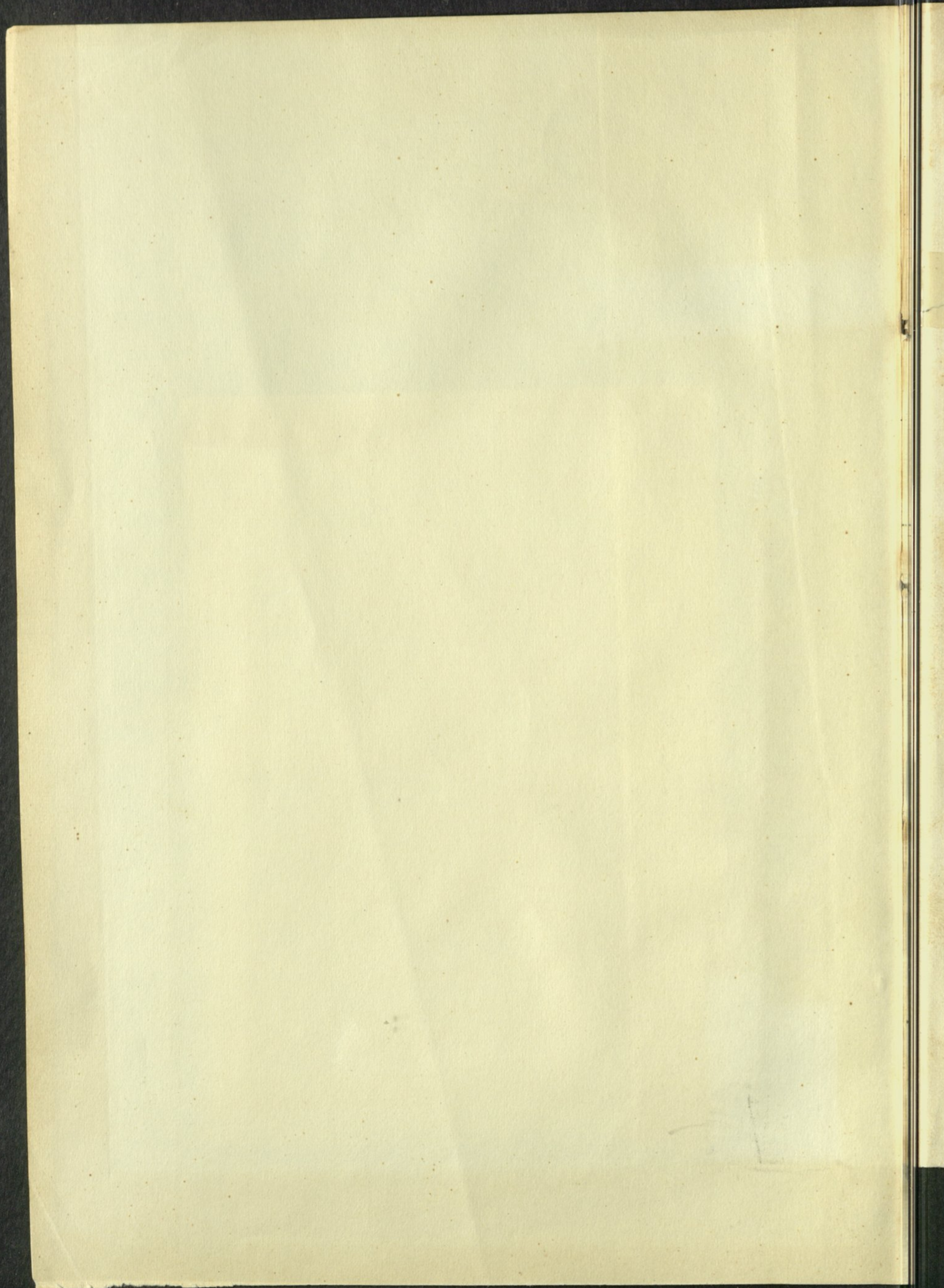
صفحات معركة عقرباء
الجنبون
المسلمون
الصفحة الاولى
الصفحة الثانية
الصفحة الثالثة

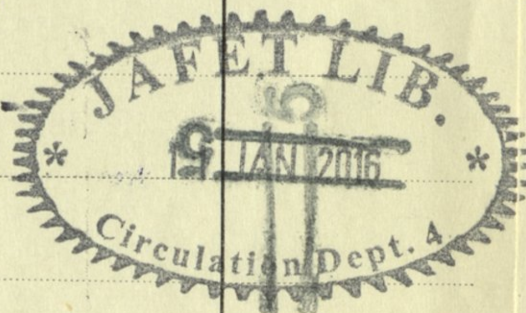
مفتاح الاسهم
حروب الردة
ارتال المطاردة في الردة
فتح العراق
قوات المثنى
انفاذ عياض
التفويز الى الشام
خالد في الشام قائدعام
خالد بامرة أبي عبيدة
ارتال العرب قبل اليرموك

المقياس بالاميال
٥٠ ميل — ٥٠ — ١٠٠ — ١٥٠ — ٢٠٠ ميل

الانبراطورية البيزنطيه
الانبراطوريه الفارسيه
بحر الروم (البحر الابيض المتوسط)
بحر القلزم (البحر الاحمر)
بادية السماوه (بادية الشام)
سوريه
العراق
الجزيره
الحجاز
نجد
الدهناء
النفود الكبير
البطائح
الفرات
مرعش
الحدث
منبج
حلب
قنسرين
انطاكيه
الرقه
هرقليه
اللاذقيه
شيزر
حماة
حمص
طرابلس
بيروت
بعلبك
دمشق
صيدا
سوى
الجابيه
بصرى
حيفا
قيصريه
بيسان
فحل
الرمله
عمان
القدس
الكرك
مؤتة
طفيلة
معان
البلقاء
ايله (العقبه)
سيناء
تبوك
الحجر
تيماء
مدائن صالح
العلا
وجه
خيبر
المدينه المنوره
ينبع
نخل
ربذه
تدمر
ارك
سخنه
القريتين
الازرق
قراقر
سوى
دومة الجندل (الجوف)
حائل
فيد
بزاخة
ظفر
كهنة
عيون
عنيزه
بريده
الرس
رسيس
البطاح
ابان
البزاخه
زلفي
مجمعه
ثادق
عقرباء
الرياض
الحفر
كاظمه
وادي الرمه
وادي الباطن
السلمان
ذو قار
بصيه
واقصه
النجف
الحيره
عين التمر
هيت
الانبار
بغداد
المدائن
البوكمال
قرقيسيا
دير الزور
الفراض
عانه
الولجه
المذار
الابله
نهر دجله
وادي حوران
رطبه
وادي الابيض
وادي السرحان
اثره
نباج
سكاكه

الحجاز
ربذه
ذو القصه
ذو حسى
المدينه المنوره
وادي العقيق
مكه
جده
الطائف
حنين




JAFET LIB.
19 JAN 2016
Circulation Dept. 4

